الموسوعة الشعرية

لأمير البيان

ديوان

ديوان الخيال الوافر

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الموسوعة الشعرية
لأمير البيان

ديوان الخيال الوافر

الموسوعة الشعرية لأمير البيان

"ديوان الخيال الوافر"

المؤلف: الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

المحقق: سعيد بن سالم النعماني

الناشر: أنجال المؤلف

رقم الإيداع لحقوق المؤلف الفكرية: ٣١٦٦
لدى دائرة الملكية الفكرية
وزارة التجارة والصناعة بسلطنة عمان.
رقم إيداع الترخيص المحلي: ٢٠١٨/١٦.
رقم الإيداع الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٩٦٩-١-٧٧٩-٠
لدى دائرة المطبوعات والنشر.
وزارة الإعلام بسلطنة عمان.

الإخراج وتصميم الغلاف: أيمن الزعبي.
الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

لمزيد من المعرفة حول حياة وأدب أمير البيان وأعلام آل الخليل

ولتحميل الموسوعة الشعرية زر الموقع: www.amiralbayan.com

جميع حقوق الطباعة والنشر محفوظة، لا يسمح باعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال

الموسوعة الشعرية لأمير البيان

الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

ديوان الخيال الوافر

ديوانٌ حَوَى أشعار

آباء الشيخ عبدالله الخليلي وطائفة من أشعاره

تحقيق

سعيد بن سالم النعماني

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

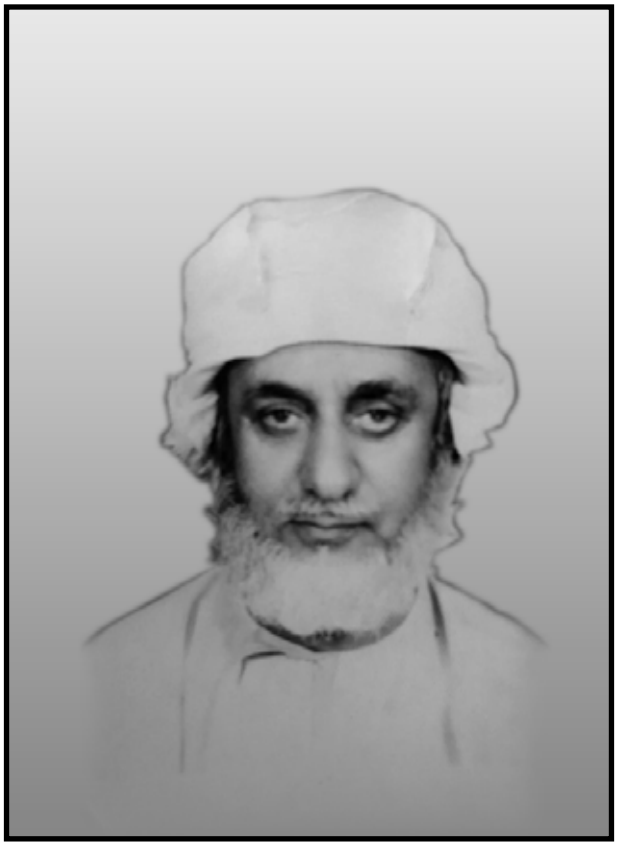

أمير البيان

الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

٧من محرم ١٣٤٠هـ - ٢٨من ربيع الثاني ١٤٢١هـ

الموافق .../.../١٩٢٠م - ٣٠ من يوليو ٢٠٠٠م

المحتويات

المحتويات

تقديم للشيخ أحمد بن عبدالله الخليلي ١٥
مقدمة التحقيق ١٩
المقدمة الأولى للشيخ عبدالله الخليلي ٧١
المقدمة الثانية للشيخ عبدالله الخليلي ٧٥

اسم القصيدة ..... القافية ..... رقم الصفحة

المجال الأول

شعر الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي

أولا: شعر السلوك

١. السَّجْسَج ..... الأَبْلَجُ ٨٣
٢. السموط ..... جِيْدِ ٩٠
٣. فقر الأولياء ..... فقَري ١٠٢
٤. الشعشعة ..... أدْمُعُ ١٠٨
٥. البلكفة ..... مُكَيَّفَة ١١٥
٦. حكم داود ..... الشروح ١٢٢
٧. التعريج ..... تذلّلِ ١٢٣
٨. باب الكريم ..... تتقدما ١٢٦
٩. السلوك ..... بإيمانِ ١٣٣
١٠. التسبيح ..... لسان ١٤٢

ثانيا: قصائد تؤرخ لدولة الإمام عزان وللغزو الوهابي

١. أفلاك السعود ..... السعودِ ١٥٣
٢. الأقدار ..... الأقدارِ ١٦٨
٣. أباة الضيم ..... الكرام ١٧٤
٤. حماية الدين ..... الإيمانا ١٨٣

ثالثا: قصائد إفتائية واجتماعية

١. ضبط الصواع ..... فاشِ ١٩١
٢. أحكام الطرق ..... البيوتِ ١٩٢
٣. الدعاء يرد القضاء ..... عمي ١٩٣
٤. نية المؤمن ..... النَّغَم ١٩٤
٥. إليك يا رب ..... برغباتي ١٩٦
٦. أهل الدين ..... يؤذيني ١٩٧
٧. ناب الزمان ..... أرْضه ١٩٨
٨. الدراهم ..... رجالا ١٩٨
٩. أوفاق السعد ..... مُنَمَّقُ ٢٠١
١٠. سعد الشهور ونحسها ..... مَعَكْ ١٩٩
١١. القهوة ..... بإعلانِ ٢٠٠
١٢. السيل العرم ..... الأباطيلا ٢٠٠
١٣. العرمرم ..... سَلَّمُوا ٢٠١
١٤. آية ..... نورا ٢٠٢
١٥. حكمة دوائية ..... أساتها ٢٠٣
١٦. كيفية ذكر الله باسمه العليم ..... تعامي ٢٠٥

رابعا: قصائد شعرية على مسائل فقهية

١. جواب على سؤال للشيخ الرشيدي ..... الدُّرُّ ٢٠٩
٢. جواب على سؤال للشيخ الهنائي ..... تفرَّدَا ٢١١
٣. جواب على سؤال آخر للشيخ الهنائي .... صيْدَا ٢١٤
٤. جواب على سؤال ثالث للشيخ الهنائي .. التبيان ٢١٥
٥. جواب على سؤال ابن سلاّم ..... تَحْرُمُ ٢١٦

خامسا: قصيدة في الزكاة

لطايف الحكم في زكاة النعم ..... حَكَمْ ٢١٧

سادسا: قصائد في علمي العروض والقوافي

١. مُظْهِر الخافي بنظم الكافي ٢٢٧
٢. أسنى الذخاير في فك الدواير ٢٤٨

المجال الثاني

شعر الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان

١. تقديم بقلم أمير البيان ٢٥٧
٢. المرتهن ٢٥٩
٣. المسكنة لله ٢٦١

المجال الثالث

شعر الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان

١. تقديم بقلم: أمير البيان ٢٦٥
٢. قوس حاجب ٢٦٦
٣. عارض الشوق ٢٦٨
٤. الحاسد ٢٧١
٥. شقاء الهوى ٢٧٢
٦. زَجْرُ الشباب ٢٧٤
٧. الجاهل ٢٧٥
٨. الإنبيق ٢٧٧
٩. الأماني ٢٧٨
١٠. مَيَّة ٢٧٩
١١. الجد ٢٨٠
١٢. أنياب المنايا ٢٨٤
١٣. الزمان ٢٨٧

المجال الرابع

شعر الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد

أولا: قصائد في الشدائد والنبل

١. طائر الونى ..... مريبُ ٢٩١
٢. الصارمُ الأحنف ..... الصَّفْصَف ٢٩٣
٣. الشِّعْرَى ..... عزائمه ٢٩٦
٤. السّعد والرّشد ..... جدي ٢٩٩
٥. الحياة ..... الساعات ٣٠٠

ثانيا: قصائد الملاغز

١. جاريهْ ..... جاريهْ ٣٠١
٢. مُـلْغزَة ..... عيناها ٣٠٢
٣. مُـلْغَزَة ..... عَلَيْ ٣٠٣
٤. مُـلْغَزَة ..... تزدحم ٣٠٣
٥. مُـلْغَزَة ..... الرُّكَب ٣٠٣
٦. مُـلْغَزَة ..... جروحا ٣٠٤
٧. مُـلْغَزَة ..... سُكْرَا ٣٠٤
٨. مُـلْغَزَة ..... فتغتبط ٣٠٤
٩. مُـلْغَزَة ..... بالأحاجي ٣٠٤
١٠. مُلْغَزَة ..... بلاء ٣٠٥
١١. مُلْغَزَة ..... هدايته ٣٠٦
١٢. مُلْغَزَة ..... ضعيفا ٣٠٦
١٣. مُلْغَزَة ..... الحَسَك ٣٠٧
١٤. مُلْغَزَة ..... مرعاش ٣٠٨
١٥. مُلْغَزَة ..... الضاد ٣٠٨
١٦. مُلْغَزَة ..... ريَّان ٣٠٩
١٧. مُلْغَزَة ..... لتختنقا ٣١٠
١٨. مُلْغَزَة ..... مطيعا ٣١٠
١٩. مُلْغَزَة ..... جليسه ٣١١
٢٠. مشكاة الملاغز ..... يديها ٣١١

ثالثا: قصائد باستخدام لفظة واحدة في العروض و الضرب

١. أبيات تقديمية لقصيدة العجوز ..... مداها ٣١٢
٢. العجوز ..... العجوز ٣١٣
٣. الخال ..... الخال ٣١٦
٤. العين ..... العين ٣١٨
٥. العين ..... عين ٣١٩
٦. الرباعية ..... عين ٣٢٠
٧. حُلْوُ الهنا ..... هَنَا ٣٢٢

رابعا : قصائد بعناوين مشتقة من فعل القول

١. قلنَ ..... مُرْتَقِب ٣٢٣
٢. قالوا ..... جموحه ٣٢٤
٣. قلت ..... اغترار ٣٢٧
٤. قالا ..... الحريق ٣٣٠
٥. قالت ..... متبول ٣٣٢
٦. قال ..... الانفصال ٣٣٤
٧. قالتا ..... الهوا ٣٣٦
مصادر التحقيق ٣٤١

* * * * *

تقديم

الشيخ أحمد بن عبدالله بن علي الخليلي

الحمد لله حق حمده. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد رحمتك للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

يسرنا أن نقدم للقارئ العربي الموسوعة الشعرية لأبينا أمير البيان الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي. وهي تمثل تراثه الشعري بأكمله جمعناه من دواوينه التي طبعها في حياته، ومن أوراقه التي خلفها بعد وفاته، وأصدرناه محققا في هذا المجموع الذي شمل المطبوع من شعره وغير المطبوع ليكون سهل المتناول للقارئين والدارسين والباحثين.

لقد تفجرت عبقرية أبينا الشعرية منذ يفاعة سنه، فكان يقول الشعر ويحتفظ به في أوراقه، دون أن يتمكن من طباعته وإصداره، بسبب انغلاق عمان في تلك الحقبة وعدم تمتعها بمظاهر الحياة العصرية. ولكن ما إن بزغ عصر النهضة المباركة في يوليو من عام ١٩٧٠م بقيادة حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حتى تسنى له في عام ١٩٧٩م إصدار ديوانه الأول وحي العبقرية بكرم من حكومة حضرة صاحب الجلالة فقد صدر ديوان وحي العبقرية في طبعات ثلاث من قبل وزارة التراث والثقافة. كما أنها قامت بطبع وإصدار ديوان بين الفقه والأدب.

وقد سجل أبونا عرفانه لفضل جلالته في رعاية الأدب والأدباء في إهدائه ديوان من نافذة الحياة حيث قال: "إلى من نفخ روح الوعي في هذا الوطن الغالي".

ونحن نوقن أنه لولا فضل الله تبارك وتعالى الذي ألقى مقاليد حكم البلاد إلى جلالة السلطان قابوس حفظه الله ورعاه لما شهدت بلادنا ما شهدته من التطور العظيم. لقد استلم جلالته زمام السلطنة في فترة عصيبة من تاريخها، فقادها بما آتاه الله عزوجل من مَلَكَات القيادة، ومواهب الزعامة، ومضاء العزيمة، وسمو الغايات، ونبل الأهداف، وصدق الطوية، وعمق البصيرة، ووضوح الرؤية، إلى الرحاب الفسيحة من التطور والنماء الذي شمل كل مجالات الحياة في عمان.

وها نحن نجدد ولاءنا وعرفاننا، لاهجينَ بما سطَّره يراعُ أبينا من الدعاء لجلالته:

رَعَتْكَ الجلالةُ في عِزِّها ... وأرْعَاكَها ثَمَّ راع حكيم
فجاءت عُمَانُ بأمجادها ... إليك لتذليل شأوٍ مَرُوم
فَقُمْتَ بها نهضةً بَلْوَرَتْ ... حقيقتها والبرايا تُشيم

ومع تقديرنا بأن خدمة تراث شعري كبير في حجمه، عظيم في محتواه، غزير في مادته العلمية من لغوية وأدبية وتاريخية ودينية وسياسية واجتماعية، كتراث أمير البيان تحتاج إلى مجهود كبير، إلا أن ما قام به الباحث سعيد النعماني نعتبره جهدا مناسبا بالنظر إلى ما واجهه من مصاعب نعرفها، مثل عدم تبويب الدواوين، وما شابها من اختلاط موضوعاتها، وعدم توفر الأصول. ونحسب أنه لم يترك شيئا مما يغمض معناه أو تغيب المعرفة عنه من المفردات والأعلام والوقائع والأمكنة والنصوص إلا وتتبعها وقدم عنها معرفة موثقة بمصادرها. ونرى أنه حقق رغبتنا في خدمة تراث أبينا، وإخراجه في طبعة متاحة للقارئين والباحثين على حد سواء.

نسأل الله تعالى الرحمة لأمير البيان، وأن يجزيه بكل رفة شعور حامت بها روحه الزكية، وبكل خطرة فكر اعتملت في ذهنه الألمعي، وبكل قصيدة أنتجتها قريحته الثرية، وبكل قطرة حبر خطها قلمه، جزاء العالِمِين العاملين الشهداء.

ونشكر الباحث سعيد بن سالم النعماني على ما قام به من جهد، سائلين الله العلي القدير أن يحسن له الجزاء ويجزله.

أحمد بن عبدالله بن علي الخليلي

مسقط في العاشر من محرم من سنة ١٤٣٩هـ

الحادي من أكتوبر سنة ٢٠١٧م

كلمة المحقق

بسم الله. الحمد لله. اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. وبعد

ترك أمير البيان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي تراثا شعريا وفيرا في كَمِّه، عميقا في محتواه، متنوعا في موضوعاته، متعددا في أجناسه. تمكن من طبع بعضه في حياته، وبقي الكثير لم تسنح له فرصة طباعته وإصداره. فقام أبناؤه بعد وفاته رحمه الله تعالى بجمع ذلك التراث الزاخر، ما طبع منه وما لم يُطبع، بقصد تحقيقه وطباعته وإصداره لجعله متداولا بين أيدي القراء والدارسين. وهذه الكلمة تتضمن حديثا عن ولادته ونسبه ونشأته، ونظرة على تراثه الشعري، ومنهج العمل في تحقيقه، ونبذة عن بعض الملامح الموضوعية في شعره.

ولادته ونشأته وتلقيه العلم

ينحدر أمير البيان من سلالة عربية بالغة في العراقة، ومن أصلاب رجال عظماء بين إمام دولة، وعالم دين، وزعيم قبيلة. فهو من قبيلة بني خروص اليحمدية الأزدية الكهلانية القحطانية التي أعطت لعمان عبر تاريخها الإسلامي أكثر من عشرين إماما منذ قيام الدولة العمانية الأولى سنة ١٣٢هـ حتى العصر الحديث، وكان من أشهرهم جده الأول الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧-٢٧٢هـ)، والإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك (بويع سنة ٤٠٧هـ تقريبا)، والإمام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك (لا يوجد تحديد زمني لبيعته)، وجده الأوسط شيخ الإسلام

العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي الخروصي (١٢٣١هـ-١٢٨٧هـ) الذي تنتهي سلسلته النسبية إلى الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي، وعمه الإمام محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي (١٣٣٨هـ-١٣٧٣هـ).

ولد أمير البيان ونشأ في ولاية سمائل يوم السابع من محرم عام ١٣٤٠هـ الموافق عام ١٩٢٠م في منزل أسرته المسمى بيت السُّبْحِيَّة. وحول سبب تسمية البيت بذلك الإسم قال الفاضل خلفان بن حمد بن سليمان الرواحي الملازم لأشياخ آل الخليل فترة طويلة من العمر، وظل إماما للمسجد المجاور لبيت السبحية حتى أواخر عمره بأن تلك التسمية تعود إلى أن الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي كان يختلي في الحيز المكاني الذي قام فيه بناء البيت مواظبا على ذكر الله تبارك وتعالى بأوراد التقديس له عزوجل وتسبيحه والثناء عليه في أوقات يخصصها لهذه العبادة. فعرف المكان بعد ذلك بالسُّبْحية نسبة إلى عكوف الشيخ المحقق فيه على التسبيح.

نشأ أمير البيان في سمائل وهي مدينة من أغنى مدن عمان بالعلماء والأدباء، ومن أجملها طبيعة. وسر جمالها يعود لواديها الذي يقسمها إلى ضفتين معمورتين بجنائن النخيل التي تتخللها البيوت، فيشعر الساكن هناك وكأنه يعيش في جنة بحق. وصف الشيخ عبدالله جمال طبيعة بلدته في قصيدة له بعنوان: إلى حادي العزائم، وردت في ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني، حيث يقول:

على السعد من عُلْيَا سمائل فاصطبح ... صبوحك واهْنأ بالغبوق المسلسلِ
وباكر بها النعماء عن عبقريةٍ ... يَـمُـجُّ نـداهـا كـل أبـيـض عبهل
وقِــلْ تحت دوح المـجد منها فإنه ... هو الغيضة الغَنَّا لِلَيْثٍ وجحفل
وبِتْ فوق أعشاب الهناء بروضها ... فتلك لعمري منية المتطوِّل
وقِفْ بين هاتيك الجداول إنها ... ينابيعُ أَرْيٍ من رضاب المُقَبَّل
وطُفْ حول مُخْضَلِّ الخمائل إنها ... مغارسُ كَـرْمِ الجنة المُتَهَدِّلِ
وطُلْ بالمعالي كل عالٍ وباسقٍ ... عليها فليس الطول غير التطَوُّل

ويقول عنها في موضع آخر من نفس القصيدة:

كأنَّ خيوط الشمس مما يحوكه ... ويُلحمه فيها الربيع بأنْمُلِ
كأنَّ الدراري من خلال غصونها ... حبيبٌ يراعي عاشقاً غير مُقْبِلِ
كأنَّ الثريا في الجداول تنجلي ... قــلادة دُرٍّ فـوق نـحـر مُـدَلَّـل
كـأنَّ سماها من غلائل سندس ... يُزَبْرِجُهَافَيْرُوزَجُ الطبعِ من عَلِ
وتسمع فيها للحمام تجاوبا ... كأن صدى ألحانها صَدْحُ بُلبُل
وتلْثم فيها الزهر بين مُزَيَّل ... أطاحت به الأيدي وغير مُزَيَّلِ

حكى لي رحمه الله تعالى عن هذه الفترة من حياته، فقال في حديث له معي نشرته في الملحق الصحفي الخاص الذي أعددته عن حياته وأدبه ونشرته جريدة عمان يوم الإثنين ٢٩ من ربيع الآخر ١٤٢١هـ، الموافق ٣١ من يوليو سنة ٢٠٠٠م، أي في اليوم التالي لوفاته: "كنت فيها (أي في سمائل) مقيما مع أمي (ابنة عم أبيه) وهي التي اعتنت بشأني ورعتني جزاها الله خير الجزاء وطلبت لي المعلمين... ثم انتقلت بعد أن حفظت جانبا من القرآن إلى مدرس اللغة العربية وهو الأستاذ حمدان بن خميّس بن سالم اليوسفي الذي كان يسمى سيبويه عصره فقرأت عنده مبادئ النحو...ثم انتقلت إلى الشيخ العلامة حمد

بن عبيد السليمي وأعطاني نبذا من علوم الأديان وأصول الفقه، وبعدها واصلت الدراسة عند عمي الإمام محمد بن عبدالله الخليلي يرحمه الله ويرضى عنه فكنت عنده في مدرسته يستدعونني للفقه والشعر يستدعيني إليه وتغلَّبَ حكمه عليَّ رغم رغبتي ورغبتهم. أما الشعر فلم آخذه عن مبادئ ولكن بالسليقة وأظنها الموهبة فإني لم أقرأ العروض ولا القوافي ولا مقومات الشعر".

وعن المرة الأولى لقوله الشعر ذكر بادرتين وقال بأنه لا يدري أيهما السابقة على الأخرى، وسنكتفي هنا بالبادرة الأولى التي نراها الأدل[1]. يقول عنها: "كنت في رحلة مع عمي الإمام الخليلي رحمه الله إلى الشرقية فرأيت التلاميذ متحلقين واستدعوني فإذا هم يهمون بقرض قصيدة شعرية يذكرون فيها رحلة الإمام إلى الشرقية وكانوا قد بدأوا ببيت أو بيتين فقالوا هل تشترك معنا؟ وأظن أن هذه هي البداية. فأخذت الورقة وكتبت أربعة أبيات أذكر منها بيتا واحدا أصف فيه الناقة:

تحركها بالأريحية همة وتعدو بنا كالرائح المُتَحَلِّبِ

وبينما أنا أكتب هذه الأبيات إذا بالقارئ سعود بن حميد المكنى أبا الوليد يأخذ الورقة من يدي ويقول: هذا هو الشعر. ويذهب به إلى الإمام رحمه الله فحضرت ولم يعلق الإمام بشيء. فكانت هذه البادرة من القارئ أبي الوليد فتّ عضُدٍ عندي فسكتُّ عن قرض الشعر فترة طويلة. لم تقل عن ثلاث أو أربع سنوات، ثم عُدْتُ بعد ذلك إلى قول الشعر فبدأت قصيدتي الرائية التي أقول في مطلعها:

---

(١) لأنه في الثانية سيورد أبياتا وجدتها واردة في قصيدة له في وحي العبقرية قالها بمناسبة زيارة جلالة السلطان قابوس لولاية سمائل في رمضان من عام ١٤١١هـ، الموافق أبريل من عام ١٩٩١م لأداء صلاة عيد الفطر. ويمكن مراجعة الأمر في الملحق الصحفي المشار إليه آنفا ص١٤، وفي القصيدة الواردة في مجال القصائد الوطنية بديوان وحي العبقرية الجزء الثاني تحت رقم (٧) بعنوان الصرح الممرد.

إليك فقد أقدمتُ عزمي مُشمّرا ... إلى خطة تسمو على المجد مظهرا
إلى موقف يعنو له النجم ساجدا ... وتنحط عن علياه شامخة الذُّرا
إلى موقف بالحق والصدق أسّسَتْ ... دعائمه حتى علا فتصدَّرا
فلله نفسي ما أجلّ مرامها ... ولله قصدي ما أجَلّ وأكْبَرا
على أنني من كيد نفسي وشرها ... بريءٌ ولكني أقول مُذَكِّرا
لك الله ما زكى الفتى غير فعله ... وذو الفضل لا يرضى الدَّنِيَّة متجرا

رؤيته للشعر

يقول في الحديث نفسه عن رأيه في الشعر: "الشعر هو ما يصل إلى القلب أول ما تبدأ قراءة البيت. هذا هو الشعر الصحيح. وأصبح العُرْفُ الجديد مغايرا لما يدور حول الشعر. قرأتُ شعر (وذكر شخصا باسمه) وحاولت أن أفهم منه كلمة ما قدرت، وأخبرت أن بعض الهيئات المعتمدة تعتبر هذا الشعر في مرتبة القمة. مثل هذا الشعر لا أقدر أن أقول عنه بأنه رسالة بل أقول إن الشعر الذي يأتي في منتهى الغموض أشبه ما يكون بالألغاز".

وقال: "سئلتُ عن الغزل في مجلس الإمام، فقد تقدم إليه سائل فقال: أيها الإمام إن صاحب ديوان السيف النقَّاد يقول الغزل فهل هو يتغزَّلُ في زوجته أم في الحورية؟ فحاشاه أن يتغزَّل في نساء الناس. فأشار إليه الإمام أن انتقلْ إلى الولد عبدالله يعنيني أنا. فقلت: إن الشاعر إذا تغزَّلَ لا يتغزَّلُ في امرأة بعينها، لا في زوجته، ولا في الحورية، ولا في امرأة من الناس، اللهم إلا إذا كان الغرض في نفسه. وإلاَّ فهو يتغزَّلُ في الجمال، ولكون المرأة هي الركيزة التي يدور عليها الجمال لأن الجمال يدور على الأنوثة لذلك تجد الجمال قرين المرأة عند الشاعر ولكنك لو نظرت في كلام الشعراء والأوصاف التي يقولونها في المرأة فإنك لا

تجدها مجتمعة في امرأة حسناء الوجه أسيلة الخد رشيقة القد، نجلاء العينين، مبسمها أنفها قامتها أردافها، لو تتبعت هذه الأوصاف لن تجدها مجتمعة في امرأة مهما كانت. لكن لكون الشاعر يعرف الأوصاف المستحسنة ويعرف مواطن الجمال يذكره ويجرد له شخصا من أنثى ويخلع تلك الأوصاف عليه".

رأيه في بعض الشعراء

يقول في الحديث نفسه: "قرأتُ للنبهاني (السلطان سليمان بن سليمان) واسْتَحْسَنْتُ شعره، لكني مع احترامي وتقديري ليته لم يبالغ في المديح الذي يمدح به نفسه، ولو وَكَلَ مديحه إلى الناس لكان أفضل. وعلى كلٍ فإن النبهاني من جهة الفصاحة فصيح، ومن جهة البلاغة بليغ، فهو شاعر مُجيد... في مقدمة معاصريه. ثم جاء الستالي[1] وهو أيضا شاعر مُجيد وفصيح وبليغ، يتلاعب بالألفاظ والمعاني كتلاعب الطفل بالكرة، مع الجودة وحسن الأسلوب والسبك. لكنه مع ذلك لوَّثَ شعره بالمديح. وسأنتقل إلى أبي مسلم البهلاني فقد تأثرتُ به واستحسنت شعره كثيرا وعندي لشعره روعة. وأجود ما يكون قوله إذا ذكر الأصحاب في الاستنهاض والاستثارة فهذا الغرض من شعره عندي أجود ما يكون، أجود من شعره الذي في السلوك، وأقوى وأمتن، وعلى قمة شعره تقريبا النهروانية. وأخذ فيها يتنقل من أسلوب إلى أسلوب، مع رشاقة ولباقة وفصاحة، وفي غاية الجودة والبلاغة، حتى إنني جعلته في بداية الأمر كنبراس أمامي حينما أقول الشعر. وأما في المعاصرين فيعجبني شعر سالم بن علي الكلباني وشعر هلال بن سالم السيابي".

---

١) يعني بقوله: ثم جاء الستالي أي مجيئ ذكره هنا. أما من ناحية الزمن فهو من رجال فترة ما بين القرنين الرابع والخامس الهجري، بينما الشاعر السلطان سليمان بن سليمان النبهاني هو من رجال فترة ما بين القرنين التاسع والعاشر الهجري.

تراثه الشعري

الدواوين المطبوعة:

١. وحي العبقرية، صدر في ثلاث طبعات. الأولى عن وزارة التراث القومي والثقافة عام ١٩٧٩م. وصدر في طبعته الثانية عن وزارة الإعلام سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. وصدر في عام ٢٠١٧م في طبعة ثالثة عن وزارة التراث والثقافة.

٢. وحي النهى، قصيدة في الحكم، نظمها الشيخ مرتبة على حروف المعجم، طبعت سنة ١٩٨٠م بمطابع الألوان الحديثة بمسقط.

٣. بين الفقه والأدب أصدرته وزارة التراث القومي والثقافة سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، طبع مطابع النهضة، مسقط.

٤. على ركاب الجمهور أصدره الشيخ سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، طبع بمطابع النهضة، مسقط.

الأعمال غير المطبوعة:

١. قصيدة وحدة الشعب قصيدة طويلة تستنهض سكان عمان إلى الوحدة والائتلاف، وتمتد في غايتها لتشمل أبناء دول الخليج العربي.

٢. أرج البردة مجموعة قصائد تخميس وتشطير لقصيدة البردة الشهيرة.

٣. الخيال الزاخر مجموع من تسع قصائد.

٤. الخيال الوافر ديوان جمع فيه أمير البيان التراث الشعري لجده عبدالله بن سعيد بن خلفان وجده لأمه أحمد بن سعيد بن خلفان، وجده الأكبر الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان وأضاف إليه عددا وافرا من قصائده.

٥. فارس الضاد تضمن قصائد تنوعت في موضوعاتها بين الإخوانيات، والوجدانيات، والذاتيات، والافتخاريات، والمطارحات، والابتهالات، والغزل وغيرها.
٦. الموعظة وتضمن عددا من القصائد الدينية والسؤالات الفقهية وأجوبتها.
٧. المجتليات وتضمن عددا من القصائد في التخميس والمسبعات والموشحات وغيرها. وسلَّمَني أنجالُ أمير البيان أعمال أبيهم منسوخة في قرص ممغنط (CD) حوى جميع تلك الأعمال التي زادت صفحاتها عن ألفي صفحة بمقاس A4، بالخط (Traditional Arabic) حجم الحرف ١٨ عريض. وجاءت حسب تسلسلها في (السي دي) كما يلي:

- ديوان من نافذة الحياة، ويبدأ في القرص من الصفحة الأولى حتى الصفحة ٩٢.
- ديوان وحي العبقرية ويبدأ من الصفحة ٩٣ حتى ٥٦٩. أي ٤٧٦ صفحة.
- ديوان وحي النهى ويبدأ من الصفحة ٥٧٠ حتى ٦٠٩. مجموع صفحاته ٣٩.
- ديوان فارس الضاد ويبدأ من الصفحة ٦١٠ حتى ١١٧٣. أي ٥٦٣ صفحة.
- ديوان الخيال الوافر ويبدأ من الصفحة ١١٧٤ حتى ١٤٢٢ أي ٢٤٨ صفحة.
- ديوان الموعظة ويبدأ من الصفحة ١٤٢٣ حتى ١٥٠٠. أي ٧٧ صفحة.
- ديوان بين الفقه والأدب، ويبدأ من الصفحة رقم ١٥٠١ إلى الصفحة رقم ١٦٨١، أي ١٨٠ صفحة.
- ديوان الوحدة ويبدأ من الصفحة ١٦٨٢ حتى ١٧٥٠. أي ٦٨ صفحة.
- ديوان على ركاب الجمهور ويبدأ من الصفحة ١٧٥١ إلى ١٨٧٨ أي ١٢٧ صفحة.
- ديوان المجتليات ويبدأ من الصفحة ١٨٧٨ حتى ٢٠١٨ أي ١٤٠ صفحة.

فقدان الأصول

حين شرعتُ في تحقيق الموسوعة الشعرية لأمير البيان لم أجد أصولا أستند عليها في تصحيح ما ورد في المادة التي حواها القرص من أخطاء وسَـقْط وتكرار. فُـقِـدَت الأصول لأن إعصار (جونو) الذي ضرب عمانً في يونيو من عام ٢٠٠٧م ذهب بكثير منها. لكن عناية الله ألهمت أبناءه قبل ذلك بجمع شعره كله، فَـتَـيَـسَّـرَ بعملهم حفظ تراثه الشعري كاملا ولله الحمد والفضل. وأصبح هذا المجموع مصدرا لتراث أمير البيان لأنه أُخِـذَ مباشرة عن أصول بخط يده رحمه الله تعالى.

وحين فتحتُ القرصَ طالعتُ العبارة التالية: "قام بمراجعة النصوص ومطابقتها بالأصل: صالح بن علي بن سالم الحميدي، ومحمد بن عبد الله بن علي الخليلي، وأحمد بن عبد الله بن علي الخليلي". وما من شك أن الإخوة الفضلاء بذلوا جهدا مضنيا في جمع المادة من أصولها المبعثرة، ومن الدواوين المطبوعة، وبذلوا جهودا مماثلة في تنقيحها. لكن الإنسان مـنَّـا مهما بدا له أنه أوصل عَمَـلَـه حدَّ الكمال لا بد أن يوجَدَ فيه من المآخذ ما يزحزحه عن تلك المرتبة. وهذه سمة قارة في العمل الإنساني وعملي هنا أحد الأمثلة على ذلك.

خللٌ منهجي

لقد تَـكَشَّفَتْ المادةُ التي حواها القرص عن مفاجآت مثل سَقْط أشطر وأبيات، وتَـوَزُّع ورود قصائد ذات موضوع واحد بين أكثر من ديوان، وتكرار ورود بعض القصائد، حيث كنت أجد القصيدة بعينها وردت في عدة دواوين. وكانت من الكثرة ما لو جُمِعَتْ كوحدة واحدة لشكلت ديوانا لوحدها. حتى إنَّ عددها في ديوان واحد هو فارس الضاد بلغ ١٥٠ قصيدة. الأمر الذي استلزم إعادة النظر في المنهج

الذي بُـنِـيَ عليه تبويب الدواوين. فظهر أنها كلها بحاجة إلى إعادة بناء من الناحيتين الموضوعية (تبويب القصائد)، والشكلية (معادلة أحجام الدواوين).

فمثلا وجدت في ديوان وحي العبقرية قصائد نُظِمَتْ تحتَ عنوان: القوميات، وكان عددها (٩) تسع قصائد وردت مبعثرة بين مجالات بعضها تحت عنوان: القوميات، وبعضها تحت عنوان: الإخوانيات، وبعضها في التأمليات، مع أنها كلها تندرج موضوعيا في إطار القوميات.

كما أنني وجدت عشرين قصيدة قومية مدرجة في ديوان من نافذة الحياة. ووجدت كذلك في وحي العبقرية قصائد أدرجت تحت موضوع الإخوانيات، ووجدت مثلها في ديوان فارس الضاد. وكذلك الوضع في قصائد المديح النبوي، فبجانب ما تضمنه مخطوط أرج البردة، فإنَّ بعض الدواوين الأخرى تضمنت قصائد في هذا الموضوع. وكذلك قصائد التخميس وردت في ديوان المجتليات، وفي ديوان وحي العبقرية، وفي ديوان فارس الضاد. فلم يكن من المقبول أن أترك تبويب القصائد مبعثرا بين الدواوين على هذه الشاكلة.

نظرت في ديوان وحي العبقرية الذي هو أول عمل شعري طبعه الشيخ في حياته وأصدره عام ١٩٧٩م، فوجدته ديوانًا ضخمًا حوى عددًا كبيرًا من القصائد أوردها الشيخ في إطارات وطنية وقومية وإخوانية وغيرها من غير التزام دقيق بهذا التأطير.

ونظرت في الدواوين الأخرى فوجدت في المطبوع منها والمخطوط قصائد ترتبط موضوعيًّا بموضوعات قصائد ديوان وحي العبقرية.

كما وجدت أحجام الدواوين متفاوتة بصورة غير متوازنة بتاتا، فوحي العبقرية المطبوع مؤلف من ٥٣٥ صفحة، ووحي النهى المطبوع مؤلف من

٢٥ صفحة فقط، وديوان على ركاب الجمهور المطبوع من ١٤٠ صفحة. ووجدت هذا التفاوت الحادّ في الدواوين المخطوطة أيضا. فديوان الموعظة بلغ عدد صفحاته ٧٧ صفحة، وديوان المجتليات ١٤٠ صفحة، وديوان الخيال الوافر ٢٤٨ صفحة، وديوان فارس الضاد ٥٦٣ صفحة.

طريقة الإصلاح

بناء على ذلك التزمتُ أن أعيد بناء الدواوين بتبويبها موضوعيا، فبالتبويب سيتوفر مخرج ملائم لتفاوت الأحجام. ولأمير البيان إنتاج شعري غزير في ناحيتي الموضوع والجنس الشعري. الأمر الذي جعل تبويب تلك القصائد على هذا الأساس عملاً منهجيًّا صحيحًا.

عَمَدْتُ أولاً إلى ديوان وحي العبقرية فقسمته إلى جزأين، بحسب موضوعات القصائد.

وجعلتُ كل جزء منهما مختصًّا بموضوع. خصَّصْتُ الجزء الأول للقصائد الإخوانية التي لكثرتها تؤلف ديوانًا لوحدها. وخصَّصْتُ الجزء الثاني للقصائد الوطنية والقومية.

وضَمَمْتُ إلى ما في الجزْءَين كل القصائد ذات الصلة باختصاصهما الموضوعي والمبثوثة في الدواوين الأخرى مطبوعة ومخطوطة. فجمعتُ كل قصائد الإخوانيات من جميع الدواوين وضَمَمْتُها إلى نظيرتها في الجزء الأول من وحي العبقرية. وفعلتُ نفس الشيء مع الجزء الثاني لديوان وحي العبقرية حيث نقلت إليه من الدواوين الأخرى كل القصائد المتصلة بموضوعه. ونقلتُ من ديوان وحي العبقرية كل القصائد التأملية والحكمية والدينية والغزلية وغيرها إلى الدواوين الأخرى ووضعت كلاًّ منها في إطار موضوعي انتظمت القصائد داخله.

وبهذا أصبح كل ديوان من الدواوين مستقلاً بإطاره، ومتفردًا بقصائده، ومتوازنًا بحجمه مع أحجام بقية الدواوين. وجعلتُ لكل ديوان تحت عنوانه الأساسي الذي وضعه له أمير البيان، عنوانًا آخر فرعيًّا يدلُّ على اختصاصه الموضوعي، فجاءت عناوين الدواوين على النحو التالي:

الخيال الوافر

ديوان حَوَى أشعار آباء أمير البيان وطائفة من أشعاره

فارس الضاد

ديوان القصائد الذاتية والوجدانية

المُجْتَلَيَات

ديوان التشطير والتخميس والموشحات والمسبَّعات

وحي العبقرية الجزء الأول

ديوان القصائد الإخوانية

وحي العبقرية الجزء الثاني

ديوان القصائد الوطنية والقومية

بين الفقه والأدب

ديوان المطارحات

من نافذة الحياة

ديوان القصائد الثلاث: وحي النُّهَى، المقصورة، وحدة الشعب.

وما فاض من ديوان بين الفقه والأدب من مطارحات فقهية وأدبية.

على ركاب الجمهور

تجربة الشيخ عبدالله في الشعر المُرْسَل والشعر القصصي

الموعظة

ديوان العظات والقصائد الدينية.

وقد قمتُ بما قمتُ به مُدركاً بأن ذلك عملٌ لا بدَّ منه لأجل بناء الوحدة الموضوعية للدواوين، ليكون كل مجلد مختصًّا بموضوع معيَّن، ولإزالة التفاوت الحاد بين أحجام الدواوين، وكل ذلك يوجبه منهج التحقيق تسهيلاً للدارسين الباحثين والقارئين.

التصحيح

كنت ألتمس لدى أنجال الشيخ مصادر للتصحيح، كلما أعوزني الأمر، لكنني لم أظفر إلاَّ بمصدر واحد وهو عبارة عن صورة لمخطوط ديوان الشيخ المحقق سعيد بن خلفان صَحَّحْتُ بموجبها أشعاره التي أوردها أمير البيان في ديوان الخيال الوافر.

أما الدواوين الأخرى فَصَحَّحْتُ محتواها طبقا للدواوين المطبوعة لأمير البيان، وهي: بين الفقه والأدب، ووحي العبقرية، وعلى ركاب الجمهور، ووحي النهى، فطابقتُ القصائد الواردة في القرص بمثيلتها في الدواوين. وكل قصيدة طابقتها على نسختها في الديوان المطبوع ذكرت ذلك في حاشية عليها.

كما اسْتَعَنْتُ أيضا بدواوين الشعراء الذين تساجلوا الشعر مع أمير البيان، وأوردوا قصائده الموجهة إليهم في دواوينهم. وتلك الدواوين هي: ديوان أبي الحكم، للشاعر الشيخ أحمد بن عبدالله الحارثي، وديوان أبي سرور، للقاضي الشيخ حميد بن عبدالله الجامعي، وديوان قلائد الدهر، للشاعر الشيخ سليمان بن خلف الخروصي، وديوان فيض الإحساس للشاعر حبراس بن شبيط بن لافي الشعملي السليمي، وديوان

الحارثي للقاضي الشيخ سالم بن حمد الحارثي، وديوان الدرّ المنتخب في الفقه والأدب، للقاضي الفقيه الشيخ سعيد بن خلف الخروصي. وقد طابقت قصائد أمير البيان الموجهة إليهم على ما أوردوه في دواوينهم من قصائده. أما القصائد المتبادلة بينه وبين الشيخ سالم بن حمود السيابي فقد اطلعتُ على مخطوط ديوان الشيخ سالم ووجدتُه لم يورد شيئا منها.

وبجانب مساجلات أمير البيان مع بعض شعراء عمان، له أيضا تراسل شعري مع شعراء من خارج عمان، مثل الشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي (١٩٢٥-١٩٩٣م) حاكم إمارة الشارقة السابق، فاتصلت كتابيا بابنته الشاعرة ميسون بنت صقر وكانت يومذاك في مصر وسألتها عن ديوان أبيها حيث علمتُ أنها جمعت وحققت أعماله الشعرية وأصدرتها في ديوان من أربعة مجلدات. فوجَّهَتني بالسفر إلى أبوظبي لآخذ نسخة من الديوان تركتها لي عند شخص هناك. وبكل أسف فإنَّ الديوان لم يتضمن شيئا من قصائد أمير البيان، كما لم يتضمن قصائد الشيخ صقر إليه. وقد أوضحتُ أسباب ذلك في حاشية على إحدى قصائد الشيخ عبدالله التي وجهها إلى الشيخ صقر والواردة في ديوان وحي العبقرية الجزء الأول، تحت عنون: روضة الأدب.

وكان لأمير البيان تراسل شعري كذلك مع شاعر سوري كبير هو الدكتور فريد عقيل (١٩٣٧-١٩٩٥م)، الذي ملك زمام الشعر في وقته، وسلك فيه مسالك أقرانه الكبار: بدوي الجبل، وسليمان العيسى، وعمر أبو ريشة وغيرهم. وسيطالع القارئ في المجال الخامس من ديوان: من نافذة الحياة قصيدة للشيخ عبدالله بعنوان: الصمت الهادي، وجهها للشاعر فريد عقيل على إثر قصيدة تلقاها منه. فبذلت الجهد للعثور

على دواوين الشاعر فريد، ولكنني لم أفلح، وتواصلت كتابيا مع أحد أقربائه وطلبت منه أن يجيب على تساؤلاتي حول علاقة الشاعرين الكبيرين، وأن يمدني بنسخ مما قد يكون عثر عليه من قصائد بينهما في تركة الدكتور فريد، لكنه لم يجب.

القصائد المكررة

كنت أجد القصيدة الواحدة تَرِدُ في ديوانين وثلاثة فأحذفها من جميع الدواوين وأحتفظ بها في الديوان الذي يناسب موضوعها. وبَيَّنْتُ ذلك بحاشية وضعتها على كل قصيدة من القصائد طالها هذا الإجراء سواء كانت مكررة أو منقولة من ديوان إلى آخر. مُقَدِّراً أنَّ الأمانة العلمية تقتضي إثبات وتوثيق كل ما يستجد على القصائد لأنه تاريخها الذي يوفر للباحثين معرفة لا غنى لهم عنها عند دراسة النصوص. وعلماء التاريخ يقولون بأن كل شيء في الحياة له تاريخ حتى الحصاة لها تاريخ. فكيف بقصيدة تشع سطورها بروح قائلها ومعنى قوله، وتحتوي ما كان من حيوات الأشخاص ووقائع الأزمنة وتفاصيل الأمكنة والأحداث، ما يوجب توثيق ما يطرأ عليها من تطورات.

قد يكون هناك من القصائد ما فاتني ذكرُ ما عَرَضَ لها من حركة لزحمة اشتغال الذهن بتحقيق تسعة دواوين مؤلفة من قرابة ثلاثة آلاف صفحة، وما رافق ذلك من القيام بأكثر من مهمة في وقت واحد تمثلت في أنَّ كل ديوان أشرع في تحقيقه أكتشف فيه قصائد مكررة، وقصائد واردة في غير إطارها، فأتوقف عن مهمتي الأساسية في الديوان لأقوم بتنقيته من المكرر، وردِّ القصائد إلى أطرها المناسبة، هذا بجانب إعادة كتابة بعض القصائد، والتصحيح الإملائي والعروضي، واستدراك النقص

بين القصيدة ونسخها، ثم المطابقة بين جميع النسخ للتيقن من تمام الاستدراك، وإقامة بنيان جديد للدواوين من ناحية التبويب الموضوعي والشكلي. ثم القيام بالمهمة الأساسية وهي تحقيق المادة العلمية، وعناء البحث عن المصادر اللازمة، واستخراج المادة المطلوبة منها.

هذا بجانب ما يتلقَّاه أنجال أمير البيان من المطالبات الملحاحة بالإنجاز مع حلول الموسم السنوي لمعرض الكتاب، وما مَثَّلَتهُ تلك العوامل مجتمعة من ضغوط ذهنية قد يكون لها أثر غير مرغوب. فكل ذلك العبْء إنْ تصدَّى له باحث فرد لا بد أن يقع منه الخطأ وإنْ قَلَّ في كَمِّه لكن أثَره يكون كبيرا مع عدم توفر أصول مخطوطة للعمل ترد الشارد وتُفَنِّدَ الوارد.

ومن أخطاء النَّسْخ التشكيل غير الصحيح لبعض المفردات، وقد يكون بعض ذلك وقع بسبب اختلاف التطبيقات بين أجهزة الحاسوب. وهو ما كان يظهر على ما قمتُ به شخصيًّا. فكثيرًا ما أصحح تشكيل الكلمة لأجد الخطأ عاد إليها بعد ذلك، وكثيرًا ما أضع علامات الترقيم في نسقها، لأجدها بعد فترة تغيرت وكأنني لم أعمل شيئا من قبل.

ديوان من نافذة الحياة بَعْثٌ بعد موت

ينبغي أن أوضّح بأن محتوى ديوان: من نافذة الحياة، ذهب كله إلى الدواوين الأخرى بمقتضى التبويب، حتى لم تبق فيه قصيدة واحدة. مع ملاحظة أن هذا الديوان لم يزد في أصله عن ٨٨ صفحة، وأكثر هذا العدد من الصفحات كانت تحتله القصائد القومية وعددها عشرون قصيدة نقلتها إلى الجزء الثاني من ديوان وحي العبقرية. وبقي فيه بعد ذلك عدد محدود من القصائد، لم تُعُدّ تمثل بعدد صفحاتها القليلة ديوانًا. كما أنها من الناحية الموضوعية تعلقت بدواوين أخرى. وعلى ذلك لم يمكن بقاؤها فيه.

وكان معنى خلو هذا الديوان من القصائد نهاية وجوده، ومن ثَـمَّ غيابه من السيرة الشعرية لأمير البيان. وقد أهمَّني هذا الأمر كثيرا، فأعْمَلْتُ الفكر لأجل إبقائه. وكنت واجهت مشكلة في صغر حجم ديوان: قصيدة وحي النهى، الذي لم يزد في عدد صفحاته عن خمس وعشرين (٢٥) صفحة، وكذلك في مخطوط ديوان: قصيدة وحدة الشعب، الذي لم يزد عدد صفحاته عن (٦٨) صفحة، فاهتديتُ إلى جمعهما في ديوان من نافذة الحياة، وأضفتُ إليهما قصيدة المقصورة نقلا من وحي العبقرية. وما فاض من ديوان بين الفقه والأدب من مطارحات فقهية وأدبية فأصبح حجمه في حجم الدواوين الأخرى. وبذلك عاد الديوان إلى الوجود بعد أن عادت إليه الروح الشعرية، ليبقى كما أراده أمير البيان سجلاً لطائفة من أشعاره، وشاهدًا على شاعريته.

ديوان الخيال الوافر

في ديوان الخيال الوافر وَجَدْتُ قصائد العلامة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان فوق الستين قصيدة بقليل، وقصائد الشيخ أحمد بن سعيد لم تزد عن اثنتين، وقصائد الشيخ عبدالله بن سعيد تسع، أما قصائد أمير البيان فقد زادت عن مئة قصيدة.

وهنا ساعد التبويب الموضوعي في تخفيف عدد قصائد أمير البيان، حيث نقلتُ عددًا منها إلى دواوين أخرى. وفي نفس الوقت رفعتُ عدد قصائد الشيخ المحقق بما ضَمَمْتُهُ إلى أشعاره من قصائد وجدتها في المخطوطة التي اعتمدها الباحث عادل بن راشد المطاعني، الذي جمع قصائده وأصدرها في ديوان من تحقيقه. وبذلك توازنت كفتا ديوان الخيال الوافر حيث ارتفع عدد قصائد الشيخ المحقق إلى عدد مقارب لقصائد أمير البيان وانحصرت بينهما القصائد القليلة

للشيخين أحمد بن سعيد وعبدالله بن سعيد.

ويُمَثِّلُ هذا الديوان سجلاً أدبيًّا جامعًا لنماذج غنية من شعر العلامة المحقق وولده الشيخ عبدالله بن سعيد الذي يأتي على رأس قائمة كبار الشعراء، يشهد بذلك ما بقي من شعره الجزل. وكان له ديوان شعر كبير، لكنه فُقِدَ بسبب ما قيل أنَّ نجله الإمام محمد بن عبدالله الخليلي (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م-١٣٧٣هـ/١٩٥٥م) تَحَفَّظَ عليه فَفُقِدَ.

وقد استفهمت عن هذه الواقعة الشيخ الشاعر محمد بن عبدالله بن علي الخليلي فقال: "سمعنا بأن الإمام لم يرتضِ ما في ديوان أبيه من أشعار غزلية".

ولا شك أنَّ تحفُّظ الإمام على ديوان أبيه كان باعثه رؤيته التعففية التي تَقْبِسُ نورها من قول الله تبارك وتعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تَرَ أنهم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾. وإلا فإنَّ المتبقي من شعر الشيخ عبدالله بن سعيد فيه ما يكفي من الدلالة على ما كان يتمتع به من حصانة دينية. ويا لسبحان الله، فقد أَبْقَى عزَّوجل من شعر هذا الشيخ ما يشهد على نقائه، وسمو خلقه، ففي قصيدة بعنوان: زجْرُ الشباب، واردة تحت رقم (٦) ضمن أشعاره في ديوان الخيال الوافر، يقول:

زَجَـرْتُ شبابي والشبيبةُ تُزْجَرُ ... وَوَقَّـرْتُ شيبي والمشيبُ يُوَقَّرُ
ســوايَ بـنـيـران الـغـرام مُـعَـذَّبٌ ... وغـيـري بـأذيـال الصِّبا مُتَعَثِّرُ
فَأَلْبَسْتُ دهـري كلَّه حللَ التقى ... فـذَيْـلـيَ مـن كـل العيـوب مُطَهَّرُ
أمِـثْـلـيَ يُعْطي الغانيات زمامه ... وهل صاد ليثُ الغاب قبليَ جُؤْذُر
أَلَـمْ تَـدْرِ أنـي ما أُحَـرِّكُ ناظري ... لِمَا لم يكن لي فيه عِـزٌّ ومَفْخَر

ويقول في قصيدة بعنوان: الحاسد، الواردة تحت رقم (٤):

فلاقـدمي تـسـعى لـغـيـر جـمـائـلٍ ... ولاقـلـمـي يَـجْـــري بـغـيـر فـوائـــدِ
فليس لغير الْمجـــد أمري بـنـافـذٍ ... وليس لغير الجـــود مالي بـنـافـدِ
رعيت الورى طرا على قـدر حالهم ... وأصبحت للإخـــوان كابْنٍ ووالـدِ
أبَحْتُ لهم مـــالي وَوَفَّـرْتُ عرضهم ... وحاميتُ عـنـهـم غائبا مثل شاهـدِ

العمل في أشعار الشيخ المحقق سعيد بن خلفان

أمَّا بخصوص تصحيح أشعار العلامة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان، اتصلت بالشيخ محمد بن عبدالله الخليلي ملتمسا أصلا أرجع إليه، فأمدني بصورة من نسخة لمخطوطة شعر الشيخ المحقق اعتمدها الباحث عادل بن راشد المطاعني، الذي جمع شعره وجعله تحت عنوان: (ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي)، وصدر في طبعته الأولى سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

وذكر الأستاذ عادل في مقدمة تحقيقه، أنه حَصَرَ المخطوطات المتوفرة لشعر الشيخ المحقق، فوجد عددها ١٢ مخطوطة، موجودة في مكتبات خاصة وحكومية، واطلع عليها وفحصها، ووجد أعلاها قيمة تلك الموجودة في حوزة مكتبة أبناء الشيخ سعيد بن سالم بن محمد الرواحي رحمه الله تعالى، لأسباب وجيهة عديدة ذكرها، وفي مقدمتها أنَّها الأقرب من غيرها إلى عصر العلامة المحقق رضي الله عنه.

بناء على ذلك اعتمدت على الديوان الْمُحَقَّق وصورة مخطوطته الأم في تصحيح ما وجدته من أخطاء صريحة في رسم مفردات قصائد الشيخ، ونَبَّهْتُ في الحاشية إلى ما وجدته من اختلاف بين منسوخ القرص مع ما هو مرسوم في نسخة الديوان ومخطوطته، كما لم أغفل التنبيه على ما وجدته في بعض الحالات من اختلاف بين الديوان ومخطوطته.

وقد أتاح لي الديوانُ المُحَقَّق والمخطوطةُ سد النقص في مجموع أمير البيان من قصائد جده العلاَّمة سعيد بن خلفان. فأضفت إلى ديوان الخيال الوافر القصائد التي تفردت بإيرادها المخطوطة.

وأود أن أضع أمام نظر القارئ الكريم ملاحظة تتعلق بمنهج إيراد قصائد الشيخ المحقق في ديوان الخيال الوافر، فأمير البيان جعل عناوين لقصائد أجداده وقصائده. بينما لم يفعل ذلك الأستاذ المطاعني في ديوان الشيخ المحقق، فقد اعتمد منهج الأرقام التسلسلية فقط من غير عنونة للقصائد.

أما أنا فاعتمدت المنهجين، حيث وضعت لكل قصيدة رقما بجانب عنوانها. وهو منهج التزمته في الموسوعة الشعرية لأمير البيان كلها. لكن أرقام القصائد لا تعني تسلسلها عبر الديوان كله وإنما عبر الموضوع الذي تندرج تحته. وبالنسبة للقصائد التي نقلتها إلى ديوان الخيال الوافر عن المطاعني أو عن نسخة المخطوطة فقد وضعتُ لها عناوين من عندي وبيَّنْتُ ذلك في الحاشية.

وكل قصيدة وردت في القرص وفي الديوان ذكرتُ تحت عنوانها أو في الحاشية ترتيبها التسلسلي في الديوان، دون مساس بموضع ورودها في القرص، ولهذا السبب سيجد القارئ عند المقارنة عدم اتفاقٍ في ورود القصائد بين ديوان الشيخ المحقق وديوان الخيال الوافر، فما يكون

منها في مقدمة ديوان الشيخ المحقق قد يكون في ديوان الخيال الوافر في الوسط أو المؤخرة، والعكس.

وكل قصيدة لم أذكر رقم ورودها فمعناه أن المنسوخ في القرص الممغنط تفرد بها. وكذلك هناك قصائد وردت في ديوان الشيخ المحقق ولم ترد في القرص الممغنط فنسختُها إليه وقدمتُ لها بالقول أنها لم ترد في القرص وأنني نقلتها من الديوان. وبعملي هذا أرجو أن يكون ديوان الخيال الوافر قد حوى ما وصل إلينا من شعر الشيخ المحقق.

اتسمت المادة الشعرية للشيخ المحقق بالثراء الموضوعي، فديوانه تضمن قصائد دينية تعرض لقضايا عقدية مثل قصيدة: البلكفة، التي كتبها يرد بها على عقيدة الوهابية في رؤية الله تعالى. وهي تعكس وطأة الغزو الوهابي لعمان في تلك الفترة. وقصائد في مجال السلوك إلى الله تعالى مثل قصيدة السموط.

وقصائد تعليمية فقهية مثل قصيدة (لطايف الحِكَم في صدقات النَّعَم)، وقصائد تعليمية أدبية مثل قصيدة (مُظْهِر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي)، وأجوبة نظمية على أسئلة وردت إليه من بعض السائلين.

وقصائد تاريخية توثق لحقبة هامة من تاريخ عمان خلال فترة دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م-١٢٨٧هـ/١٨٧١م)، وما واجهته عمان خلال تلك الفترة من الأخطار السياسية الداخلية والخارجية. وبهذا فديوان الشيخ المحقق مصدر هام لتاريخ عمان في تلك الحقبة.

وأود أن أُوَضِّحُ كذلك بأن ما تضمنته الحواشي من تعليقات على قصائد

الشيخ المحقق كان مصدري فيها كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان للإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، الذي نشره زاهر وزهير بن سعود بن حمد بن عبدالله السالمي، بدون تاريخ نشر، وكتاب نهضة الأعيان بحرية عمان للشيخ أبي بشير محمد شيبة بن نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، طبعة دار الكتاب العربي بمصر بدون تاريخ نشر، وكتاب تاريخ عمان السياسي للأديب المؤرخ عبدالله بن محمد الطائي، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمَّان الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٦م. ونسخة مصورة لكتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ سالم بن حمود السيابي.

أما في المعارف الدينية خاصة الشروحات على قصيدة (لطايف الحِكَم في صدقات النَّعَم) فقد رجعت إلى كتاب معارج الآمال للإمام عبدالله بن حميد السالمي، الجزء الخامس عشر، طبع وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

وفي شروحاتي على قصيدة (مُظْهِر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي) رجعت إلى أكثر من مصدر أولها الكتاب الذي نظم الشيخ المحقق محتواه في هذه القصيدة وهو: كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبَّاد القنائي المعروف بالخوّاص (المتوفى سنة ٨٥٨هـ)، تحقيق الدكتور عبدالمقصود محمد عبدالمقصود، نشر مكتبة الثقافة الدينة، بورسعيد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. وبجانبه مصدر عروضي آخر هو: كتاب الكافي في العروض والقوافي لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب الشيباني المعروف بالتبريزي (توفي سنة ٥٠٢هـ)، تحقيق: الحسَّاني حسن عبدالله. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة،

الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

وحين يمثل ديوان الخيال الوافر بين يدي القارئ ربما يتساءل:

لِمَ حرِصَ أميرُ البيان على ضم أشعار آبائه ضمن ديوان من أعماله الشعرية الكاملة؟

والجواب أنه أراد أن يكون شعر جدوده مطبوعا متداولا بين أيدى القارئين والباحثين، لكنه رأى عدم إمكان إفراد شعر جده أحمد بن سعيد، وشعر جده عبدالله بن سعيد بديوان مستقل لكل منهما لقلة عدد قصائدهما الواصلة إليه كما سلف ذكر ذلك. فلهذا جمع قصائدهما وقصائد أبيهما سعيد بن خلفان ونشرها ضمن ديوانه هذا: الخيال الوافر، حفظا لما بقي من شعرهم وإتاحته للأجيال. كما أنَّ جَمْعَ أمير البيان لشعر أجداده ونشره ضمن ديوان من دواوينه يتيح لقارئي الشعر ومتذوقيه، ودارسي الأدب وناقديه، معرفة سلسلة نسبه العلمي والأدبي. وهي السلسلة التي وصفها في مقصورته بقوله:

سلسلةٌ من راشدٍ فمرشدٍ فصالحٍ فمصلحٍ فمُرتضى

نعم هكذا يظهر لي، فالشيخ عبدالله هو امتداد لقامات سامقة في أسرة تضربُ أعياصُها في نواة أديم المجد العريق، ومنابت الشرف المكين، كما وَصَفَ تماما:

إنْ يكنِ الفخر بجدٍّ وأبِ فمحتدي كالشمس منبع الضيا
وإنْ يكنْ بشرفٍ مُكْتَسَبِ فمكسبي أشرف مِمَّا يُقْتَنَى

فجدُّه لأبيه عبدالله بن سعيد عالم وشاعر وزعيم، وجده لأمه أحمد بن سعيد عالم وشاعر، وأبوهما سعيد بن خلفان عالم ربَّانيٌّ محقق، وشاعر مفلق. وبهذا الاعتبار ساغ طبع أشعار آبائه وإصدارها ضمن أعماله الشعرية الكاملة. خاصة أن أولئك الرجال رحلوا من هذه الدار

دون أن تَجْمَعَ أشعارُهم دواوين مطبوعة.

وجهد أمير البيان في هذا الاتجاه بقدر ما يمثّل برَّه ووفاءه لآبائه، فهو يمثل أيضا خدمة للتراث العلمي والأدبي لرجال أغنوا المعارف العلمية والأدبية في عمان. وهذا عمل لا يستشعر أهميته وجدواه إلا من له انتماء للعلم والأدب ومشتغل بهما كأمير البيان رحمه الله تعالى.

مصادر التحقيق

سيجد القارئ الكريم مَسْرَدًا للمصادر والمراجع في ذيل كل ديوان من الدواوين، لكنني تعمدتُ ذكر بعض المراجع آنفًا لأنني تجنبتُ ذكرها في حواشي بعض القصائد خاصة الفقهية والعروضية تفاديًا لتكرار ذكرها عند كل حاشية، وما أكثرها إذ يكاد لا يخلو بيت منها. ولو التزمتُ ذكرَ المراجع عند كل تعقيب لأَثَّرَ ذلك على وضع المتن. أضف إلى ذلك أن كثيرًا من المعارف التي تتضمنها الحواشي هي من قبيل المعارف التي تستغني بشهرتها عن التوثيق.

نظرة على عطاء أمير البيان

عَرَفَ الناسُ الشيخ عبدالله بن علي الخليلي شاعراً من طراز الشعراء الكبار. وربما لم يَعْرِفْ سوى النخبة من أهل العلم في عمان أنَّه بجانب كونه عَلَم أدَب وبيان، وعالم لغة، هو كذلك من علماء الفقه والتاريخ. وإنَّ من يقرأ دواوينه اليوم يجد عَلاَّميته تَتَبَدَّى في الكثير من قصائده. وهو في شاعريته قمة شامخة، ما من شعراء يمكن أن يُضَاهَى بهم إلا شعراء العربية الكبار.

وبالرغم من أن ديوانه ينضح في جزء كبير منه بروح الداعية المسلم

المتمسك بأهداب الدين، إلاَّ أنَّـه في تمسكه لم يكن على منوال البعض من أضرابه المتقدمين والمعاصرين، الذين لم يبرحوا بعقولهم الحيِّـز الذي التزموه، إلى آفاق الفكر الواسعة، معتقدين أنَّ ما ارتضوه من الإنغلاق يمثل التزاما دينيا محمودا حسب تصورهم.

لقد كان أمير البيان بخلافهم، إذْ لم يَـرَ التديُّنَ شرنقة يتقوقع المسلم داخلها مصطنعًا حاجزًا بينه وبين من سواه. فهو يقدم لنا فيما تناوله شعره من الموضوعات مستوىً قويماً من الفهم للدين، استمده من منبعيه الصافيين القرآن الكريم وسنة وسيرة النبي العربي العظيم، واستند في الفهم عنهما على عقل يسبر عمق المسائل قبل القول فيها برأي، وفهم يلم بتأويلات الآخرين، ويَسْتَبِيْنُ ما تحمله من مضمون.

وكل من نظر بفطرة سوية، وعقل متجرد، وفِكْرٍ لا ينحاز إلا إلى مقاربة الحقيقة، يخرج بخلاصة أنَّ الدين -كما قرر لهُ شارعُه عزوجل- صالحٌ لكل زمان ومكان، ومستوعبٌ لكل مستجدات الحياة، ومُلَبٍّ لكل حاجات الإنسان، ومستجيب لكل المواقف والقضايا التي تعرض له، وذلك لأنه قانون الصانع لصنعته، ولأن نصوصه المقدسة تنفتح أمام العقل البشري بآفاق تأويلية واسعة. وهذا المعنى هو ما يجده دارس أدب الشيخ عبدالله متجليًا في قصائده التي سجَّلَ فيها نظرته ومواقفه حيال ما وقع في تاريخنا من إشكالات دينية تاريخية.

ومن غير شك فإن هذه الحرية الفكرية لدى أمير البيان تعززت بممارسات أسلافه للاستقامة الدينية، وأعظمهم جده البعيد الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧-٢٧٢هـ / ٨٥١-٨٨٦م)، وجده الأوسط العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي (١٢٣١هـ-

١٢٨٧هـ)، وجده القريب الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان، وعمُّه الإمام محمد بن عبدالله الخليلي (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م-١٣٧٣هـ/١٩٥٥م). ففي سير هؤلاء الأعلام ما أَهْدَى له أسس الاعتدال في الرأي والسلوك وحرية الفكر. فالإمام الصلت بن مالك الذي يُعَدُّ أحد كبار أئمة الدولة العمانية التاريخية سجل التاريخ موقفه الإيجابي من قرار عزله الذي نهض به أهلُ الحَلِّ والعَـقْـد في زمنه.

فحين علم بعزمهم عَـزْلَـهُ خرج من بيت الإمامة تاركاً فيه متعلقات إمام الدولة، وآخذًا أشياءه الخاصة، واتجه للإقامة في بيته معتزلاً منصبه، نزولاً منه على قرارهم بلا ممانعة أو اعتراض، رغم أن ذلك كان في إمكانه، لأن أصحاب الحَلِّ والعَـقْـد انقسموا إلى فريقين متضادين، الأول ينادي بعزله لأسباب تتعلق بطول مكثه في المنصب وكبر سنه.

والآخر يعارض العزل، ويرى عدم ملاءمة تلك الأسباب لعزله، حيث لم يظهر من أقوال الإمام وأفعاله وسلوكه ما يشير إلى تأثير كبر السن على أدائه لواجبات الدولة.

وبهذا التصرف الرشيد أرسى هذا الإمام -لأول مرة في تاريخ الحكم الإسلامي فيما أعلم- مَبْدَءًا من مبادئ الديمقراطية في الحكم، وهو انصياع الحاكم لإرادة الشعب. وما كان له أن يقف هذا الموقف الذي استمده من مقتضى نصوص الإسلام على وجوب نهوض الراعي بأمانة الحكم، ورد الأمانة متى وجب عليه ردُّها، لولا ما تمتع به من فهم قويم لأحكام الدين، ولولا حرصه على ممارسة الإستقامة الدينية في أنقى صورها وأجلى أمثلتها. وأمير البيان ينحدر من صلب هذا الإمام رحمة الله عليهما.

وكذلك فعل الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي (١٢٣١هـ-١٢٨٧هـ)،

الجد الأوسط لأمير البيان، فحين ساءت أحوال عمان سوءً بالغًا في عهد السلطان ثويني بن سعيد بن سلطان (١٨٥٦م حتى ١٨٦٦م)، ونجله سالم بن ثويني (١٨٦٦م حتى ١٨٦٨م)، بسبب نفوذ الوجود البريطاني، وتغلغل الغزاة الوهابيين السعوديين في عمان واستيلائهم على مناطق الظاهرة وجعلان وصور، في ظل هذا الوضع الخطير استشعر الشيخ المحقق مسؤوليته الشرعية حيال وطنه وأمته بصفته شيخ الإسلام في وقته، فتحرك لإنقاذ البلاد، ورأى أنْ لا مناص من نصب إمام للدولة تخليصا للبلاد من قهر النفوذ البريطاني، وطرد الغزاة الوهابيين، حفظا لحوزة الوطن وحماية للمواطنين من غدرهم وبطشهم.

وكان أمام نظر الشيخ المحقق كثيرٌ من رجال قبيلته بني خروص، وبني الحارث بن اليحمد وغيرهم يصلحون لهذا المنصب. لكن المحقق لم ينبعث في نهوضه بهذا الأمر بباعث من بواعث المنفعة الخاصة، وإنما تجرَّدَ مخلصاً للّه تعالى، ثم لوطنه وأمته. وحسب المعلومات التاريخية المتداولة شفهيا أن الشيخ المحقق عرض الأمر أولا على السيد تركي بن سعيد ليأخذ له البيعة بالإمامة لكن تركي أبى، فاتجه نظر الشيخ إلى رجل آخر من رجال الأسرة الحاكمة هو السيد عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي. فَبِنَصْبِهِ لِعَزَّان إماماً (١٢٨٥/١٢٨٧هـ - ١٨٦٨/١٨٧١م)، أبقى الشيخ المحقق حكم عمان في سلالة المؤسس لدولة آلبوسعيد الإمام أحمد بن سعيد.

ويمثل موقفه هذا اعتداله في النظر في الأمور، بإبقائه الحكم في يد من يرون أنهم أهله، ما كان ذلك موافقاً لمبادئ الشرع، ومحققاً للمصلحة الوطنية. وهكذا أضاف الشيخ المحقق ممارسة أخرى من ممارسات الاستقامة الدينية لرجال أسرته.

كما أن الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان، الجد المباشر لأمير البيان، قام بأدوار وطنية مُـقَـدَّرَة، إذْ ظلَّ يعمل كجسر صلة بين دولة السلطنة ودولـة الإمامة، مع وفائه بما التزم به تجاه الحكومة السلطانية حتى في أحرج الظروف، رغم الذي طال والده الشيخ المحقق من العواقب الوخيمة بسبب نصبه إمامة الإمام عزان.

وهذا يدل على أنَّ هـؤلاء الرجال لم يجعلوا مصالحهم الخاصة في الاعتبار الأول، وإنما قدَّموا إخلاصهم للّه تعالى، ثم لدولتهم الوطنية وحاكمها سلطاناً كان أو إماماً، وهذا مستوى قَـيِّم من الفهم في الدين، وصدق في الاستقامة على مبادئه وانتماء وطني مثالي.

من هنا فلا بِدْعَ أنْ نجد أمير البيان في ديوانه الشعري مفكراً حراً محلقاً في سماوات الفكر الخلاَّق، على أجنحةٍ من التزام إيماني تعضُدُهُ استقامةٌ دينية، وولاء وطني، ورؤى فكرية ثريةٍ تنبعث فيً نفسه من رؤية الدين الواسعة للكون والحياة، ومَحْمَلٍ لغوي بياني أفرغ فيه رؤاه بقوالب بيانية بديعة تأخذ بمجامع النفوس، وترسم إطاراً لفكر واضح المعالم محدد السمات، من أبرز مظاهره الـتَّـواؤُم بين مقتضيات النص الديني وبين ما يفرزه دولاب الواقع من مُـتَـغَـيِّـرَات.

وهـو فـي المجرى الثقافي العـام مثقفٌ منفتح بوعي وإدراك على مستجدات الأدب والثقافة، مقدماً الأسوة لما ينبغي أن يصير إليه تعاطي المثقف العربي مع التطورات الثقافية، فلا يكون إمَّعَةً يستنسخ رؤى وأنماط الآخرين، ويَسْـتَـنْبِتُها في الثرى الثقافي العربي من غير ما تمييز بين ما يتواءم منها وما لا يتواءم مع مقتضيات الهوية الثقافية العربية. كما لا ينزوي عن معطيات محيطه الإنساني انزواء المنغلق على ذاته غير آبه بما لدى الآخرين من رؤى وأفكار بـنَّـاءة.

هنا نجد أمير البيان على وجاهته العروبية، ووقاره الإيماني، قد ولج ميادين أدبية لم يسبقه إليها أحد من روَّاد الأدب العماني ممن هم على طرازه الأدبي ومستواه الاجتماعي.

فقد كتب القصة، على الرغم من كون هذا الفن في مبدئه وأسلوبه وأهدافه يعد طارئاً على الأدب العربي حسبما يرى عدد من الدارسين لتاريخ الأدب. إلا أنَّ تجربة أمير البيان في هذا المجال تنبئك كيف يمكن للمثقف المنتمي أن يتفاعل بإيجابية مع معطيات الثقافة الإنسانية، وكيف يُـوَظِّفُ تفاعله بما يخدم أهداف أمته في الحياة، ويزيد من تطور حركتها الثقافية.

وهنا أقول: إنَّ ثراء المنجز الأدبي لأمير البيان ما من منجز يوازيه في نظري عند أدباء عمان إلا الشيخ ناصر بن سالم بن عديِّم الرواحي الذي جمع في نشاطه العلمي بين علو كعبه في علوم الشريعة، وفحولته الشعرية الباذخة، جنباً إلى جنب مع اشتغاله بالسياسة، وبالكتابة الصحفية. وقد اتخذه أمير البيان نبراس تجربته الأدبية كما ذكر ذلك في حديثه المنشور في الملحق الأدبي الخاص عن حياته وأدبه.

ولم تكن القصة الجنس الأدبي الحديث الوحيد الذي جرَّب الكتابة فيه، وإنما له تجربة كذلك في كتابة القصائد المسرحية جرى فيها على منوال أمير الشعراء أحمد شوقي وأضرابه. كما أنه اطلع بعمق على تجارب روَّاد الشعر المرسل وما يسمى بالشعر الحديث، وخرج برؤية مستنيرة لمغزى ذينك النوعين من الكتابة الشعرية وضعها في مقدمته لديوانه: على ركاب الجمهور، الذي يمثل تجربته في كتابة الشعر المرسل. ولأستاذ الأدب العربي الدكتور أحمد درويش، دراسة واسعة وقيمة لتجربة أمير البيان في هذا المجال. ويمكن للقارئ

أن يقف على مضمونها والنتائج التي توصلت إليها حين يطالعها في الديوان المذكور آنفا.

إنَّ أغزر عطاء أمير البيان يتمثل في الشعر العربي بأغراضه المألوفة وفنونه المعروفة. ففي مجال الأغراض الشعرية لم يترك غرضاً إلا وكتب فيه إلاَّ الهجاء فقد ترفَّعَ عنه وأبتْ نفسُه أن يذكُرَ أحداً إلاَّ بأحسنِ ما سمع وعرف عنه. فنجد في ديوانه:

- **شعر السلوك (التصوف).**
- **شعر المديح النبوي، وشعر المواعظ الدينية.**
- **الشعر الوجداني والاجتماعي، وشعر الحكمة والتأمل.**
- **شعر الغزل.**
- **الشعر الإخواني، وشعر الرثاء.**
- **الشعر الوطني والقومي والافتخاري.**
- **الشعر الفقهي (تبادل الأسئلة والأجوبة الفقهية مع كبار علماء وفقهاء وقضاة عصره).**
- **شعر المطارحات الأدبية مع كبار الأدباء والشعراء في عمان والدول العربية.**
- **شعر الملاحم التاريخية، والشعر المسرحي، والقصصي.**
- **وفي مجال الفنون الشعرية نجد في ديوانه:**
- **التخميس.**
- **المسبع.**
- **التشطير.**
- **والموشح.**

وتواصَلَ عطاؤه طيلة سني عمره الذي امتد لثمانين سنة، وهو عطاءٌ وفير في كميته، غزير وعظيم في فَـنِّـيَـتِـه، له إضافاته القيمة في أدب اللغة العربية وبيانها. ولكن إبداعاته لم تحظ بالذيوع والانتشار بين بني قومه العرب، لأسباب تاريخية تتصل بأوضاع عمان في فترة ما قبل عام ١٩٧٠م، وعدم توفر مؤسسات تتولى نشر الإبداعات العمانية العلمية والأدبية، وهو أمر أدى إلى قصور الدراسات العربية عن تناول النتاج الأدبي العماني.

ولكن منذ بدء العهد الزاهر لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد حفظه الله ورعاه الذي اختط سياسة أعادت لعمان مكانتها في محيطها القومي والدولي، وأضافت لمجدها مجداً مستقلاً في شكله وعطائه، متصلاً بفكرها وتراثها الحضاري في لبنات أساسه. فبفضل هذه السياسة انْـفَـتَـحَ بابٌ واسع من التلاقي والتلاقح بين ثقافة وأدب عمان وثقافة وأدب أشقائها في المحيط العربي. وتعزز ذلك بإنشاء جلالة السلطان المعظم لـوزارة التراث القومي والثقافة في أبريل من عام ١٩٧٦م، والنادي الثقافي عام ١٩٨٣م، والمنتدى الأدبي عام ١٩٨٥م، وجامعة السلطان قابوس عام ١٩٨٦م.

من هـذا الباب تعرَّف بعض أساتذة الأدب العربي على أدب عمان وقاماته السامقة، بعد أن وفدوا للعمل كأساتذة في جامعة السلطان قابوس، فعرفوا منزلة أمير البيان في ساحة الأدب العماني ورتبته بين عظماء الشعر العربي من جيله. وكتبوا عنه وعـن أدبـه بعض الدراسات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، والمقالات الصحفية: مثل الأستاذ الدكتور أبي همام عبداللطيف عبدالحليم، في كتابه بعنوان: في الشعر العماني المعاصر، الصادر في طبعته الأولـى عن مكتبة

النهضة المصرية بالقاهرة والأستاذ الدكتور أحمد درويش في كتابه تطور الأدب في عمان، الصادر عن دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، وكذلك دراسته لتجربة أمير البيان في شعر التفعيلة الواردة في ديوان على ركاب الجمهور، والإذاعي المصري الأستاذ عبدالوهاب قتاية في برنامجه الإذاعي بإذاعة أبوظبي، والدكتورة الكويتية نورية الرومي في دراستها حول أدب الشيخ عبدالله الخليلي وغيرهم. وفي لقاء جمعني بها في الكويت ذكرت بأنها أعدَّتْ دراستها عنه وعن أدبه عن معاينة ومجالسة حيث نزلت ضيفة في منزله بسمائل بين أسرته مقيمة عندهم لأيام.

هذا بجانب الدراسات التي أعدَّها دارسون عمانيون مثل الدكتور سالم بن سعيد بن خميس العريمي في دراسته: الظواهر الفنية في شعر عبدالله الخليلي، والشاعر المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي في دراسته: فلسفة الإبداع عند الخليلي، المنشورة في الملحق الصحفي الخاص عن حياة وأدب أمير البيان الذي أصدرته جريدة عمان في اليوم التالي لوفاته رحمه الله أي بتاريخ ٣١ من يوليو سنة ٢٠٠٠م، وكتابه الذي أعده للندوة التي نظمتها في الكويت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في أبريل عام ٢٠١٥م، حول المسيرة الشعرية لأمير البيان، وكان بعنوان: "عبدالله الخليلي كلاسيكية متجددة". والأستاذ عثمان بن عبدالله الزدجالي في برنامجه التلفزيوني: إضاءات على عطاءات الشاعر عبدالله بن علي الخليلي والذي تم عرضه عبر شاشة تلفزيون سلطنة عمان، وسعيد بن سالم النعماني معد ومحرر الملحق الصحفي الخاص عن حياة وأدب أمير البيان المشار إليه آنفا، وتحويله الملحق فيما بعد إلى

كتاب أصبح متداولاً بين أيدي الناس بعنوان: أمير البيان في ذكراه.

بعض الملامح الموضوعية في شعره

في سياق الحديث عن عطاء أمير البيان في مجالات الشعر العربي فإنَّ أحد أظهر ملامح شعره يتمثل في جمعه بين التزامه بثلاثة مبادئ كوَّنَتْ شخصيته الإنسانية، وهويته المعرفية، وميَّزَتْ عطاءه الأدبي، وهي:

- التزامُه بإيمانه بعقيدته الدينية قولا وعملا.
- التزامه بانتمائه القومي أملا ومصيرا.
- التزامه بموجبات الإبداع الشعري قيمة وفنا.

من غير أن يلمح القارئ تأثيرا تَـمَـرُدِيًّا من الثالثة على الأوليين، ولا سطوةً وإقصاءً من الأوليين على الثالثة. فإن كثيرا من شعراء العصر الحديث اتخذوا من الشعر عقيدة بحد ذاته، ونظروا إلى الشاعر بعين القداسة، وجعلوا له حصانة تعلو به عن المساءلة عن التجديف، مندفعين في ذلك بنزعتين، تنبع الأولى من استغراقهم في الحالة الشعرية استغراقا يُغَـيِّبُ العقل. وتنبع الثانية عند بعضهم من لا إيمانهم، أو إيمانهم بمعتقدات مغايرة فيتخذون الشعر وأجناس الأدب أداة لإقصاء ما يخالف فكرتهم.

وهناك أيضا شعراء غَـيَّـبُـوا القيمة الجمالية للشعر، باحتكامهم إلى تأويلات تحدد أصل الإباحة المطلق في عدد محدود من الأشياء وفق نظرتهم الزاهدة في متعة الحياة، خلافا للقاعدة: لا حرمة إلا بدليل. وهناك فريق آخر اتخذ الشعر مطية لولاءات سياسية ومذهبية.

أميرُ البيان بخلاف أولئك، إذ لا يوجد شيء من النشاز في صوته الشعري. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على إيمانه بالجمال كقيمة

أصيلة في الحياة، وأنَّ ما حصَّله من فقه كانت بصيرته الراشدة بين يدي ذلك التحصيل، وهو ما أهَّـلَهُ لتكون له رؤيته الدينية الإيجابية البانية لقيم الجمال، وأن الدين بإنذاره وتحذيره من اقتراف السوء وتنفيره منه، وأمره بالخير وتبشيره به، والدعوة إلى فعله والتمسك به، جاء ليزيد من جمال الحياة، وليحصر مساحة القبح فيها. وعلى هذا المعنى نجد الفكر الديني في شعر أمير البيان.

ونجد فيه أيضا التزامه بقيم العروبة من فروسية وشجاعة وشهامة وغيرة وإيثار، ومعارف أدبية وخبرات حكمية، وسلوكات نبيلة، أقر الدين ما هو حميد منها. فَمَـجَّدَها الشيخ في شعره بتمجيد الدين لها. هنا لا نجد في فكر أمير البيان فرقا بين العروبة والإسلام. وإذا ما تخلَّفت العروبة عن الالتزام المثالي بمبادئ الإسلام يبقى الفرق عنده، طارئا وليس أصليا.

وفي مثل هذه الحالة لا نجد في شعره تشددا على العروبة، بل نجده مُسَدِّداً مُقارِباً، مُـعَـبِّراً عن الترابط العضوي بين القضيتين، كما في قوله في قصيدة بعنوان: إلى رجال الاستقامة، الواردة تحت رقم (٣) في ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني:

هـلُـمّ لنصر الله يـا خيـر أمَّـة ... بفضلهمُ القـرآنُ أعْـرب مُخْبِرا
هلم لجمع الشمل يا خير عصبة ... بهم أوْجَـدَ اللّه الكمالَ مُصَوَّرا
هـلـم لإعْـــزاز الـدّيَـانـة إنَّـهـا ... بصولتكم طالتْ وأكْبَـرَهـا الـوَرَى

شعره القومي

يكاد أمير البيان لم يَدَع في شعره القومي قضية من القضايا العربية إلاَّ وكتب فيها شعرا. ونشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى ما

في ديوانه من قصائد في هذا المجال تناول فيها قضية فلسطين، وقضية جلاء الجيش الإنجليزي عن مصر، وقضية السفينة المصرية كليوبترا. وقضية العدوان الثلاثي على مصر، ومعركة إجلاء القوات الفرنسية عن قاعدة بنزرت في تونس، وثورة الجزائر، وثورة العراق، وثورة اليمن، وثورة عدن، وغيرها من قضايا أمته التي كتب لها أكثر من ثلاثين قصيدة وقف فيها كتفا إلى كتف مع الثوار العرب أينما كانوا من أقطار الوطن العربي.

والملاحظ على شعره في هذا السياق أن موقفه من تلك الثورات كان موقفا مبدئيا من غير ما تحفظ على عقائدها السياسية المتباين بعضها عن مألوف الفكر العربي، والمتضاد بعضها مع العقيدة الإسلامية، فبعضها قومي اشتراكي، وبعضها شيوعي كثورة عدن مثلا. وما يمكنني أن أجيب به على هذه الإشكالية هو أن أمير البيان كتب قصائده في لحظة توهج الشعارات التي رفعتها تلك الثورات وكانت جميعها تنادي بزوال الاستعمار الجاثم على صدور العرب، وبالإمساك بسلطة القرار الوطني، وتَعِدُ بنهوض سياسي، واجتماعي، وعلمي، وحضاري يعيد للمواطنين كرامتهم، وللأوطان مكانتها العزيزة. فما كان لأمير البيان وهو العربي الأصيل ذو الحس القومي النزيه إلا أن يقف بشعره وشعوره وبكل ما يمكنه مع شعوب أمته في ثوراتها التحررية من سيطرة المستعمرين.

وهو أنزه من أن يُثْنِي على الممارسات السيئة لبعض من جلسوا على كراسي الحكم، وولغوا في دماء الأبرياء. على أنَّ ثورة عدن التي تعرف بثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م قد واجهها الاستعمار البريطاني إبَّانَ قيامها بحملات ممعنة في التنكيل، فتكت بالسكان الآمنين وشرّدت الآلاف

منهم. هنا يبدو طبيعيا أن يتعاطف الشاعر مع إخوانه في الدم. ولا يجوز للناقد أن يُحَمِّلَ الشاعر ما لم يتحمله. فإنَّ انحراف ثورة عدن حدث بعد أن انتصر قادتها واستلموا حكم ما كان يعرف باليمن الجنوبي تحت مسمى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، واتخذوا من الماركسية الشيوعية بتياريها اللينيني والماوي عقيدة سياسية انطلقوا بها لمحاربة دين الإسلام، وفتكوا بالمؤمنين، وأشعلوا الحروب مع دول الجوار، ثم أخذوا يغدرون ببعضهم البعض.

يظهر أمير البيان في شعره القومي مباركا حركة شعوب أمته في التحرر، ويستحث قادتها إلى الإمساك بزمام الشأن الوطني، ويذكرهم في قصائده بما أعلنوه من مبادئ سامية، ففي قصيدته: صرخة الفحول، الواردة تحت رقم (١٤) في ديوان وحي العبقرية، الجزء الثاني، والتي قالها سنة ١٩٥٢م يوم تفجرت ثورة ٢٣ يوليو في مصر، نجده يهيب بالزعيم العربي الكبير جمال عبدالناصر، وباللواء محمد نجيب وقد أصبح رئيسا لمصر أن يمضيا نحو تحقيق أهداف الثورة الناصرية في القضاء على الاستبداد والإقطاع، يقول رحمه الله:

آنَ آنَ الوثوب يا شعب فانهض ... بنجيب اللواء يوم اللقاء
وجمالٌ ومن كمثل جمالٍ ... لبناء الأجيال والأحياء
أيها الصامدان في لجب الثو ... رة من كل باسل بنَّاء
أنقذا في كنانة الله شعبا ... بات تحت الأملاك والدُّخلاء
واصرخوا صرخة النذير على الإقـ ... ـطاع حتى يبيد للانتهاء
وابعثوا من كنانة الله أروا ... حاً تَعَادَى تعادِيَ النَّكباء

ويمكن اعتبار ما قاله أمير البيان في شخصية الزعيم جمال عبدالناصر ملمحا قائما بذاته في شعره القومي، وذلك بالنظر إلى ثنائه عليه في كل

القصائد التي كتبها حول تصدِّي مصر لقضايا أمتها. وهو ثناءٌ أمْلَتْه عليه وعلى غيره من كبار شعراء العرب ما مَثَّلَتْهُ الشخصية القيادية لهذا الزعيم العظيم من حالة ثورية استثنائية، فقد أيقظ الضمير العربي، وجدد الشعور بالانتماء للأمة العربية وتاريخها الحضاري، وإمكاناتها العظيمة، ونجح في تأليف مشاعر المواطنين العرب من الخليج إلى المحيط حول فكرة الأمة، حتى غدا رمزا عروبيا التفَّتْ حول زعامته جميع الشعوب العربية. وكان صوت الأدباء أبلغ الأصوات التي مجَّدَتْ بسالته في مقاومة أطماع الدول الكبرى وتحكمها بمصائر ومصالح الشعوب، وكفاحه البطولي ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ونهوضه بمشروع وحدة الأمة العربية. وفي هذا السياق يأتي شعر أمير البيان ليعكس المكانة التي رقى إليها جمال عبدالناصر في الوجدان العربي. من ذلك قوله في قصيدة العدوان الثلاثي على مصر واصفا له بأنه: واحد الوعي. وهو وصف سيظل ينعت به جمال عبدالناصر حيثما ذكره في شعره، كما سيلي:

يا جمالَ العَرَبِ العَرْبَاءِ يا ... واحدَ الوَعْيِ بهذي العُصُر
أنت من أحرز للإسلام في ... قصبات السبق خير الصُّدُر

وقوله في قصيدة: كليوبترا النيل، واردة في ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني:

جَلَلاً أقَمْتَ فَقُمْتَ بالتَّجْليلِ ... وعُلاً أعَدْتَ فَعُدْتَ بالتبجيلِ
يا واحدَ الوعي الذي خطواته ... للسلم أبعد غاية المأمول
أجمال أنت الوَعْيُ حَرّرَ أمَّة ... من رِبْقَة المستعمر المخبول
فَغَدَتْ وقد عرف الجميعُ حقوقَها ... حرّية من نبع وادي النيل
وَغَدَتْ وكلٌّ في ربوع شبابه ... حرٌّ وأنت كمُقريء التَّنْزيل
يا منقذ الفصحى من التمثيل ... لمَّا استبدّ بها أولوا التمثيل
الغرب منك على لظى ... رَوْضٍ وظلٍّ للجلالِ ظليل
فانهضْ وسرْ فيه إلى الإكليلِ ... فلأنت أجدر منه بالإكليل

وقال في القصيدة رقم (١٥) بعنوان: الهمة الوثَّابة، في ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني:

يا جمال الوعي فصِّل جُملا ... من رموز الوعي تعني العربا
حاكها الدهر على أسطارها ... مغلقات مقفلات عجبا
لم يطق (فرعون) أو (هامانه) ... حل معناها كما قد كتبا
فأولاكم لعبوا دور البنا ... خالداً كالدهر أنى انقلبا
كأبي الهول وأهراماته ... لم تزل تطوي الليالي حُقُبا
وجمال شاد شعبا وبنى ... مجده حتى تسامى رُتبا
وبنى الشرق لأهليه وقد ... كاد جمع الشرق أنْ ينشعبا
تَوَّجَتْهُ آسيا تاج الثنا ... لحجا فيه عليها حدبا
ورعت إفريقيا في شخصه ... همَّة شمَّا وعزما غلبا
ورآه العالم الحر وقد ... حرر الأكثر ممن غلبا
فمضى يلحظه عن كثب ... ويراه الجوهر المنتخبا
ويراه الجوهر الفرد الذي ... صحب الدنيا سخاء وظبى

وقال في قصيدة بعنوان: جلاء الجيش الإنجليزي عن مصر، في ديوان وحي العبقرية ج٢:

يا جمال انهضْ على الغرب فقد ... كاد يطوينا عليه ذنبا
جثمت منه على أنحائنا ... صخرة المستعمرين الغرَبا
فاجْلُهُ من ساحة الشرق فما ... حمد الشرق له مُصْطَحَبا
يا جمال انهضْ بجيل صاعد ... صرخة الليث إذا ما غضبا
واسْتَعِنْ حتى بجبريل ومن ... معه للخصم أو ينسحبا

وقال عنه في قصيدة بعنوان: تأميم القناة واردة في ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني:

يا جمال قد طردت المعتدي ... عن حريم الأم إذ كنت أبا
وغسلت الأرض من مستعمر ... طامع بات يجر العطبا
يا جمال انهضْ إلى تأميمها ... شركات لعدوٍّ غصبا
واستغلَّت للقناة وهي إذْا ... ذاك كانت لمناها سببا
فهي شريان أروبا كلما ... لمست في متجر مُنْقَلَبَا
إنَّ خير الأرض مع أمواهها ... لبنيها طالما الخصم أبى
فلك الشكر على تأميمها ... إنْ تكُ الأمة ترعى العقبا

شعره الغزلي والوطني والوصفي

أستحسنُ في هذا المجال أن نأخذ مقطعين من قصيدتين وطنيتين إحداهما عن بلدته سمائل، والثانية عن وطنه عمان. ففي هاتين القصيدتين جمع ثلاثة فنون من الشعر: الوطني والغزلي والوصفي، رابطا بينها بأمشاج شعرية نابضة بوجيب قلب العاشق، وافتخار ربيب المَجْد، وراسما لوحة إبداعية مشعة بجمال الطبيعة، ومُبْرِزًا ملكته الشعرية المكينة. يقول في قصيدة: الصرح المُمَرَّد، الواردة تحت رقم (٧) في وحي العبقرية الجزء الثاني، واصفا سمائل وهي تتزين لاستقبال جلالة السلطان قابوس في زيارته لها لأداء صلاة عيد الفطر سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م:

رأتِ الجلالَ فأقْبَلَتْ تَتَبَخْتَرُ ... جَذْلَى يَنُوْءُ بها الدلالُ فَتَعْثُرُ
مِسْكِيَّة النَّسمات هاروتية اللد ... فتات تلعب بالنُّهى إذ تخطرُ
وَقَفَتْ على صرح يُمَرِّدُهُ الهنا ... عالٍ يَشِفُّ عنِ الجلال فَيُبْهِرُ
وبَنَتْ على أسس الملاحة عرشها ... فَغَدَتْ وعين الكون فيها تنظرُ
هذي سمائل لانْتِظار قدومكم ... تزهو وتصبح كل يوم تُزْهِرُ
كالروض بَاكَرَهُ الحيا فإقاحُهُ ... ثغْرٌ ونرجسه عيون تنظرُ

والآسُ من تحت النسيم كأنه ... قَدُّ يُقَدِّمُهُ الهوى ويؤخِّرُ
والياسمين على البنفسج طافحٌ ... والوردُ يَفْتَحُهُ الغمامُ ويَنْثُرُ
والزَّهر يلعب بالعقول شَذِيُّهُ ... ويعطِّرُ الكونين منه مُعَطِّرُ
فمن الطبيعة في رُباها نضْرَةٌ ... بيضا يُباركها الوجود ويُكْبِرُ
وكأنما نظراته في سوحها ... نِعَمٌ تَنَزَّلُ بالغمام فتمطرُ
وكأنها حسناء تُجْلَى للقا ... هذا يُغَنِّيْها وذاك يُكَبِّرُ
زِيْنَتْ فَزِيْنَتْ عِزَّةٌ فَتَبَسَّمَتْ ... وتَبَسَّمَ الملكوتُ وَهْوَ مُعَطَّرُ

ويقول عن وطنه عمان في قصيدة له بعنوان: الحضارة، واردة في ديوان وحي العبقرية الجزء الأول. أبرز فيها قدرته الأصيلة المتجددة في الجمع بين أكثر من فن شعري. يقول:

قُلْ لها يا نسيم والليل يطوي ... عن عيوني الضيا قليلاً قليلا
أنا من تَيَّمَتْهُ فاغيةُ الْـ ... ورد على وجنة الحبيب أصيلا
وأتاه الشقيق في حلل الفُـ ... ـل يروضُ الغرامَ خدًّا أسيلا
وبَرَاهُ بسيفه النَّرجس الغَـ ... ـضّ يسوق القضاء طرفا كحيلا
ودعاه الإقاح ثغرا شهيًّا ... جَرَّسَتْهُ السلاف شهداً عليلا
وثنَاهُ القضيب في الروض قَدًّا ... إذ غذاه الهنا كثيباً مهيلا
وترى الياسمين حُلَّةَ عُرْسٍ ... فَصَّلَ الآسُ وشْيَهاً تفصيلا
روَضَ أُنْسي وأرضَ عِزي سلاما ... وثناءً مُرتَّلاً ترتيلا
يا عمان الصمود كم قد تحَدَّ ... يْتِ سيوفاً دوليَّةً ورعيلا
ودحرت العدوان براً وبحراً ... وقهرت العدوَّ سيفاً صقيلا
وركِبْتِ العُزوم لله في الله ... وجُبْتِ الفضاء عرضاً وطولا
وامْتَطَيْتِ العُلى سناما وذلَّلْـ ... ـتِ هنيئاً قطوفها تذليلا
فجناه بنوك يَنْعاً كما شا ... ؤا لذا لم تجد بهم مَهزولا

شعره القصصي

إنَّ ما تضمنه شعر أمير البيان من مرامي قصص التاريخ العربي دَلَّ على سعة اطلاعه، وحسن فحصه لمعطيات ذلك التاريخ في ظل الإسلام، فقرر ما قرره عن رَوِيَّةٍ في النظر، وتقدير للأحوال والمقامات، مُغَلِّباً ما هو ملموس من آثار محاسن من مضوا على ما يُرْوَى من مساوئهم.

وعند هذا الملمح في شعره أجدني مضطرا لا مختارا إلى الإنعطاف بالحديث إلى الناحية المذهبية بقصد تبيان عمق رؤية أمير البيان، وسعة أفقه الديني. تَشِفُّ عن ذلك نصوصه الشعرية التي تتأكد خلالها روحه الدينية المتسامحة، بما لا يوجد مثلها إلا لدى القلة ممن نشأوا في مهاد ديني مماثل لنشأته.

وقد عرض في شعره القصصي من بين ما عرض لعهد الخلافة الراشدة، وخلافة بني أمية، وخلافة بني العباس. فنجد تقديره للخلفاء الراشدين جلياً، يمنحهم الرضا من نفسه، ويدعو لهم به من دون تحيز بالحب لأحدهم وتعصب بالبغض لغيره كما يفعل بعض آخر من المسلمين، يقول:

ورَقَّمَتْ آيُها في الخدّ كاتبةً ... وأطْرَبَ العيسَ حادي العيسِ بالنغم
ثم الرضا عن أبي بكر وعن عُمَرٍ ... ضَجِيْعَيِ المصطفى أكرم بقربهم
وعن فدائيّ خير الرسل في أحُدٍ ... وعن عليٍّ وعن عثمان ذي الكرم
والآل والصحب ثم التابعين فَهُمُ ... من روّضوا الخيل تحت السيف واللجم
وهم شموس الهدى في نورهم وهُمُ ... أهل التقى والنقا والحكم والكرم

ووجه الدلالة هنا في كون الشيخ من مذهب يرضى مطلقا عن أبي بكر وعن عمر. أما عثمان وعليّ فله مآخذ على بعض ممارساتهما في الخلافة. فهذا الموقف لأمير البيان فيه دلالة على حريته الفكرية وعدم خضوعه للتقليد. وهذا ما يحتاجه المسلمون لتتلاشى الفوارق بينهم ويلتئم شملهم.

وإذ يجمع المسلمون في الأغلب الأعم على موالاة وتقدير الخلفاء الراشدين الأربعة، إلاَّ أنهم عند خلفاء بني أمية وبني العباس يفترقون، فيواليهم بعض المسلمين، ويبغضهم بعض آخر. والمبغضون يمعنون في بغضهم لدرجة اللعن والمحاربة.

أما العمانيون فلهم مؤاخذاتهم على طريقة الخلفاء الأمويين والعباسيين في الاستيلاء على الخلافة، وعلى ممارستهم للحكم غير المتوافقة مع أحكام الدين حسبما يرون. لكنهم لم يزيدوا في معارضتهم عن إعلان موقفهم إبراء للذمة الدينية، ومع ذلك لم يَسْلَمُوا من صنوف الغزو والتنكيل. ومع ما قد نجده في بعض كتب العمانيين من نقد مرير لما حاق بهم من قبل رجال الخلافتين، إلاَّ أننا لن نجد بينهم من اتخذ لعن أولئك الخلفاء منسكا كما يفعل آخرون.

ومن المناسب هنا أن أشير إلى أنَّ أمير البيان سمَّى أحد أنجاله: عبدالملك، ثم لمَّا قدَّرَ اللّه للشيخ عبدالملك فرزقه ولدا سمَّاه أمير البيان سليمان، على غرار اسم الخليفة الأموي السابع سليمان بن عبدالملك (٥٤-٩٩هـ/٦٧٤-٧١٧م)، وهذا طبقا لما أخبرني به الشيخ عبدالملك بنفسه. وهذا شاهد من شواهد التسامح الذي تسري روحه في هذه الأسرة العلمية القيادية في المذهب الإباضي، وفي عمان كلها حيث تم إطلاق أسماء بعض الخلفاء الأمويين على مدارس حكومية كمدرسة عبدالملك بن مروان، ومدرسة الوليد بن عبدالملك.

كما أن هذا المذهب أمَدَّ الحضارة العربية منذ مبدأ الدعوة الإسلامية زمن النبي والخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكذلك في دولتي الخلافة الأموية والعباسية، برجال من القادة والوزراء وأئمة العلوم الدينية واللغوية والبيانية ما لا يقع ذكرهم تحت حصر هذه السطور.

ومع ذلك فإن الخلافتين الأموية والعباسية ظلتا تلاحقان الدولة العمانية بالغزو والحروب، كما فعل الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان والحملات المتوالية التي سيَّرها إلى عمان قائدُه الحجاج بن يوسف الثقفي وأدَّت إلى احتلال عمان وإسقاط دولة مَلِكِهَا سليمان بن عبَّاد الجلنداني المعولي في حدود سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م. وكما فعل الخلفاء العباسيون حين احتلوا عمان وأسقطوا دولة الإمام الجلندى بن مسعود الجلنداني المعولي (١٣٢-١٣٤هـ)، وبقيت حملاتهم على عمان تتوالى حتى أواخر القرن الرابع الهجري، وكان أشهرها في البطش والتنكيل حملة الوالي العباسي محمد بن ثور سنة ٢٧٢هـ. وما تلاها من حملات ظلت تخرج من مركز الخلافة العباسية إلى عمان منذ سنة ١٣٤هـ إلى سنة ٤٤٢هـ.

وكان هناك من بعض علماء الخلافتين الأموية والعباسية من أعان على حرب عمان وأهلها بما سطَّروه في كتبهم من أحكام بتكفير الإباضية، وإلحاقهم -زورا وبهتانا- بالخوارج، الأمر الذي أعطى الخلفاء إذنا شرعيا بشن الحروب على العمانيين بتلك الدعوى الباطلة، حتى أدى الحال بانحصار الإباضية في بلدهم عمان التي ظلت عصية على الغزاة، وإلاَّ فإنَّ المذهب الإباضي كان ذا نفوذ وسيادة منذ أخريات القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس في كل من الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وأذربيجان وليبيا وتونس والجزائر والأندلس، ولكن العصبية المذهبية أتت عليه في كل تلك المواطن وألجأت أغلبية أتباعه إلى تركه.

فكان الطبيعي لشاعر إباضي كبير وعالم بالفقه والتاريخ كأمير البيان أن يُـقَـبِّـحَ في شعره خلفاء بني أمية وبني العباس، ويُشَنِّعُ بسير من وقعت منه

شنائع وَثَّقَتْها مصادر تاريخهم. لكنه كان على العكس من ذلك، فشعره حافل بذكر محاسنهم. ففي قصيدة وجهها للعلامة السوري المحقق عزالدين التنوخي بعنوان: عواطف الإخاء، تجدها تحت رقم (١٣) في ديوان وحي العبقرية الجزء الأول، أثنى على بني أمية بن عبدشمس، كما أثنى على الخليفة معاوية بن أبي سفيان، حيث يقول:

أبناء سورية سُقْياً لكم أبداً ... ما ساقت المُزن من أثقالها جَوْنا
والله يحفظ منكم في عروبتكم ... ما كان يحفظ في موسى وهارونا
فاحْيَوْا وحَيُّوا على الزهراء زاهرة ... كالشمس مذ عبد شمس ما اختفت فينا
وباركوا تربة الفيحاء إنَّ لها ... حَقَّ الأمومة من عهد المُعاوينا

يقصد بالزهراء شريعة الإسلام التي يرى أنها كانت زاهرة كالشمس زمن دولة بني أمية بن عبدشمس الذين نماهم إلى معاوية بن أبي سفيان بقوله: المُعاوينا. بل واعتنى في شعره القصصي بإيراد تفاصيل النشأة الأسرية لرجال الخلافتين الأموية والعباسية. وما حفظته مصادر التاريخ من مفاكهاتهم الأدبية والفنية، والقَصَصِ الذي جرت وقائعه في قصورهم. وفي اهتمامه في شعره بشؤون حياتهم الخاصة، وهو من بيئة مذهبية بينها وبينهم ما هو معلوم من المعارضة والمناجزة، شاهدٌ من شواهد عدم حبسه لذهنه في ما جرى وكان من الأسواء، وعلى يُسْرِ تَدَيُّنِه وصدق تفويضه الأمور لمُقَدِّرها عزوجل، وتسامحه مع من احتفل بذكرهم في شعره رغم الذي وقع منهم على بلده وقومه، متذكرا محاسنهم، وضاربا صفحا عن مساوئ الماضي الذي لم يشهده، ولم يشارك في أحداثه التي انقطعت بانقطاع أهلها وانقضاء زمانهم، ومتطلعا لمستقبل يلتئم فيه شتات الأمة.

فمن قصص البيت الأموي عَرَضَ أمير البيان لعدد من القصص، منها قصة تزوُّج صخر بن حرب (أبوسفيان) لهند بنت عتبة بن ربيعة القرشية، التي أوردها في قصيدته: هند والكاهن، وما تضمنته تفاصيل تلك القصة من عفاف هند وطهرها من الفاحشة. وكان زوجها الأول: الفاكه بن المغيرة بن عبدالله المخزومي قذفها باتهام باطل، فآلت أن تكون براءتها شاهرة، فعرضها أبوها على كاهن في اليمن، فنفى عنها الكاهن التهمة، وقال لها ستلدين ملكا. وقد ذكر ذلك أمير البيان في قصيدته:

فقال لها قومي فما ثَمَّ وصْمَةٌ عليكِ ولا عـارٌ فَـنـعْـمَ الـتَّـرَفُّـعُ
ومَلْكًا من الأمـلاك مَـنْ تَلِدِيْنَهُ معاوية الشهم الفتى المُتَرَفِّعُ

وعند ذاك ندم زوجها على تسرعه وطلب رجوعها إليه فامْتَنَعَت منه، وطلبت من أبيها أن يأخذ رأيها فيمن يتقدم لخطبتها. فلما خطبها صخر بن حرب (أبوسفيان) أخبرها أبوها، فعبَّرَ أمير البيان عن لسانها بشعر فيه من الإطراء لأبي سفيان ولهند وحياتها الزوجية معه، ولولدهما معاوية، ما حملته الأبيات التالية:

فقالت له هذا هو الفحل فابْغِهِ وأحْـرِ بـه إنْـجـاب مـن أتَـوَقَّـعُ
فـزوَّجـهـا مـنـه فعاشت سعيدة لـديـه لـهـا مـسـتـقـبـلٌ لا يُـــرَوَّعُ
وعاش على أحضانها عَيْشَ شَيِّقٍ له في رياض الأنس مَغْدَا ومرتعُ
فعاشا هـنـاءً فـي هـنـاءٍ وأنجبا معاوية الفحل الذي ليس يُقْرَعُ

وصف معاوية هنا بقوله: "معاوية الفحل الذي ليس يُـقْـرَعُ". وفي مطلع القصيدة امتدحه بقوله: "معاوية الشهم الفتى المترفعُ". وامتدح أمَّهُ هند بطهارة عرضها.

في هذا الثناء، وهذا الاهتمام بتفاصيل حياة أسرة بينها وبين قوم الشاعر تاريخ من الإِحَنُ والبغضاء، شاهد عظيم على سماحة تَـدَيُّـن أمير البيان،

وعدم توقفه بفكره عند فترة غائرة في الأمد البعيد من الزمن، وعلى حريته الفكرية التي لا تخضع إلا لما يراه حقا وصوابا، لا تقليدا واتباعا.

هكذا يظهرُ أمير البيان متقدما في موقفه من الحكم الأموي والعباسي على موقف قومه إلى ما هو أسمح، فإنَّ الأكثرين من علماء عمان يمتنعون عن ذكر محاسن خلفاء بني أمية وبني العباس، أمَّا أمير البيان فيذكرها انطلاقا مما سبق أن أوضحناه عن رؤيته الدينية والقومية المتلازمة، وحريته الفكرية المنفتحة على الأفق الواسع بكل تجلياته، والمستوعبة بحنكة وحكمة لوقائع التاريخ. رؤيَتُهُ التي تُعْلي المحاسن وهي كثيرة كبيرة الأثر، وتُغْضِي عن المساوئ التي لم تَتَعَدَّ تأثيراتها فترتها السحيقة التي تنوف على الألف عام. ولم يعد لها أثرٌ إلاَّ ما تَسْتَجِرُّهُ العقليات المحتبسة اختيارا في ردهات الفتن التاريخية.

إنَّ ثناء أمير البيان على خلفاء بني أمية وبني العباس لا ينبعث من كونه شاعرا منتميا فقط، بل من علمه بإنجازاتهم العظمى في مجال الدعوة الدينية والفتوح، فإنَّ انتشار الإسلام، واتساع الرقعة الجغرافية للأمة العربية ونفوذها، ما كان ليعبر القارات شاملا أرجاء الدنيا بنور التوحيد من شمال إفريقيا وشرقها ووسطها وغربها، وجنوب غرب أوربا وشرقها، وشرق ووسط وجنوب آسيا لولا حملات الفتح التي سيَّرها خلفاء بني أمية.

وكذلك ما كان للأمة العربية أن تكون لها الصفة الحضارية التي لا زال المؤرخون والكتاب الغربيون يوالون الحديث عن فضلها على الحضارة الإنسانية المعاصرة لولا الإنجازات العلمية والأدبية والجغرافية والرياضية والفلسفية والطبية والفنية المتنوعة التي حققتها خلافة بني العباس.

وتتجسد نظرة أمير البيان للمجد الذي صنعه الخلفاء العباسيون لأمتهم العربية في قصيدة له واردة في ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني تحت رقم (٣٤) بعنوان: اعقلها وتوكل، حيث يعبر عن إكباره لذلك المجد وعن أسفه لأفول نجمه:

خلافة الله في بغداد أين سرى ... بك القطار ودرب الغاب ذو وحل
وكنت وحدة هذا الكون تحضنه ... ذؤابتاك احتضان السفح للجبل
تفيَّأت ظلك الدنيا فما لفحت ... واستمرأت عيشك الصافي فلم تمل
وذُلِّلَتْ لك فانقادت على رغب ... واستخدمت لك فاستخذت بلا دخل

من المعرفة التي ألمَّ بها أمير البيان عن الدور التاريخي الذي كان لخلفاء بني العباس كتب قصائده متغنيا بمنجزاتهم، ومحييا أمجادهم. فيقول في قصيدة بعنوان: العراقين، واردة تحت رقم (٢) ضمن ديوان وحي العبقرية الجزء الثاني:

سلام على مجد العراق وعِزِّه ... إذ الشأنُ شأنٌ والجلالة منصبُ
أَوَاوِيْنُ عِز لا يطاولها السما ... أَسِرَّتُها تحت الأكاسر تُنْصَبُ
وطال بِعَبَّاسِيِّهِ في خلافة ... يصولُ بها شرقٌ ويُذعِنُ مغربُ

ويقول في قصيدة بعنوان: من مُلَح الرشيد، واردة تحت رقم (١١) في ديوان على ركاب الجمهور، المجال الثاني:

على بغداد من قلبي سلام ... مَطِيْرٌ في حشايَ له مطارُ
على عرش الرشيد له مَقَرٌّ ... ومن كرسيِّه دَيْرُ ودَارُ
وفي قصر الرشيد له مرامٌ ... يجور على الزمان ولا يُجارُ

إنَّ الخلافتين الأموية والعباسية، قد انصهرت في بوتقتهما حضارات وثقافات غير عربية، ساهمت في إنتاج فكر جديد وحضارة جديدة، كان لها العربُ أرضا، ولغة، ودولة، ونظم حياة، العقل الذي اختمرت فيه،

والبيئة التي غذَّتْها وسقتها، والمهاد الذي احتضنها ورعاها، والفضاء الذي نمت فيه وأثمرت، فأهدت للإنسانية منجزات شهد بها مؤرخو الحضارات، وبتلك المنجزات عُرِفَتْ أمتنا العربية كأمة حضارية.

ويظهر من شعر أمير البيان أنَّ هذه المسألة من المسائل التي شغلت اهتمامه وهمَّته في بُرهة من سني عمره. وذلك حين وقف على آراء بعض الكاتبين الذين ينكرون فضل العرب، ويسعون إلى تجريدهم من الشمائل الإنسانية السوية، والصفات الحضارية العلمية والمعرفية. وقد جرَّد يراع شعره مدافعا عن دور أمته في صناعة الحضارة، مستدعيا لأجل ذلك شاهدا من شواهد التاريخ العربي القديم يتمثل في قصة أبناء نزار بن معد الذين اتسمت عقولهم بنباهة بالغة في اكتناه ما تعمَّى على بعض العقول. مثبتا رأيه وموقفه من هذه القضية في قصيدة بعنوان: نزار وبنوه، تجدها تحت رقم (١٤) في ديوان: على ركاب الجمهور، حيث قال في مقدمة قصيدته على تلك القصة:

حِرْتُ، ما حِرْتُ في الحقيقة لكن ... في ادّعاءٍ خُفُوقُهُ إخْفاقُ
حين قالت بجهلنا الأمم الأخْـ ... ـرى وقالت قلوبنا إغلاقُ
ثم قالت بأنَّه ليس للْعُرْ ... بِ سوى القول والنُّهَى إطباقُ
كَذَبَ الإدِّعَاء، فالعقل والمنـ ... ـطق والعلم إرْثنا والسباقُ
قد عَقَلْنَا الأشياءَ والدهر طَيْشٌ ... وعَلِمْنَا وللحياة نعاقُ
فَنَشَرْنا صحائفَ العلم نورا ... مشرقات تَنَوَّرَتْها الرفاقُ
وتسامى بوعينا كل سامٍ ... وتبارى بعلمنا السُّبَّاقُ
قد مَحَوْنَا أمِّيَّةَ الكون عن أمّـ ... ـيَّةٍ بعضُ آيها الإشْراقُ
وأتينا في خُمْسِ قَرْنٍ بما لمْ ... يأتِهِ الدهرُ سَبْقُهُ واللحاقُ
عن عُقُولٍ كانت قواعد للعـ ... ـلم عليها يرسو ومنها يساقُ

بَـلْـوَرَتْـنَـا الأيَّـامُ من عهد هودٍ فـاسْـتَـنَـارَتْ بـنـورنـا الآفـاقُ
وكـتـبـنـا تـاريـخـنـا بـيـد الْحـمـ ـد وفـاءً مـا خـانـه مـيـثـاقُ
وبـزغـنـا عـلـى سـمـا العبقريا ت عُـقُـولا جـبَّـارة لا تُـطـاقُ

حول ما سُمِّيَ باسْتِقالة أمير البيان من الشعر

إن موضوعات شعر أمير البيان من الكثرة بحيث لن يمكنني استعراضها كلها هنا. لكن ملمحا من ملامح سيرته الأدبية لا يمكنني تخطيه وهو ما قيل عن استقالته من الشعر. لذا سأختم كلمتي بالحديث عن هذه المسألة. فمن المهم أن نقوم بتجليتها لتبدو كما هي في القصيدة التي رُبِطَتْ بها، وليس كما اعتمل في أذهان بعض الأدباء من شؤون وأشجان. القصيدةُ عنوانُها: مالي وللشعر، ألقاها على ملأٍ من الأدباء ومحبي الثقافة في قاعة المناسبات في معهد الدراسات الإسلامية بالوطية مساء يوم الثلاثاء الثالث من شهر مايو عام ١٩٨٣م. وهي واردة تحت رقم (١) في المجال الخامس من ديوان من نافذة الحياة.

وما إنِ انْـفَـضَّ سامرُ تلك الأمسية حتى قام بعض الكتاب فجعلوا من إعلانه رغبته في التوقف عن إلقاء الشعر في الأمسيات قضية حمَّلوها من المرامي خلاف مقصده. فكتبوا ونشروا في الصحف وتحدثوا في الإذاعات عن استقالته من الشعر.

نفهم من تعبير استقالة شاعر من الشعر، أن الأوضـاع الاجتماعية والسياسية المحيطة به قد بلغت من السوء ما يوجب عليه التضحية بمكانته الأدبية ليعبر عن احتجاجه على تلك الأوضاع التي يتحمل إزاءها مسؤوليات دينية وقومية وأدبية. فيعلن استقالته من الشعر نصرة لما امْـتُـهِـنَ من قيم إنسانية، ولما ضُـيِّـعَ من حقوق وطنية. أمَا وإنَّ عمان

تعيش في تلك الفترة –ولا زالت ولله الحمد– ظروف بناء وتنمية وتطور في مجالات التعليم والصحة ورغد من العيش الكريم، فكيف يقال عن تلك القصيدة بأنها قصيدة استقالة. كيف ذلك وأمير البيان نفسه يقول في قصيدته تلك:

وَاضَيْعَةَ العمر فيما لا انتفاعَ به ... في حين يلعقُ حولي الشهدَ جافوه
فإنْ نجوتُ من الآثام فيه فقد ... أدركت فوزا من الرحمن أرجوه
وإنْ تَرَامَتْ بغاياتي مآثمه ... فالله بالصفح يوم النفخ أدعوه

كان أمير البيان يرى أن أشياخه وأترابه من الفقهاء الأدباء كالشيخ العلامة خلفان بن جميَّل السيابي والشيخ سالم بن حمود السيابي والشيخ سعيد بن خلف الخروصي هم وأمثالهم مَنْ ظفروا بشهد الدنيا لأنهم جفوا الشعر واهتموا بالفقه. ولذلك قال عنهم: "في حين يلعقُ حولي الشهدَ جافوه".

في تلك الأبيات لا يتحدث أمير البيان عن استقالة من الشعر احتجاجا على وضع عام بل عن حالة من الزهد رجاء السلامة الأخروية من المآثم. وهذه حالة خاصة بالشاعر. وهي تختلف تماما عن حالة شاعر سعودي –على سبيل المثال– هو حبيب بن معلا اللويحق المطيري في قصيدة له بعنوان: استقالة شاعر، محتجا على الأوضاع السياسية قائلا[1]:

واليوم أعلن: هذا الشعر محتضرٌ ... يصارعُ الموتَ في فرن السياسات
فصرتُ لا القول قولي، لا البيان هنا ... كما بياني ولا الأصوات أصواتي
فها استقالةُ مَطْوِيٍّ على دَنَفٍ ... وها يراعي وها عمري وأوقاتي

(١) أنظر ديوان: أنفاس العشي، للشاعر حبيب بن معلا اللويحق المطيري، دار الكفاح للنشر ونادي الإحساء الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ، ص٩٢.

احتكم أمير البيان في موقفه من الشعر إلى المفاضلة بينه وبين علوم الدين، ولهذا قال:

"وَاضَيْعَةَ العمر فيما لا انتفاعَ به..."

لأنه كان يتمنى لو اشتغل بعلوم الشريعة من فقه وحديث فذلك الذي يليق به حسب نظرته إلى نفسه، ويتمنى لو أن الشهرة التي أحرزها في مجال الشعر كانت له في مجال الفقه. يوضِّح ذلك في قصيدة له بعنوان: أخبريه، واردة تحت رقم ١٠، في ديوان من نافذة الحياة حيث يقول:

ليتني قد شغلتُ بالفقه عنه ... وتَرَسَّمْتُ دربَهُ في بَنِيه
وسَلَكْتُ الهدى إلى الله فيه ... أو أراني بَلَغْتُ ما أشتهيه
وكسبت الذي كسبت من الشهـ ... ـرة في الشعر في مجال الفقيه
واكْتَسَبْتُ الحمدَ العريقَ من الله ... وحسبيه إنْ يكن حسبيه
أوْ دَرَسْتُ الحديثَ من سنة المخـ ... ـتار حتى أصبحْتُ بعض ذويه
هذه هذه لمثليَ تزهو ... ومن الحال مُتْعِبٌ لأخيه

أختم بهذا حول هذه المسألة مذكرا القارئ الكريم بتفصيل أوفى بشأنها في حاشية على قصيدة مالي وللشعر الواردة في ديوان من نافذة الحياة.

لمرضاة الله عزوجل قصدت، وباسمه الرحمن الرحيم بدأت، وخدمة للعلم عملت، ووفاء بما عليَّ لأهل الدين والفضل والعلم والأدب نهضت. وما من حمد أتوجه به إلا لله جلَّ ثناؤه، ثم إلى المشايخ الأجلاء أنجال أمير البيان الذين سربلوني شرف خدمة تراث علم عمان وعالمها، وشاعر العربية وأمير بيانها، الشيخ عبدالله بن علي الخليلي وآبائه الأولياء الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ونجليه العالمين

الجليلين أحمد بن سعيد وعبدالله بن سعيد، رضي الله عنهم أجمعين.
وما توفيقي إلا بالله هو حسبي عليه توكلت، وإليه أنيب

سعيد بن سالم النعماني

مسقط في العاشر من محرم من سنة ١٤٣٩هـ

الحادي من أكتوبر سنة ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقدمة الأولى

بقلم الشيخ: عبدالله بن علي الخليلي

الحمد اللّٰه حمدا أستدر به مواهب نعمته، وأشكره شكرا أستمد منه فضائل مِنَّتِه، وأثني عليه بما هو له أهل، وهو أهل الْحول والطول، متجردا إليه من حيوانيتي الْمُتَوَحشة، وملتجئا إليه خوفا من خطيئاتي الْمُتَحَرّفَة، وأصلي وأسلّم على صفوته من خلقه، وعمود حجته في خلقه، مُحمد الْمحمود بكل لسان، والذي هو منبع البيان، وسيد الإنس والْجان، وعلى آله وصحابته الغر الْميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد

فإني وقد عزمْتُ على طبع ما تسنى لي تأليفه، رأيت أشياخي أنَّهم الأحق في طبع ما سودوه، ليبقى لَهم ذكرا يشرفني مهما سَمِعَهُ السامع اللبيب، أو قرأ سطوره الْمُهذب الأديب. وإنْ أكُنْ لستُ من بِرِّهم بالْمكان الْمرموق، ولكنه سداد من عوز، وكما قيل: السيولُ من النقط؛ وقد عَلَقَ في نفسي أن أجمع السلسلة مرتبة على الْمجال الذي أنا أتَجَوَّل فيه، وعلى الصرح الذي أستطيع أن أدرج عليه. إنه الشعر الذي هو في نظري ناموس الْحياة، وقاموس الْحب، وشاحذ الأفكار، وفارس الْمضمار، وأن لَهم فيه الباع الطويل، وَهَبْهُمْ أجادوه إذ نَمَّقُوه ولكنهم لَم يصرفوا إليه كُلِّيَّتَهُم[1]، بل إنه كان من حظهم على رغم أنفه، فجاءوا به في رقة الأسلوب، وانسجام اللفظ، ومتانة الْمعاني، وقوة السبك، بِما يعجز عنه الكثير من نظرائهم. أما أنا فلم يكن لي حظ في سواه.

(١) كامل اهتمامهم.

والحمد الله على ما أعطى وعلى ما سلب، وله الشكر تعالى لِما أمنع ولِما وهب، وله الْمِنَّة على فضله الْمُكتسب، وأَثَنّي قائلا الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده حمد من عرف الواجب، أحمده في السراء والضراء، والعافية والبلاء، أحمده حمد من أوقف نفسه لله، وامتلأ قلبه من خشية الله، حمد من طمع في ذات الله، فأذاب ماهيته في رجاء ما عند الله، حتى غابت نفسه عن حقيقتها لتظهر في ناموس آيات الله، أحمده جل شأنه، وعظم سلطانه، وتعالى مكانه، أحمده على طوية نفس لَم تنطو على غش، ولَم تُلَمْلِم[1] حشاياها[2] على سخيمة[3]، ولَم تَحِدْ عن سبيل الله وطريق الهداية، فأَحْرِ[4] بها أن تكون ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾[5]، أو كـ﴿شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لَم تَمْسَسْهُ نار نور على نور﴾[6] ألا إنَّها الدعوة إلى الله بلسان مُخلص لله، فإني سَمِعْتُه في مُحكم كتابه إذ يقول: ﴿ومن أحسن قولا مِمَّنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من الْمُسلمين﴾[7]، ﴿ولا تستوي الْحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[8]، ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[9].

---

(١) تُلَمْلِمْ: تجْمَع.

(٢) الحشايا: جمع حشا وهو ما انْضَمَّت عليه الضلوع.

(٣) السخيمةُ: الحقدُ والضغينة.

(٤) أَجْدِرْ بها.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٦)سورة النور، الآية: ٣٥.

(٧) سورة فصّلت، الآية: ٣٣.

(٨) سورة فصّلت، الآية: ٣٤.

(٩) سورة فصّلت، الآية: ٣٥.

وهب إني أشرفت من عملي على الغاية الْمشرفة، لأني قاربت الْمحجة، وأني أحاول أن أنْهي ما يهمني مِمَّا نَمَّقْتُه مُتَّخذاً من الطريق السويّ سُلَّماً أرتقي به إلى العناية الربَّانية، وإني لَمُنْشَرِح الصدر إذ أضع لِمُقدمتي هذه عنوانا يَكْنِفُها ويضم أطرافها، ولقد وقعت حيرتي على العنوان فأثْبَتُّه ليكون إطارا لَها ألا وهو: السمط الْجوهري.

هذا وإني لأَفُضّ ختم هذه الْمجموعة عن طيب الْمسك الأذفر، مصليا ومسلما على خير البشر، وقائد الغر، الرسول الأعظم، وآله وصحبه، وآخر دعواهم أن الحمد الله رب العالمين.

وهنا نقف هُنَيْهَةً[1] لنتطرق إلى أن نُلَمّحَ على مواقف أولئك السادة أشياخنا العظماء أعني مواقفهم من الشعر. أما الوالد سعيد بن خلفان الْخليلي، الذي هو الْجد الأكبر، الْحائز على قصبات السبق في كل ميدان، إن شعره شكل مترفع في أسلوبه الْخاص، فهو لا يُعْنَى بما يُعْنَى به الشعر، ولا يقول الشعر لأجل (الشعر)[2]، بل يقوله في الأغراض الدينية، فهو على مستو عال من الْجودة، ومقام باذخ من سمو الروح ورقة الْمأخذ، فلا تستطاع مُجاراته، ولا يسهل على الأديب تَقَفّيْه[3]، لأنه فوق عرنين [4] من السمو.

أما شعر الوالد أحمد بن سعيد، فإنه سهل الْمأخذ قريب الْمَنْفَذ.

أما شعر الوالد عبد الله بن سعيد، فهو الضارب في عمق الشعر بِخياله وروعته، وتَفَنُّنِه في أساليبه وقوته في مضمار الشعر، فهو سابق لا يُجارى، وصارم لا يُبارى، وناهيك بالثلاثة فكلهم قمة وكلهم قادة.

---

(١) هُنَيْهَةُ: تصغير هَنَة على القياس. ومعنى هنيهة: لحظة قصيرة.

(٢) كلمة الشعر إضافها المحقق ليستقيم السياق، وإلا فهي غير موجودة في المادة التي بين يديّ.

(٣) تَقَفّيْه: تتبع خطواته، وهي هنا بمعنى النظم على منواله.

(٤) العِرْنينُ: أول كل شيء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقدمة الثانية

بقلم الشيخ: عبدالله بن علي الخليلي

أحمدك اللهم على آلائك العظام، وأشكرك ربي على مِنَنِكَ الْجِسام، وأثني عليك سيدي بما أنت أهله من الفضل والإنعام، ثناء من أَدْنَتْهُ إليك ظواهر الصفات، وآدَتْـهُ[1] حملا فيك بواهر الـذوات، وملأت قلبَه بحبك أنوار الآيات، وامتزجت بدم شراييـنـه فيك أمشاج رقائق العبارات، وأخـذت بِجِمَاع[2] قلبه دقائق الخلوات، وجذبته جواذب الإشارات.

ثناء يستغرق حصيلة الجهد، ويربو على معنوية ما في الْحمد، حتى يَخلص إليك وَجْدَا[3]، وينقطع عمن سواك بُعدا. وأصلي وأسلم على خيرتك من خلقك، وصفوتك من بين أنبيائك ورسلك، البشير النذير، الذي انعطفت إليه الأفئدة حبا، وطارت على أفقه القلوب شوقا، فكان كما وَصَفْتَه في كتابك العزيز: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[4] الذي دانت له الأرواح العاتية، فرسمت طريقها إليه، وخضعت له النفوس الطاغية، فتذكرت العزة ووقوفها غدا بين يديه، فرجعت حسرى تَهْدِجُ[5] إليه، صلى اللّه وسلم على رسوله الخاتم الأمين، وعلى صحبه وآله أجمعين.

أما بعد:

---

(١) آدَتْهُ: أثْقَلَتْه.

(٢) جِمَاعُ الشيْ: مجتمع أصله.

(٣) وَجْدَا: حبا.

(٤) سورة القلم، الآية: ٤.

(٥) تهدجُ إليه: تمشي إليه في ضعف.

فأجدني وكأنَّما أتَحفز لأمر جلل، كان عليَّ من الْمُحَتَّم[١] أن أقوم بخدمته، وأن أكَرّسَ[٢] جهدي لتعبئته، وذلك أن لجدنا العلامة الربَّاني، والْمُحقق النوراني، الْمُسْتَفيض بالعلم اللدني، وعلاَّمة الحقيقة والطريقة، الوالد سعيد بن خلفان الخليلي رضي الله عنه وأرضاه، له كتب قيِّمَة ومؤلفات،كما أن له أشعار جلها بل وأجلها ما كان على الطريقة السلوكية، وهذا الضرب لا ولن يطيق مُجاراته فيه أخو نُهْيَه،ما كان توغله في أحشاء الضاد، ولن يستطيع تقليده ذو أدب ما كان نبوغه.

أَفَلَسْتُ حريا بأن أُحْيِي تراثه، وإن قَصُرَ ذراعي الْمُتَطامن[٣] من الوصول إلى الهدف، أو تقاصر باعيَ الوزا[٤] دون الغاية، ولكني أتَحرك ببطء، وأمشي وئيدا تحت مُظَابٍ[٥] من الدعاء، وأرائك من الرحمة، حتى أصل بعون الله إلى القصد السويَ، حيث يَشِعُّ لعيني نور مرضاة الله، وفي مَثَلٍ مُطَّرد قالوا: (طوال العقاب يتغلب عليها الشيخ الزّمِن، ويقصر دونها الشاب المَرِن)، ذلك أن الشيخ إذا تَحرك كان بطيئا، وإذا مشى كان متئدا، فإذا طالت العقبة طاولَها وهو غير مُجْهِدٍ لنفسه، أما الشابُّ فَيُجْهِد نفسه باديء ذي بدء، فإذا ما تطاولت عليه ظهر عليه الإعياء، أما أنا فحسبي أن أمشي متئدا وأواصل رويدا رويدا[٦] (كل من سار على الدرب وصل).

وها أنا ذا أحاول أن أخطو الخطوة الأولى، فأتناول الشعر، لأنه أول ما

---

(١) المُحَتَّم: اسم المفعول من حَتَّمَ، والمُحَتَّم: الواجب الضروري.

(٢) أُكَرّسُ جهدي: أخصّصُ، أُوْقِفُ جهدي.

(٣) المُتَطَامِنُ: القصيرُ.

(٤) الوزا: القصير.

(٥) مُظَاب: لم أجد لهذه الكلمة بهذا الرسم تخريجا في المعاجم. لكن إذا جاز اشتقاقها من وَظَبَ على الشيء أي لزمَه، وداوَمَه، وتعهّدَه، كما هو معنى وَظَبَ في لسان العرب، فيصبح معنى مُظَابٍ من الدعاء: دعاءٌ مُلْتَزَم.

(٦) رُوَيْدًا: اسم فعل أمر بمعنى لا تعجل. رُوَيْدًا رُوَيْدًا: قليلاً قليلاً.

تتطاول إليه يدي العارية، وتتطاير به أكف الأطماع، لأن أبصار الشباب إليه شاخصة، وآذانُهم نحوه مصغية، واضعا يدي في يد الله، متكلا إليه في ما يعنيني، وراجيا منه تعالى أن يأخذ بيدي، وبأيدي أسرتي وأهلي وولدي إلى طريق الرشاد، ويوفقنا إلى الصالح العام الذي يفضي بنا إليه، ويزلفنا إلى التقرب منه.

وإليك مجموعة (المعراج لسالك المنهاج)، نقدمها للقاريء، لعله يأخذ منها شيئا من ثمارها، ويرتاح إليها وهي تَخطر في ثوبها القشيب، وتتمايل في قدها الرطيب، فإن عندها لكل ذي فن من فنّه، ولكل ذي أَلمعية من أَلمعيته، وأنَّها لَتُشْبِع نَهم الأديب، وتُحَيّر ذهن الأريب، وتعصف بالفارس المهيب، وتُهيمن على لبة السبط[1] اللبيب، فناهيك بها أنَّها من ينبوع المعين اللدني[2]، ومن فيوض الوهب الإلَهي، للعالَم الربَّاني والعَلَم النوراني، رضي الله عنه وأرضاه، ألا وهي (جوهرة الموعدة) التي وعدتُ بها أخي القارئ في المقدمة الأولى، وسأعقبها بالنبذة الثانية، ألا وهي القصيدتان اللتان ظفرنا بهما من شعر الوالد أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي، وقدمنَاه على أخيه وهو أصغر منه سنا، ولكن كان ذلك تكريمًا لعلمه، وانقطاعه لذات الله، ثُم نُعَقّب بالقبضة الثانية، التي هي مجموعة قصائد عن جدنا الزعيم، ووالدنا الكريم، عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي، وإنه لرجل الأدب، وحيزوم[3] اللغة، ونبراس العربية، ولسان الضاد. فإليك الكل في سلسلة أدبيه وجمهرة ذهبيه، فلعلك يا

(١) السَّبْطُ في هذا السياق ثناء على الرجل اللبيب من جهة سماحة خلقه وسهولة عشرته. ففي لسان العرب مادة: سبط: ورجل سَبْطٌ بالْمعروف: سهل، ورجل سَبْطُ الكفين: سمح الكفين.

(٢) اللَّدُني: الربّاني.

(٣) الحَيْزُومُ: الصدر. ووصف الشيخ عبدالله لجده عبدالله بن سعيد بحيزوم اللغة لما وعاه في صدره من علم باللغة حتى غدا لها كالصدر من الإنسان لما حواه بحافظته من جواهر معانيها وواسع معارفها.

أخي القارِيء أن تعيرها بالا، وأن تنتفع بِها، فهي منك وإليك، إذ أقدم مع هذه النُّبَذ الجوهرية، واللُّمَع الخليلية، (مجموعة من شعري)، لأكون في ركبه، مستمدا من اللّه العون والتوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ﴿وعلى اللّه قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لَهداكم أجمعين﴾[1]، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

* * * * *

(١) سورة النحل، الآية: ٩.

المجال الأول: شعر العَلاَّمة المُحَقّق الشيخ
سعيد بن خلفان الخليلي
(١٢٣١هـ-١٢٨٧هـ)

أولا : شعر السلوك

(١) السَّجْسَج[١]

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الخامس

نسيمُ نوالكمُ السَّجْسَجُ ... ونورُ وصالِكُمُ الأبْلَجُ[٢]
وحسنُ جمالِكُمُ مُشرِق ... وبدرُ كمالِكُمُ مُسْرِجُ[٣]
وعِظْمُ جلالِكُمُ باهرٌ ... به كلُّ قلبٍ له مُزْعَجُ
وطيبُ ثناكُمْ وذكراكُمُ ... هو الرَّاح للروح قد تُبْهِجُ
فأذنيَ تطربُ في سمعه ... إذا ما لساني به تلهج[٤]
وقلبيَ يصبو إلى حبِّكمْ ... وعيني إلى حيِّكمْ تَخْلَجُ[٥]
أميلُ إليكمْ بكُلّيَتي ... وإلاَّ إليكمْ فلا أدرُجُ[٦]
وقربانيَ النفسُ قرَّبْتُها ... فإن قُبِلَتْ فأنا الْمُفْلِجُ[٧]
سبانيَ حُسنٌ دعاني إلى ... شَرَى النفس إذ صونُها بَهْرَجُ[٨]
بدالي جمالُهُمْ فاغتدى ... به شغفي وبه ألْهَجُ
فكبَّرْتُ من ولَهي هائما ... بِهِ وبِهِ السُّكْرُ لا يخرج

(١) يوم سَجْسَج: لا حرَّ فيه ولا بَرْد. وهواءٌ سجسج: معتدل طيب.

(٢) الأبْلَج: الأوضح، الأنور.

(٣) مُسْرِج: مُضيء. مُنير. وتصلح مُسْرَجُ: بمعنى مُضاء.

(٤) به تلهجُ، وردت في الديوان: بكم تلهجُ.

(٥) تَخْلَج: تتحرك وتضطرب. الخلَج طَرْفُ العين بلا إرادة من صاحبها لفرط حب أو لغيره.

(٦) فلا أدْرُج: فلا أتحرك. من دَرَجَ الصبي إذا أخذ في الحركة ومشى.

(٧) الفَلْجُ: الظفَرُ والفوْزُ.

(٨) شَرَى النفس: شراؤها في سبيل الله. البَهْرَج هنا بمعنى الباطل. والمعنى أن المحب يرخص نفسه في سبيل من أحب. واستخدام الشيخ سعيد عبارة: شَرَى النفس، إشارة إلى الحب الإلهي، وذلك استنادا إلى قول الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾، سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

أفاضت على الكون من حسِّها ... محاسن أخبارها تَأْرَجُ[1]
فكل الكوائن نالت بها ... كمالا بِهِ الحسن مُسْتَبْهِجُ
فلا شيء في الكون مُستقبحٌ ... ولا فيه بالأصل مُسْتَسْمَجُ[2]
وما شَرَّفَتْهُ بتكميلها ... فذاك هو الأكمل الأبهجُ
فبعض كمالاتها أظهرت ... جمالا به يوسف يُمْزجُ[3]
فإنْ كلُّ عينٍ إليها رَنَتْ ... فبالحق كل لَها هَمْلَجُ[4]
فلا شيءَ مُسْتَحْسَنٌ غيرُها ... وكلٌّ إلى حسنها مُدْلِجُ[5]
فَسِرِّي بها في الورى ذائعٌ ... وقلبي على سرّها مُدْمَجُ[6]
سقاني بها الخمر صرفا رشا ... سباني له ناظر أدعجُ[7]
فيالكِ من خمرة حَلَّلَتْ ... ليَ السكرَ إذ لم تكن تُمْزَجُ
فقلبيَ من شربها طائشٌ ... ولكن إلى الشُّرْبِ مُدّحْرجُ

(١) من حِسِّها وردت في الديوان: من حسْنِها. تأرَجُ: أي أن لذكرها الحسن انتشار في الكون كانتشار عبير العطر.

(٢) مُسْتَسْمَج: مُسْتَقْبَح، مُسْتَخْبَث، غير مُسْتَحْسَن.

(٣) جمال النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام اتخذه الشعراء رمزا لما يريدون أن يصفوه من الجمال الباهر. وابن الفارض أحد أشهر الشعراء الذين تناولوا الجمال اليوسفي في قصيدته الصوفية: (قلبي يُحَدّثني بأَنّكَ مُتْلِفي)، حيث يقول:

قلبي يُحَدّثُني بأَنّكَ مُتْلِفي ... روحي فِداكَ عرَفْتَ أمْ لم تَعْرِفِ
بَرَحَ الخَفاء بحُبّ مَنْ لَوْفي الدّجى ... سَفَرَ اللّثام لقُلْتُ يا بدرُ اختَفِ
لو أسْمَعُوا يَعقُوبَ ذِكْرَ مَلاحَة ... في وجهِهِ نَسِيَ الجَمالَ اليوسُفي

أنظر: ديوان ابن الفارض: عمر بن أبي الحسن (٥٧٦ – ٦٣٢هـ) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ١٥١-١٥٥.

(٤) الشطرُ الأول ورد في الديوان: فإنْ كلُّ عينٍ إليه رَنَتْ. هَمْلَجَ: ذَلَّ وانْقَاد.

(٥) المُدْلِجُ: من يقضي الليل سائرا.

(٦) السر هنا بمعنى الحب. ومُدْمَج: متداخل.

(٧) الرشأ: ولد الظَّبية إذا قويَ وتحرك ومشى مع أُمِّه. سباني: أسرني. أَدْعَج: عيناه واسعتان، شديدتا البياض والسواد.

جَلَتْ ليَ في الكأس شمسَ الضحى ... وستر الدُّجُنَّة مُسْتَنْسجُ[1]
فَصَغَّرَت الشمسَ في مقلتي ... إذِ الشمسُ من فيضها تُسْرِجُ[2]
وكل السماوات والعرش من ... سناها له النور يستخرج[3]
أَحِبَّةُ قلبي بأذكارهمْ ... قلوبَ العوارف قد هيَّجوا
فكل القلوب لدى ذكرهم ... بِلاعِجِ أشواقهمْ تَلْعَجُ[4]
فأبصارُها وَجَلاً خُشَّعٌ ... وأدْمُعُها عَجَلاً تَدْرُجُ
براها من الشوق والتوق ما ... إلى الْمَوت والفوت يَسْتَدْرِجُ
فأرض الجسوم إذا زُلْزِلَتْ ... بِها دهشا رعشا تنتج
وأطوار أرواحها دُكْدِكَتْ ... فَوُسْعُ الفضاء بِها يَحْرَجُ[5]
ولكن حباها الحبيب الذي ... سباها بقربٍ له تثلج[6]
فأبصارُها خَجَلا خُشَّعٌ ... ومن هيبةٍ قلبُها يُزْعَجُ
ومن جذل القُرب مستبشرٌ ... وفي معرج الشكر قد عرَّجوا[7]
رأوا نوره إذ تراءوه في ... قلوبهم وهو لا يَمشجُ[8]
بيوتٌ مقدسةٌ ما بها ... لغير حبيبهُمُ مَوْلِجُ
فنور الْحبيب بِها ساكنٌ ... ومنها الحبيب فلا يخرج

(١) الدُّجُنَّةُ: الظُّلْمَة. مُسْتَنْسَجُ: منسوج.
(٢) تُسْرِجُ: تُنِيْر. وتصلح تُسْرَجُ: بمعنى تُضاء.
(٣) في الديوان: الأرض، وليس العرش.
(٤) لاعجُ الشوق: حُرْقَتُه. تَلْعَجُ: تَتَحَرَّقُ، وتُلْعَجُ: تُحْرَق. من لَعَجَ الحُبُّ والشَّوْقُ فؤادَه: أحرقه وآلمه.
(٥) يَحْرَجُ: يصير ضيقا. ولهذا المعنى شاهد من قول الله عز وجل: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، سورة الحج، الآية: ٧٨. أي ما جعل عليك في الدين من ضيق. وكذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٦) تَثْلُجُ: تُسَرُّ به وتفرح وتطمئن.
(٧) الجَذَلُ: الفَرَحُ.
(٨) المَشِجُ، والمَشِيجُ: كُلُّ شيئين مختلطين، أو كُلُّ لونين اختلطا وامتزجا. والمعنى أنه نور واضح غير مختلط.

فـإن شئت وصـلا فكن واقفا ... على البـاب فالبـاب لا يُرْتَجُ[1]
وقـــم بـافـتـقـــار وذل وقـــل ... فقيـر عـلى بابكـم أعـــرج
أحـــاطـــت بـه ظلـمات الهـوى ... فـما عـن هـــوانٍ لـه مَخْـرَجُ
لقـد ضـــاق ذرعـــا بـأحـوالـه ... ومـــنـــهـج أقـــوالـه أعـــوج
كما تـنـظـرون كما تـخبرو ... ن كمـا تعلمون هو الْمُلْفَجُ[2]
ولا يَـقْـطَعَنْكَ اعـوجاجٌ فما ... عـلى أعـــرجٍ أبـدًا يُـحْـــرَجُ[3]
وعـن ليل نفسك فـاخرج إلى ... نـــهـارٍ لَـهـم عـنـه لا تَـخرج
فَمَنْ ظُلْمة النفس عنه انْجَلَتْ ... ففـيـــه لأنـــوارهـــم أبْـــرُجُ
ومـن كـان مـن نـورهـم كاسـياً ... فـذا الكـون عـبدٌ لـه أحـــوجُ[4]
كســـاه جـمـالـهـم حـلـة ... غـدا الكون من طيبها يـأرج[5]
بِـمدحـهـمُ تـهتُ فخـرا على ... أناس لدى غيرهم لَهْوَجُوا[6]

---

(١) لا يُرتَجُ: لا يغلق.

(٢) المَلْفَجُ والمُلْفِجُ: الفقير، المُعْدم، من أَلْفَجَ الرجل إذا أَفْلَسَ وذهبَ مالُه. وألفَجَ فلانٌ: لَزِقَ بالأرض من كَرْبٍ أو حاجة. ورد الشطر الأول في الديوان هكذا: (كما تنظرون كما تخبرو). وقد ذكر المطاعني أنَّ النون حُذِفَتْ من نسخة المخطوطة التي اعتمدها، وأثبتت في مخطوطة أخرى. أنظر: ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، جمع وتحقيق عادل بن راشد المطاعني، مؤسسة الورَّاق للنشر والتوزيع، عَمَّان الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الحاشية رقم ٤٢، ص٧٨. ولفظة (الملفج) وردت في هذا النص الذي عملت على تحقيقه: (الملعج)، ولكنني استبعدتها واعتمدت لفظة (الملفج) الواردة في الديوان لتناسب معناها مع سياق المعنى في البيت.

(٣) يُحْرَجُ: لايُضَيَّقُ عليه.

(٤) ذكر الباحث المطاعني أن كلمة كاسيا وردت في نسخة من المخطوطات: كاسبا. ووردت كلمة أحوجُ: أعوجُ.

(٥) أرِجَ يَأرَج، أَرَجًا وأَريجًا، فهو أَرِج: أي انتشر عبير عطره.

(٦) لفظة (لَهْوَجُوا) وردت في النص هنا: (لَوْ هجوا)، التي استبعدتها واعتمدت لفظة: لَهْوَجُوا التي وردت في الديوان، لمناسبة معناها لسياق المعنى في البيت حسب رأيي. ولَهْوَجَ الشيءَ: لم يُحْكِمْهُ ولم يُبْرِمْه. أي أن الشاعر يتيه فخرا بمدح ممدوحيه على آخرين ممن لا يحكمون مديحهم لأنهم لا يحسنون الشعر كما يُحْسِنهُ.

تَـرَشَّـــحَ شعـــري بـــأنوارهـم ... حُـلـِـيَّ كـمـــالٍ بـــه يَـــبْـلُـــجُ[1]
فقمت أنـــادي لـمن شـأنُـه ... لغـيـرهمُ الشـعـرَ يستنتج[2]
أيا شاعـر الدار وَيْكَ اسْـتَمِعْ ... عجائب في مدحهم تُنْسَجُ[3]
لساني بأمداحهـم طيِّبٌ ... ومـدحـك غـيـرهـمُ يَـسْـمُـجُ[4]
وإنـــي ضليـع لـدى بـابهم ... وأنـت إلـى غيرهم تـعـرج[5]
فـهـل أنـــت مـثـلـهـمُ واجِـــدٌ ... وهـلاً سوى مدحهم يَحدج[6]
بِـهـم تـــمَّ لـي كـل فخـر فـلا ... تـفـاخـرنـيَ الأوس والـخـزرج
غَنِيْتُ بهم عن سـواهـم فـهم ... كـنـوزي وغيـري هـو الأحْوج
عـرجت بـمدحـهـم لـلـسـما ... وكـان آيُ العـرش لـي معـرَجُ[7]

(١) رشَّحَ الْمَطَرُ النَّباتَ: نَمَّاهُ. الحُلِي: ما يتخذ من الجواهر عقودا تزدان بها الأعناق والصدور. يَبْلُج: يُضيئ، يَسُر، يتضح. والشطر ورد في الديوان: حليّ كمالٍ (بها) يبلج.

(٢) يَسْتَنْتِجُ وردت في الديوان: يُسْتَنْسَجُ. وذكر المطاعني ورود كلمة: يَسْتَنْتِجُ في نسخة غير التي اعتمدها. أنظر الديوان، الحاشية رقم ٥٠، ص٧٩.

(٣) لفظة الدار وردت في نسخة من المخطوطات: الدهر. أنظر الديوان، الحاشية رقم ٥١، ص٧٩. وَيْكَ: كلمة مركبة من «وَيْ» و «كاف» المخاطبة، وهي كلمة تعجب، تأتي بمعنى: عجبا لك، وتأتي بمعنى: ألم ترَ. يُقال وَيْكَ، ووَيْ لفلان. وقد تدخل وَيْ على كأن فتصير: وَيْكأن. قال الخليل هي مفصولة تقول وَيْ ثم تبتدئ فتقول كأن. وقال الكسائي هو وَيْكَ أُدخل عليه أن ومعناه ألم تر.

(٤) يَسْمُجُ: يَقْبُح.

(٥) الضليعُ: القوي الشديد. تعْرجُ: من عَرَجَ الرَّجُلُ: أَصَابَهُ شَيْءٌ في رِجْلِهِ فَغَمَزَ في سَيْرِه كَأَنَّهُ أعرج.

(٦) قول الشيخ: وهلاً سوى مدحهم يحدجُ: أي إن المدح لا يُحتمل إلا إذا كان فيهم. قال الأَعشى: أَلا قُلْ لِمَيْثاءَ: ما بالُها؟ أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أَحْمالُها؟ أي توضع في الحُدُوج وهي مراكب النساء تكون على ظهور الجمال. وأيضا يَحْدِجُ: يؤوب بخسران، من حَدَجَ فلانًا ببيع سَوءٍ أَو متاع سوءٍ : أَلزمه إياه بِغَبْنٍ. ولا شك أن مَنْ يمدحُ مَنْ ليس أهلا لمدح يعود ذلك على المادح بالوزر. وقد وردت هذه اللفظة في الديوان: يَخْدِجُ بالخاء المنقوطة من فوق. وفي الحاشية أشار المحقق أن اللفظة وردت في نسخة أخرى يَحْدِجُ بالحاء غير المنقوطة. ومعنى يخدج بالخاء المنقوطة من فوق من أخدج الشيء: أنقصه، وهذا المعنى موافق أيضا لأن المنقصة تلحق المادحَ لمن ليس أهلا للمدح. والله أعلم أي اللفظتين كان الشيخ أراد.

(٧) هذا الشطر ورد في الديوان هكذا: وكان (إلى) العرش لي معرج.

ولم يرض مدحي مقاما به ... فمالي غيرهم مبهج
همُ علَّموني أمداحهم ... فقمتُ أفضُّ الذي ثَبَّجوا[1]
فَعَيٌّ لساني لولاهُمُ ... وقلبيَ لولاهُمُ مُرْتَجُ[2]
بِهِمْ قد نَهَجْتُ إلى وَصْلِهِمْ ... وقُرْبِهِمُ حبَّذَا المنهجُ
ففي موقف القدس والأنس قد ... شهدتُ الْحبيبَ فلا أُزْعَجُ
تركت الحضيضَ فلم أدْرِني ... أَبِالعرش أم بالسما أعرج[3]
بموقف دنيا أم الحشر أم ... قيام المُصَلي الذي يَنْشِجُ[4]
لقاء المهيمن شاهدته ... وموقف عرضي به أنهجُ
فوجهي إلى ربِّه ناظرٌ ... به وهو الناظر الأبهجُ
تَجرد أخي عن حظوظ الْهوى ... عسى من حضيض الثرى تعرج
وذق من شراب الهوى نغبة ... من الْحب من كأسه ثَمْلُجُ[5]
وعَرّج إلى رتبٍ نالَها ... أناسٌ قُبَيْلَكَ قد عرَّجوا
هُدَاةُ الورى وحُدَاةُ السّرَى ... طريقهم واضحٌ أبلج
وعرّج وقوفا على باب من ... على بابه الرُّسْلُ قد عرَّجوا
وخَفْ منه وَارْجُ له عاذلا ... لِمن لم يخافوا ولم يرتجوا

(١) ثَبَّجَ الكتابَ والكلامَ تَثْبيجاً: لم يُبَيِّنْه؛ والثَّبَجُ تَعْمِيَةُ الخَط وتَرْكُ بيانه. ولفظة أفضُّ وردت في الديوان: أقصُّ.

(٢) فَعَيٌّ لساني: من عيَّ في كلامه: عجز عنه فلم يستطعْ بيان مراده منه. مُرتَجُ: استغلق عليه الكلام.

(٣) فلم أدرني: وردت أيضا: (فلا أدرني)، كما وردت: (فلا علم لي). أنظر الديوان، الحاشية رقم ٦٣، ص٨٠.

(٤) ينشجُ: نَشَجَ البَاكِي: غَصَّ بالبُكَاءِ مِنْ غَيْرِ انْتِحَابٍ.

(٥) من الحب: وردت في الديوان: في الحب. أنظر الديوان، البيت رقم ٦٨، ص٨١. النُّغْبَةُ: الجُرْعَة، مقدار ما يملأ الفم من الماء ونحوه. تَمْلُجُ: قال في الديوان: معناها مَلَجَ الصبيُّ أُمَّهُ يملُجُها ملْجا ومَلجَها: إذا رضعها. وعزاه إلى لسان العرب. ووجدتُ في المعجم الوسيط، مادة سملج: سَمْلَجَ الشيءَ في حلقه: جَرِعَه جَرْعاً سهلا. والسَّمْلَجُ: اللبنُ الدسِمُ الطيّبُ الطعمِ.

رَجَــوْتُكَ مـولايَ في خشيتي فـحـقـق رجـائي بِـمـا يُـبْـهِجُ
دَعَـوْتُـكَ دعـوة مستـصـرخ ونـار الغضا في الحشا تَلْعَجُ[٧]
لأمْــرٍ عـظيـم أُرَجّـيك يـا كـريـمـا إلـى بـابـه أدْلــجُ[١]
بـبـابـك زاحمت في ضعفتي أولـي قـوة فـيـك قـد دُجّجُوا
فَفَـرّج هـمـومي بـنـيل المنى فـهـمِّي بـغـيـرك لا يُــفْـرَجُ
فـلا زلـت لـي مُجـذلا مبهجا وعَــرْفُ أيـاديـك لـي يَنْفِـجُ[٢]

فليصفح الناظر الصفح الْجميل. واللّه يقول الْحق وهو يهدي السبيل. نسأل مولانا الكريم، الغفور الرحيم، أن لا يؤاخذنا بما ادعيناه ولَم نكن من أهله، وزخرفنا فيه الْمقال ولَم يتحقق بفعلته. وليعلَم الناظر أن ما سَمعه أو يراه إنَّما هو من خطرات الْمعاني على القلب، فأبرزها القلم بواسطة الإرادة الغالية، وأن الْحال مُخالف للمقال، إلا أن يتداركه الْمولى برحمة منه يرجوها، وما ذلك على اللّه بعزيز وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * * * *

(١) تَلْعَجُ: تَحْرِقُ.

(٢) الدُّلْجَةُ: سير السحر، وكذلك سير الليل كله.

(٣) العرفُ: الرائحة الطيبة. ينفجُ: يملأ. المعنى الفضل منك يملأ إنائي بالعطاء.

(٢) السموط[١]

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب العاشر. وقُدّمَ لها في مخطوطة الديوان بالقول التالي: "وله أيضا رحمه الله القصيدة المعروفة بالدعوة الدالية التي فاقت كل دعوة، وكل منظومة، نفع الله بها المسلمين، وقد فصَّلَهَا رحمه الله سبعة فصول ومقدمة وخاتمة"

فاتحة الدعوة

سُمُوطُ ثناء في سموط فريد ... بكل لسان قد بُثِثْنَ وجِيْدِ[٢]
وحمدٌ تغص الكائنات بنشره ... إذا نشرت منه أجل برود[٣]

---

(١) ذُيِّلَتْ هذه القصيدة في مخطوطة الديوان بتنبيه منسوب للشيخ سعيد بن خلفان رحمه الله حول ما ينبغي لقارئها في حال رغبته أن يدعو بها مستنصرا بالله على عدو من الأعداء. ولم أر نقل ذلك التنبيه هنا فهو موجود في ديوان الشيخ سعيد حيث أثبته هناك الأستاذ المطاعني بنصه. جدير بالذكر أن الشاعر الكبير أبا مسلم ناصر بن سالم البهلاني الرواحي (١٢٧٨هـ-١٣٣٩هـ) خمَّس هذه القصيدة في قصيدة طويلة تحت عنوان: "الدعوة العظيمة المسماة درك المنى في تخميس سموط الثنا". أنظر ديوان النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني، مكتبة مسقط، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٧٦.

(٢) سموط: جمع سِمْط، والسِّمْطُ الخيطُ ما دام الخَرَزُ فيه. الثناء: المدح والتقدير والتبجيل. وسموط الثناء جاء بها الشيخ مقترنة بسموط الفريد، وهو الدر، فكأن هذا الثناء منظوم في سموط على غرار الدر الذي ينظم في سموط وقلائد تزدان بها الأجياد والنحور، وذلك إمعانا منه لإظهار القدر الرفيع لنوع الثناء الذي يتوجب على المخلوق أن يرفعه لخالقه عز وجل. وقد قال الشيخ رضي الله عنه: بكل لسان قد بُثِثْنَ وجيد: وهو يشير بهذا إلى ما تلهج به كل المخلوقات من حمد الله والثناء الحسن عليه، تتحرك به ألسنتها، وتتغنى به حناجرها. فكلمة الجيد وإن كان المقصود بها في كثير من الشعر موضع التَّحَلّي إلا أنها تعني الحنجرة أيضا لدخول الحنجرة في الجيد الذي هو العنق. ومن قواعد اللغة جواز تسمية الشيء بجزء منه وتسمية الجزء بما حواه. وهذه الصيغة الشعرية: (بكل لسان قد بُثِثْنَ وجيد)، تَمْتَحُ معناها من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿تُسَبِّحُ له السماوات السَّبْعُ والأرضُ ومن فيهن وإن من شيء إلا يُسَبِّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾. سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٣) تغص الكائنات بنشره: يملأُ الكونَ فَوْحُ عبيره. البَرُود: كل ما بَرَدَ به شيء، كالشراب تَبْرُدُ به الغُلَّة، والكحل تبرد به العين.

وذكرٌ له تحيا النفوس بذكره ... ويُبْعَثُ قبل البعث من هو مُودي[1]
تعطرت الآفاق من طيب عرفه ... فما مسك دارين يشاب بعود[2]
ويُزْرِي بنور الشمس نور ابتسامه ... إذا ما تَجلى في صحائف سود[3]
لمن هو أهل الحمد والمدح والثنا ... لذي الفضل والآلاء خير مفيد
لمن سَبَّحَتْه الكائنات شواهدا ... بتوحيده واللّٰه خير شهيد
أعاد وأبدى من أياديه أنْعُما ... فيا أنْعُمَ المولى بدأت فعودي[4]

الفصل الأول

ويا رب لطفا من لعبد مؤمل ... بسيط لسان بالدعاء مديد[5]
ويُقْصِرُ منه القولَ ذكرُ ذُنوبه ... وقبح الخطايا فهو أيُّ بليدِ[6]
ويُغْضِي حياءً هيبةً ومَخافةً ... لعزك إجلالا بكل شهود
فجُدْ بِمتابٍ عن مُقِرٍّ مُصَرّحٍ ... بذنبٍ وتقصيرٍ وطول صدودِ
منيب يرجي عندك العفو مولع ... بذكرك لا ذكر اللِّوى وزرود[7]
فقير لما أسديت من كل نعمة ... شكور لما أوليت غير جحود

---

(١) مُوْدِي: فاعل من أوْدَى أي هَلَك.

(٢) دارين: قرية تقع على الخليج العربي فيما كان يُعْرَفُ في الماضي بإقليم البحرين. كانت هذه القرية الساحلية في عصور سابقة ميناء مزدهرا بتجارة الاستيراد والتصدير حيث ترد إليها بضائع المسك والعطور والبخور والأحجار الكريمة من الهند والصين والساحل الشرقي لإفريقيا، فيما يتم عبرها تصدير منتجات شبه الجزيرة العربية من التمور وغيرها. أنظر كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، تأليف محمد بن عمر بن واقد الواقدي (تاريخ ٢٠٧هـ)، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الجزء الأول ص ١٦٢. يُشَابُ: يُخْلَط.

(٣) يُزْرِي: يُعيبُ، يُحَقّرُ، ينتقصُ، يحط من قيمته وقدره، ويُقَلّلُ من أهميته.

(٤) أعاد وأبْدَى: الله سبحانه وتعالى المبدئ المعيد.

(٥) بسيط لسان: أي باسطا لسانه بالدعاء ممتد.

(٦) أيّ بليد: أي لا أحد مثله في بلادة ذهنه وخمول عزمه وضعف نشاطه.

(٧) منيب: تائب، فاعل من أناب. اللوى: مُنْعَرَج الرمل. الزُّرُوْدُ جمع زَرْد، وهو قميص كان يُنْسَجُ من حِلَقٍ حديدية دقيقة، يرتديه المقاتل ليقي به جذع جسمه من ضربات السيوف والسهام وغيرها، ثم جرى

الفصل الثاني

دعاك ولا يرجو سواك لفقره ... وأنت الذي تُدعى لكل شديد[1]
وما ظنَّ يوما أن يُخَيَّبَ آمِلٌ ... بباب كريم في غناه حميد
ولم يك يشقى في دعائك عمره ... ومنك يُرَجّي اليوم كل مزيد
إلهي تداركني بلطف وأغنني ... بواسع رزق من نداك عتيدِ[2]
فمهما ترد شيئا يكن بمقال كن ... فهلاً بكن تقضي بأوسع جود[3]
يجود به مَنْ جودُه الغمرُ شاملٌ ... على كل موجود بكل وجود
فما كان لي في غير فضلك مطمعٌ ... وجودك منه طارفي وتليدي[4]
وَجُودُك إذ عزَّ الشفيعُ وسيلتي ... وجودك إذ عز البريد بريدي
وإني لوقّافٌ ببابكَ سائلٌ ... لفضلك راجٍ منك نُجْحَ وُعُودي
وقد دفعتني الكائناتُ بأسرها ... إليك ولم تحفظ وثيقَ عهودي
وإنّيَ إنْ زايلتُ بابكَ قاصدا ... سواك فقد أبْرَمْتُ نقضَ عقودي[5]

تطويره ليكون سابغا للجسم كله. ثم تُوسِّعَ في اللفظة فأطلقت على الثوب الضافي المعروف بالدرَّاعة، وهو الذي تستر به المرأة جسمها. ومن الزَّرْد أيضا المَزْرَد وهو في لغة أهل عمان مَصَاغٌ من فضة تتحلى به النساء. والمعنى أن التائب الحق هو من لا يشتغل بذكر الخليلات ومحاسنهن ومعاهد لقياهن، بل بذكر الله وحده، وطلب العفو منه عما فرط من الزلل. وفي استخدام الشيخ سعيد لفظة اللوى استحضار شعري لما في معلقة امرئ القيس من تعبير يناسب المقام عن اشتغال المرء بالشهوات غير المباحة: "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدخول فحومل". لا تخفى على القارئ الأريب، والناقد الحصيف وجاهة ذلك الاستحضار في مجال الإشارة إلى تعلق النفس بالشهوات التي كان لها نصيب غير يسير من أبيات معلقة امرئ القيس، وكان أكثرها تفحُّشا قول الملك الضليل: "إذا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ ... بِشِقٍّ، وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ".

(١) وردت في الديوان: يُدعى.

(٢) العتيدُ: الحاضر المُهَيَّأ.

(٣) هَلاَّ: كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ (هَلْ) وَ (لاَ)، تَكُونُ لِلحثِّ والحَضِّ على العمل أو الطلب عِنْدَ دُخُولِهَا عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ.

(٤) الطارِفُ: المالُ المُكْتَسَبُ حديثا. التليدُ: المالُ المُتَأَثَّلُ قديما.

(٥) مطلع الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (وإني وإن...). زايَلْتُ: فارَقْتُ. أبْرَمْتُ: أحْكَمْتُ.

الفصل الثالث

وحاشاكَ[1] عن ردي وقطع مطامعي ... لشؤم جدودي واتضاح جمودي
وإن كان سعيي لا يفي بمطالبي ... وأنَّ حظوظي عن مناي قيودي
فإنّ بقصدي الله تغدو صعابها ... وانْ عَظُمَت قدرا أَذَلَّ مَقُوْدِ[2]
ومن يتمسك بالإله تكن له ... إذا رامها العنقا أَذَلَّ مَصِيْدِ[3]
ولما رأيت الحظ عني نائما ... وكان قيامي فيه مثل قعودي
وأن فعالي مثل مالي كلاهما ... لدارس دين الله غير مُعيد
وأن لساني مثل كفي كلاهما ... لإظهار دين الله غير مُفيد
وأن حسامي كاليراع كلاهما ... لأعداء دين الله غير مُبيد
ودهريَ لم يأذن بغير إهانتي ... وإكرام خصم للإله عنيد
وغاية محصولي المواعيد والمُنى ... وأن وعود الغدر أيّ وعود[4]

---

(١) حاشا: أَداةُ استثناء لتنزيه المُسْتَثْنَى عن مشاركة المُسْتَثْنَى منه، وتأتي في قوالب إعرابية متعددة ليس هنا مجال عرضها. الشُّؤْمُ: خلافُ اليُمْنِ. وشؤم الجدود: بمعنى الحظ العاثر الملازم للإنسان دونما سبب من نفسه. وقد ذهبت ظنون الماضين إلى أن عثار الحظ ينتقل إليهم من أسلافهم، وقرروا ذلك في عبارة: شؤم الجدود. والواقع أن هذا المنطق يأباه دين الإسلام، فالنبيُّ صلى اللهُ وسلم عليه وعلى آله وصحبه يُرْوَى عنه قولُه: "المَرْءُ بِسَعْدِه، لا بأبيه ولا بِجَدّه". وقولُه: "مَنْ أبْطأَ به عملُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه". أنظر كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٦٩. والشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله لم يستعمل العبارة وفق منطق الماضين، وإنما لكون العبارة أخذت في الأدب العربي صفة المصطلح المتعارف عليه في الدلالة على عثار الحظ.

(٢) مطلع الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (ولكن بفضل الله).

(٣) العنقاءُ طائر وهمي يُضْرَبُ به المثل في طلب المُحال.

(٤) في الديوان: (أيّ وعيد).

ولم يبق عندي اليوم غير تَمَسُّكي ... بعـروة ركـن للإلـه شـديـد[1]
جمعتُ همومي وانْتَجَعْتُ بهمتي ... إلى باب وهَّاب الجدود مجيد[2]
إلى باب من يدعوه في الأرض والسما ... ءِ مَنْ فيهما مِنْ سيّد ومسود[3]
إلى باب من في كل يوم بحمده ... له أي شأنٍ في الأنام جديد
إلى باب خير الناصرين وأكرم الـ ... ـمفيدين خير الفاتِحين ودود
إلى باب وهاب الممالك قالب الـ ... ـكراسي قهار لكل عنيد
إلى مالك الْمُلك العظيم اقتداره ... إلى من له الأملاك خير عبيد
وقوفا على أبوابه منه راجيا ... قيام حظوظي في العُلا وجدودي[4]
حظوظا يقوم الدهر فيها بِخدمتي ... ويسعى بما لا يشتهيه حسودي
فتخرق لي فيه العوائد نفحة ... سماوية من مبدئ ومعيدِ[5]
تقوم بتدبير الإله وكيده ... لأمر عليه لم أكن بجليدِ[6]
ويسعى بِما يرضى الإله لدينه ... إذا ما أمَات الْحقّ كلُّ مَرِيْدِ[7]

---

(١) في الديوان: (إلاَّ).

(٢) انْتَجَعْتُ: من النَّجْع وهو المكان الذي كان الماضون ينتجعون إليه لوجود الماء والعشب فيه. والنُّجْعَةُ قَصْدُ ذي المعروف طلبا لمعروفه. يُقال هو نُجْعَتي أي الذي أقصدُهُ من ذوي المعروف أملا فيه. والشيخ سعيد رضي الله عنه يشير بهذا البيت إلى انقطاعه لله عز وجل مختليا لمناجاته راجيا تحقيق سؤله فعبَّر عن الخلوة بالنُّجْعة.

(٣) في الديوان: (والسما ومن فيهما....).

(٤) العُلاَ: الرفعةُ والشَّرَفُ. جدود جمع جَدّ، والجَدُّ: المكانة والمنزلة عند الناس.

(٥) مطلع الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (وتخرق...). معنى تخرق لي العوائد: أي أن تُحدِثَ لي يا اللهُ من عوائد فضلك وجودك ما يكون في علو قدره وعظمة أثره معجزا خارقا للعادة. والمعجزات هي اختصاص الله الخالق عز وجل، ومَظْهَرٌ من مظاهر وجوده وقهره وهيمنته وسلطانه على الكون. المبدئ والمعيد: هو اللهُ تعالى وحده الذي يبدأ الخلق ثم يعيده.

(٦) لأمر عليه لم أكن بجليد: لا طاقة لي على القيام به.

(٧) المَرِيْدُ: الشيطان. والشيطان يكون إنسيا كما يكون جنيا والمقصود هنا شيطان الإنس. واللفظة مأخوذة من مرُدَ يمرُد، مُرودًا، فهو مَرِيد، ومرُد الشّخصُ: طغا وعتا، جاوز الحدَّ.

بِها قام من قبلي الأئمةُ بالهدى ... وكانت لِرُسْل الله قبل وجودي[1]
يُتِمُّ بِها النَّعْمَا عليَّ مُتِمُّها ... قديما على خير الخلائف صيدِ
فأدركُ أوطاري بها ومطالبي ... وأسمو إلى العلياء غير مَذُوْدِ[2]

الفصل الرابع

ومن لي بِهذا في زمانٍ مُضَاعَةٍ ... به سنن الإسلام بين قرودِ[3]
ومن لي بأن يرضى الإلهُ لدينه ... بتعطيل أحكامٍ ورفض حدودِ
ومن لي بأن يرضى لأمة أحمد ... وقد سامها بالخسف كل كَنُوْدِ[4]
ومن لي بأنصار إلى الله وحده ... أشدَّاءَ بأسٍ في الحروب أسودِ[5]

(١) مطلع الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (بها قام من قبلُ الأئمة...). في البيت إشارة إلى ما يطلبه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من الله عزَّ وجل، وهو أن يُيَسِّرَ سبحانه قيام إمامة الدين والدولة في عمان على يديه كما يَسَّرَ ذلك للأئمة قبله. وقد حقق الله له هذا الطلب فأتم على يديه نَصْبُ إمامة الإمام عزَّان بن قيس البوسعيدي رحمة الله تعالى عليهما.

(٢) الأوطار: الغايات. غير مُذادٍ: غير مطرود.

(٣) سنن الإسلام المُضَاعة: أحكام شريعته المُعَطّلَة. الموصوفون بالقرود: قادة الاستعمار البريطاني الذين عبثوا بمصير عمان.

(٤) الكَنُود: الجاحد لنعم الله تعالى.

(٥) وجد الشيخ سعيد بغيته من الأنصار في رجال قبيلة بني رواحة الذين كانوا له أنصارا أشداء ذوي بأس كما كان يرجو. وكانوا أسخياء بالنفس والمال في سبيل الله عزوجل كما وصفهم حفيده أمير البيان في قصيدة أحفاد عنترة في ديوان من نافذة الحياة، حيث قال:

بنو رواحة هم أحفاد عنترة ... وجمرة العُرْب أهل الكَرِّ والكرم
إنا لنشكر منهم أيديا بَسَقَتْ ... بالفضل والدهر في داج من الظلم
كانوا لآبائنا الأنصار عن مِقَة ... وقدموا الدم قربانا لربّهم
حَفَّتْ سمائل يوما بالمُحَقَّق إذ ... أنه اشْتَدَّ للعادي على الحُرم
وافاه من آل عبس من تصول بهم ... عبس وقالوا له اقْهَرْ كل محتكم
ونحن حولك جند الله تدفعنا ... منه العناية بين الشوط واللجم
نفديك بالدم قبل المال خالصة ... نياتنا لإله الواحد الحكم

وبنو رواحة من عبس، وعبس إحدى جمرات العرب الثلاث، ينحدرون من رواحة بن ربيعة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. لهم وجود معروف متحقق النسب في مختلف أرجاء الوطن العربي. وفدوا إلى عمان منذ ما قبل الإسلام ضمن هجرات عدنانية قدمت من نجد والحجاز، واتخذوا من مدينة سمائل مقرا. ذكرهم الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه: العنوان، ص ١٣٣، فقال: "ومن القبائل المعدودة في الكثرة والبأس، والصبر على حوادث الدهر، بنو رواحة، وهم نزاريون، ومنازلهم بالأودية المسماة وادي بني رواحة، ووادي محرم، ووادي عندام. وقال أيضا في نفس الصفحة: "وهم الجمرة المعروفة قديما في العرب، والرمح الأزرق في نضال الحرب، وهم عدد مهم مع شدة وصبر". وقدَّرَ الرحالة الإنجليزي لوريمر عددهم ١٨ ألف نسمة، وقد يندرج في هذا العدد أفراد من قبائل أخرى داخلون في حماهم، ومتآزرون معهم في الضرَّاء، ويتقاسمون وإيَّاهُم السرَّاء، ويحملون معهم في الشدّة، وينعمون وإيَّاهُم بالرخاء. كما ذكرهم الشيخ السيابي في كتابه: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص ١٤، فقال بأنهم: "من أوسع القبائل وأشدها صرامة، ولهم همٌ وصبر على مضض الدهر، أبطال الرجال وأحرار السنان...". وكانت قوة بني رواحة تسبب في الماضي قلقا للسلاطين من حكام عمان حتى إن السلطان فيصل بن تركي سعى لإخضاعهم فوجَّهَ إليهم جيشا في سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٥م لكنه لم يتمكن من تحقيق ما رجا. وقد تغنَّى بعض شعراء عمان بأمجاد بني رواحة، من ذلك ما قاله فيهم الشيخ هلال بن سالم بن حمود السيابي في قصيدته (القلادة) ص ٤٨ حيث قال عند ذكره لولاية سمائل مشيدا بشمائل بني رواحة وبني عمهم بني ذبيان:

لله من عبس سادة نجداً ... وآل ذبيان إن عادَوْا وإن دانُوا
مقانبُ الحرب سَلْ عنهم مخاصمهم ... تعلم بأن كؤوس القوم ذيقان
فرسان داحس والغبراء مجدهم ... فوق الثريا وأصل المجد غطفان

وأمجاد بني رواحة في أمتهم العربية مسطورة منذ القديم في مصادر التاريخ العربي. وفي عمان ذكرهم معروف منذ دولة بني نبهان التي قامت في منتصف القرن الرابع الهجري سنة ٣٦٣هـ (أنظر لهذا التوقيت: كتاب الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا. ص٣٥٣، و٣٥٤) حتى قيام دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م. ١٢٨٧هـ/١٨٧١م)، والتي كان لبني رواحة دور في قيامها، وكانت سببا لقيام علاقة حميمة بين هذه القبيلة الكبيرة وبين أسرة العلامة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رضي الله عنه. وفي دولة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي (دامت ٣٥ عاما من سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م إلى سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، تبوَّأ بنو رواحة مناصب رفيعة، فقد ذكر الشيخ سعود بن علي بن عبدالله الخليلي بأن دولة عمه الإمام محمد بن عبدالله الخليلي ضمَّت من بني رواحة مشايخ "كانوا بين والٍ وقاضٍ، ووكيل بيت مال". (أنظر: كتاب: كلمة، للشيخ سعود بن علي الخليلي، دار أبعاد، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٥م، ص٧٥). وذكر الاديب سالم بن سليمان بن سالم بن

تُباري النعام الربد خيلهم إذا ... بِحَيَّ على نصر المهيمن نودي[1]
يغاث بِهم داع إلى الله قد دعا ... وخوصم في ذات الإله وعودي
ومن لي بسيف يقطع الْهامَ والطُّلى ... ويَفري من الأعداء كل وريد[2]
حسام لدين الله والله ضارب ... بحديه والهيجاء ذات وقود[3]
ولو عارض الشم الجبال بضربة ... لناخت على طود أشم فقيد[4]

عديّم البهلاني العبسي فيما هو بحوزتي بخط يده من أوراق أهدانيها الشيخ عبدالله بن سعيد بن حمد الرواحي، وهي بعنوان: البيان المختصر عن وادي محرم، أسماء العلماء ورجال الدولة من بني رواحة سكان وادي محرم منهم: الشيخ سيف بن حمود بن محمد الرواحي "وقد لازم الإمام الخليلي ساعة عَقْدِ الإمامة له. وكان السفير في أوامره وفتوحاته. تقلد سيف الشجاعة كمسمَّاه، باسط اليد كرما، قوي العزم، ربيط الجأش، بعيد الهمة في معالي الأمور". والشيخ سالم بن عديّم الرواحي "كان بمكان من العلم في دولة الإمام عزَّان بن قيس رضي الله عنه فتولى قلعة نزوى... ولما دالت الأيام بالدول ورأى الإقامة في عمان على ضيق الوقت ارتحل إلى زنجبار في عهد حاكمها السلطان برغش بن سعيد فكان من العلماء المقربين عنده حتى توفاه الله". والشيخ العالم سليمان بن عمير الرواحي، والشيخ العالم محمد بن سليّم الرواحي كان أستاذا للشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي وللشيخ العلامة الأديب ناصر بن سالم البهلاني الرواحي. وذكر الأديب سالم بن سليمان البهلاني الرواحي أنَّ من أعيان بني رواحة وفوارسهم في تلك الفترة الشيخ حمد بن سعيد بن حميد الرواحي الذي بلغ الغاية في الكرم وقد سار على سيرته ولده الشيخ سعيد بن حمد الذي قلّده الإمام الخليلي ولاية العوابي. وكذلك الأديب سالم بن سليمان بن عمير الرواحي فقد جاء وصفه في البيان المختصر عن وادي محرم بأنه: "الأديب المهذب والشاعر الناثر، وأوتي الزيادة من الصوت الحسن فكان قارئ الإمام كما كان أبوه سليمان قارئ السيد برغش".

(١) الرّبد: صفة النعام، مأخوذة من ربدَ: أي اختلط لونه بكُدْرة. وقد شَبَّهَ الشيخ سعيد رحمه الله تعالى الخيل بالنعام لما هو معروف به من قوة ساقيه المذهلة، حيث يستطيع العدو بسرعة تصل إلى ٥٠ كيلومتر في الساعة، وأن يحافظ على سرعته تلك لمدة نصف ساعة. بِحَيَّ: حيَّ، كلمة للنداء بمعنى هَلُم، مثل قول المؤذن: حيَّ على الصلاة. والمعنى هنا أن الأنصار الذين هم بغية الشيخ يتسابقون لنصرة دين الله تعالى إذا ما نوديَ للجهاد.

(٢) الهامُ: جمع هامة وهو الرأسُ. الطُّلى: جمع، ومفردُها طُلاة، وهو العُنُق.

(٣) الهيجاءُ: الحربُ.

(٤) ناخَتْ: جَثَتْ، بَرَكَتْ.

الفصل الخامس

فيا غارة الله اغضبي وخيوله ار كبي ومواضيه انعمي بورود[1]
ومُنّي على الأعداء منك بزورة تريحهمُ من كفرهم بلحود[2]

(١) الغَارُ: الجمع الكثير من الناس، الجيش. والغارةُ: الهجوم على الأعداء. فيا غارة الله اغضبي: أي يا أيها الجمعُ المغير في سبيل الله لتقم غضبانا للذب عن حرمات الله. المواضي: السيوف. وهذا استنهاض من الشيخ لأنصاره لأجل إقامة دولة الإمامة. ويقال ان اول من قال عبارة: "يا غارة الله" الأمير العباسي إبراهيم بن المهدي الذي كان أديبا وشاعرا ومن رؤوس الفن الموسيقي في العصر العباسي. ذكر ذلك المؤرخ الذهبي وأورد له بيتين هما:

يا غـــارةَ الله قد عاينتِ فانتقمي هَتَك النّســـاء ومـا منـهنَّ يُرتكبُ
هَبِ الـرجـالَ على إجـرامـهـا قُتِلَتْ مـا بـالُ أطفـالـهـا بـالـذَّبْـح تُـنْـتَـهَـبُ؟

أنظر كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الجزء السادس عشر، ص ١٤. وفيما بعد عُرِفَ استعمال هذه العبارة لدى المشتغلين بالعلم المعروف بعلم الأسرار الربانية، فقد كانوا يلهجون بها في خلواتهم، ومن ذلك قولُهم:

إن أبْـطَـأتْ غـارةُ الأرحـام وابْـتَـعَـدَتْ فـأقـربُ الـشـيء مـنـا غـارةُ الله
يا غـــارةَ الله جـدّي السـير مُسرعة في حـلّ عـقـدتـنـا يـا غـــارةَ الله

أما عبارة: (وخيوله اركبي) أصلها: يا خيل الله اركبي، ففي الحديث النبوي "أن حارثة بن النعمان قال: يانبي الله ادْعُ لي بالشهادة، فدعا له، فنوديَ يوما يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارسٍ استشهد". أنظر الحديث في كتاب بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري (ت٣٨٠هـ)، تحقيق محمد حسن محمد، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٠١. والخيل تطلق على الأفراس وعلى الفرسان أيضا، وعبارة: يا خيل اركبي، خطاب للفرسان. حُذِفَ المُضاف وأُقِيمَ المُضاف إليه مقامه. ومنه قول عنترة بن شداد لابنة عمه عبلة: "هلاَّ سَأَلْتِ الخيل يا ابنة مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تعْلَمي"، أي اسْألي فرسان الخيل. ولهذا النوع من الخطاب قياس في القرآن الكريم، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ سورة يوسف، الآية: ٧٠. العيرُ هي القافلة، فنسبة النداء إليها على سبيل المجاز لأن المنادى في الحقيقة أهلها.

(٢) في هذا البيت والذي يليه يتوجه الشيخ سعيد إلى الله عزوجل بالدعاء على الإنجليز.

ويا رب مزِّق كل سور وخندق ... عليهم وحصن شامخ ووصيد[1]
وقد مكروا فامكر بهم وأذقهمُ ... عواقب مكر في البلاد شديد
وطهِّر بقاع الأرض منهم بأنفس ... من البغي تجريها بكل صعيد
وشَرّد بهم في كل أرض فلا سوى ... قتيل ومأسور يُرى وطريد
وصُبَّ عليه سوط منتقم كما ... لعاد وفرعون جرى وثمود
ولا تبق ديَّارا على الأرض منهم ... فما قوم نوح منهم ببعيد[2]

الفصل السادس

وعجّل بنصر منك للدين مُظْهِرٌ ... وعن كيد من عاداك غير مكيد[3]
يقوم بأرباب الديانات والتقى ... فيسطع نور الحق بعد خمود[4]
وتنشر أعلام العلوم لواءَها ... بأسياف عدل لم تَلِقْ بغمود[5]
يُدَبّرُهَا ماضي العزيمة حاذق ... بإنفاذ أمر اللّٰه غير مَؤُوْدِ[6]
تَذِلُّ له الآسادُ حتى النقاد[7] لا ... تذاد عن الْمرعى بأطلس سِيْدِ
أمينٌ على دين الإله وشرعه ... خليفَتُهُ المأمون خير رشيد[8]
به قَرَّت الدنيا عيونا وأهلُها ... على العدل والإحسان منه شهودي[9]

(١) الوَصيدُ: فِناءُ الدار والبيت. والوصيدُ النباتُ المتقاربُ الأُصول. وكلا المعنيين سائغ في مقام الدعاء على الأعداء.
(٢) الدَّيَّار: ساكن الدار.
(٣) النصرُ المُظْهِرُ الذي تكون نتيجته سيادة المنتصر سيادة غالبة قاهرة لكل من عاداه. قياسا على قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾. سورة الفتح، الآية: ٢٨.
(٤) المقصود بأرباب الديانات والتقى: علماء شرع الله المتصفين بالتقوى.
(٥) أعلام العلوم: العلماء. والمقصود بهم هنا أهل الحل والعقد من العلماء الذين يُرَشحون إمام الدولة ليبايعه الشعب. لم تَلِقْ بغمود: أي لا يليق بالسيوف أن تبقى مغمودة في أغمادها بل وظيفتها أن تُسَلّ لزهق الباطل ونصرة الحق.
(٦) غير مؤود: غير متثاقل عن إنفاذ أمر الله. والمقصود بهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده الإمام المُرتجى للدولة.
(٧) النَّقَادُ: الغنم. الأطلَسَ: المختلط سواد لونه ببياض، والمقصود لون الذئب. والسِّيْد بكسر السين: الذئبُ.
(٨) تلك هي صفات إمام الدولة الذي نهض الشيخ سعيد واستنهض الرجال لأجل نصبه.
(٩) أي أشهدُ عدلَه الذي تطمئن إليه أنفس الناس، وتقر به أعينهم.

الفصل السابع

ومُـنَّ على عبـد دعـاك بـنـظرة ... تُجَلّي على الآفاق شمس سعـود
فتشـمل من في الأرض حتى أراهم ... إلى اللّه أنصـاري وفيـه جنـودي
فأصْبِحُ منصـورا مطاعا مؤيَّدا ... بفـتـح وتمكين وجـــاه سـعيد
فأحْشِدُ في نصـر الإلـه ودينـه ... ومن قام بالدين الْحنيف حشـودي
عسى ولعـل اللّه يظهـر دينـه ... على كـل ديـن لم يكـن بسـديد
فَتَخْضَـرُّ آمـالي وتُـوْرِقُ مُنْيَـتي ... ويُثْمِرُ في دوح المكارم عـودي
فـانك فعّـالٌ لما قـد تريـدُه ... قديرٌ على ما شئتَ خـير مُريد

* * * * *

خاتمة

إلهي اسْتَجِبْ دعوى إليك بعثتُها ... وقد طال ترجيعي[1] بها ونشيدي
عقودُ ثناءٍ قد أجدتُ نظامها ... وإن كنتُ للأشعار غير مُجيد
قصدْتُ بها باب المليك ولم تزلْ ... إلى بابه الآمالُ خير وفود

قال عبدُ الله الفقيرُ إليه: سعيد بن خلفان، هذا ما جرت به الأقلام، بحسب ما اقتضاه المقام، من النظم المسرود، في دعاء الملك المعبود. وقد استطرد القول فيه إلى أفنان وفنون، وكما قيل الحديث شجون. وكنت حريصا على إخفائه، وعدم إفشائه، لأنه في تلك المراصد، خفيَّ المقاصد، لا يؤذَنُ به من طلب الرياسة، وحُبَّ الحماسة، وتَمَنِّيَ الحظوظ والجدود، وقَصْمِ الفراعنة، وتدبير الجبابرة، كما حل بعاد وثمود.

ولا يسوغ الدعاء بهذا إلا لمن عرف أن هذا النظم والدعاء قد أُجْرِيَ على صُوَرِه على لسانَ كل قائمَ بالعدل، بإذن رب الأرض والسماء، فَالدعاء متوجَه بذلك من أي قوم كان من العباد، وأن صورة الداعي لنفسه فما ذلك له بمراد. وقد عهدتُّ في ذلك إلى ربي عهدا، سألته إياه عمدا، وأخلصتُ له فيه النية قصدا. وسألته في كل من أدعو بهذا الدعاء أو غيره عليه، وإنْ صرَّحتُ بذلك في الدعاء لديه، فإنه إن كانَ يعلم الله في عاقبته خيرا ورشدا، فليجعله له رحمة وسعادة ومددا.

كما عهد في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه، فيمن لعنه أو دعا عليه في غضبه، وهو غير مستحق لذلك أن يُبدله له رحمة، ويجعله عليه نعمة. والله أسأله دوام المغفرة والستر والقبول. وإجابة الدعاء أنه هو الرحيم الوصول. وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) الترجيع: قولُ إنا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك ترديد الدعاء أي قوله مرارا.

(٣) فقر الأولياء

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثالث.

لـم أرَ إذ فكَّـرت فـي أمـري ... قضـيـة أعـجـب مـن فـقـري
تُـهْتُ على دهـري بـه فاستمع ... عـجـائـبـا أبْـرَزَهـا شعري
مـالـيَ دينـار ولا درهـم ... ولـي كـنـوز الـدر والـتـبـر
وليس لي بُـلْـغَـةُ يـومٍ وكَـمْ ... قد أُطْعِمُ الجائعَ مِن يُسْري[1]

(١) البُلْغَةُ: حَدُّ الكفاية. كم هو بليغ هذا البيت، فقد حمل من مظاهر إكرام الله عبدَه المؤمن المخلص ما يكشف المرتبة التي بلغها هذا الشيخ الصالح من صدق الإيمان ورسوخ اليقين وحق التوكل. فهو يقول بأنه لا يملك من الرزق حد الكفاية ليومه، ولكنه يجد نفسه بحال من اليسر يمكنه من إطعام الجائع. فحاله هذه شبيهة بحال السيدة مريم بنت عمران التي كلما دخل عليها زكريا عليهما السلام وجد عندها رزقا ﴿قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ سورة آل عمران، الآية: ٣٧. قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره وأنقله بتصرف بأن زكريا كان يقول ذلك لها؛ لأنه يغلق عليها الأبواب عند خروجه عنها، وعند عودته يُعْجَبُ مما يرى من الأرزاق عندها، فيقول لها متعجبا مما يرى: "أنى لك هذا"؟ فتقول: من عند الله. حال الشيخ سعيد شبيه بهذا فهو يقول:

وليس لي بُـلْـغَـةُ يـومٍ وكَـمْ ... قـد أُطْـعِـمُ الْجـائـعَ مِـن يُسْـري
ومـا معي قـطُّ غـلام وقـد ... قـامـت لي الـغـلـمـان في أمـري
وكـم بـهـم نـال الـعِدى مـن رَدَى ... وكـم بِـهـم حَـصَّـنْـتُ مـن ثـغـر

في هذه الأبيات يتحدث الشيخ سعيد بفضل الله تعالى عليه لما اختصه به من الكرامة، ومظاهرها بادية في هذا الأثر الشعري الماثل بين يدي القارئ. ومن ذلك أيضا ما ذكره في قصيدته: السموط التي مرَّت قبل هذه القصيدة حيث ذكر أنه نذر حياته في الدنيا وعمله فيها لله تعالى وحده، ورأى أن إخلاصه لله، ونصرته لدعوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تَصْدُق إلا بنهوضه لإقامة دولة الإسلام، ونصب إمام الدولة، ورأى أيضا أن صدق ذلك الإخلاص، وتحقيق تلك النصرة يستلزمان صدق التوجه إلى الله تعالى الذي لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن في الكون إلا بإرادته وعلمه، كما رأى أن إمكاناته الذاتية لا تُبَلِّغُهُ تحقيق الغاية المرجوّة، وأقرَّ بذلك في شعره:

ولَّـمـا رأيـتُ الـحـظَّ عَـنِّـيَ نـائـمـا ... وكـان قـيـامـي فـيـه مـثـل قـعـودي
وأن فـعـالي مـثـل مـالي كلاهـمـا ... لـدارس ديـن الله غـيـر مـعـيـد
وأن لـسـاني مـثـل كـفـي كلاهـمـا ... لإظـهـار ديـن الله غـيـر مـفـيـد
وأن حـسـامـي كـالـيـراع كلاهـمـا ... لأعـداء ديـن الله غـيـر مـبـيـد

وما معي قط غلام وقد ... قامت لي الغلمان في أمري
وكم بهم نال العِدى من رَدَى ... وكم بِهم حَصَّنْتُ من ثغرِ[1]
وكم بِهم أظهرت من سطوة ... في موقف الهيبة والذعر
قامت ليَ الأجنادُ مبثوثة ... في البر من ملكيَ والبحر
أسعى بِمن أختص من عترتي ... لباب ذي السلطان والأمر[2]
الشوق والتوق هما قائدي ... وملبسي من حلل العَفْرِ[3]
وحال ذلي بشعار البكا ... يشهد لي بالفقر والضر[4]
وما اشتكائي في بكائي سوى ... إنك بالحالة ذو خبر
ولا مرادي غير بادي الْهوى ... والحب والقربة والذكر
مالي إلى جاه عُدُوْلٌ ولا ... إلى شرا مال به أثري[5]

عند ذاك وجّهَ قصده لله تعالى، مختليا بالضراعة والتبتُّل، معلنا عجزه واحتياجه إلى أن يمده الله بما يحقق ما يرومه من غاية عظمى وهي نصب إمامة الدين والدولة، فقال رحمه الله تعالى:

جَمَعْتُ همومي وانْتَجَعْتُ بهمتي ... إلى باب وهاب الْجدود مجيد
فتخرق لي فيه العوائدُ نفحةً ... سماوية من مبدئ ومعيد
تقوم بتدبير الإله وكيده ... لأمر عليه لم أكن بِجليد
بِها قام من قبلي الأئمةُ بالهدى ... وكانت لرسل الله قبل وجودي

لقد كان مطلب الشيخ أن يُيَسّرَ اللهُ نصب إمامة الدين والدولة على يديه. وحين يقول في شعره بأنه اختلى لأجل هذه الغاية ضارعا إلى الله أن يحققها على يديه، ثم نعلم من وقائع التاريخ أن هذا الطلب قد تحقق بنصبه إمامة الإمام عزّان بن قيس يَتَبَيّنُ لنا أن جهوده كانت مشمولة بتأييد ربّاني، وأنه مُكَرَّمٌ من قبل الله تعالى بإجابة سؤله، كرامة له، رضيَ الله عنه وأرضاه رضا ينزله في الجنة منازل أنبيائه ورسله.

(١) الثغْرُ: الموقع الذي يرابط فيه المجاهد ليدفع العدو عن الدين والأمة والوطن.

(٢) العِتْرَةُ: نسل الرجل، ورهطه، وعشيرته.

(٣) الشوق: تَرَجّي المحب لقاء من يحب. التوق: نزوع النفس إلى ما ترجو وتهوى. العَفْرُ: التراب.

(٤) ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: يشهدُ لي والفقر والضر.

(٥) عُدُولٌ: مَيْلٌ. أي لستُ بطالبَ جاه، ولا بساع لشراء مال من أجل أن أصيبَ حظاً من الثراء. ولفظة (شرا) وردت في الديوان: (ثرى).

ولا إلى نصرِ صديقٍ ولا ... حرْبِ عدوٍّ غالب القهر
عاينتُ شيئا من جلال الحمى ... فغبتُ عن شكوايَ بالشكر[1]
وَرُمْتُ أنْ أظهرَ نشرَ الثنا ... فردَّني الحال إلى الحصرِ[2]
فيا له من موقف ما له ... من واصف من عظم القدر
يرتعد الواقف من خوفه ... كالوَصْع ما بين يدي صقر[3]
أبصرت من عظم قيامي به ... قيامتي في ساعة الحشر
لكن تراه نلتُ منه الثرى ... وعدتُ بالعزة والفخر
أُجَنّدُ الْجُنْدَ لغزو العِدى ... وأبذل الأموال من وفري
منهن أُجْري نفقاتي وما ... من صدقاتي أبدًا أَجري[4]
ومنه أفضالي مبسوطة ... خالدة تالدة تسري[5]
أُمْدِدْتُ بالنصرة والنصر من ... عند المليك الواهب النصر
فكل أيامي أرمي العِدَى ... بِموجِ بحرِ العسكرِ المَجْرِ[6]
على سواد الخيل كالليل إذ ... لاح صباحُ البيض والسُّمر
قد جَمَّعَ الأنصارَ لي وانتحى ... إلى من هاجرَ عن هجْري
ونُصْرَتي الأملاك قد سُوّمَتْ ... ولا نصير لأولي الكفر[7]

(١) وردت في الديوان: (خلال).
(٢) الحصْرُ: العجْزُ.
(٣) الوَصْعُ والوَصَعُ والوَصِيعُ: الصغير من العَصافِير، وقيل: الصغير من أَولاد العصافير.
(٤) أُجْري (الأولى): أي أنفق على نفسي وعيالي من مالي. وأجري الثانية: أي لا أَوَلّيْ مُتَخَلّياً عمَّا يجب عليَّ أداؤه من فرض الزكاة.
(٥) الأفضال التالدة هي التي لا ينالها الإنسان بكسبه وإنما بالإرث. وهذا شأن فضل الله الذي يتحدث بذكره الشيخ سعيد، فهو فضل تالد لأنه ينتقل فيهم بفضل الله من السلف إلى الخلف.
(٦) المَجْرُ: الجيش العظيم.
(٧) سَوَّمَ الخيل: أرسلها وعليها فرسانها.

بالعدوة الدنيا جنودي وهم ... بالعدوة القصوى على الجسر[1]
إن لم تَرَ الحربَ فسلْ من رأى ... كم من صريع خَرَّ في بدر[2]
واسأل أباجهل وأحزابه ... ماذا رأوا من قُضُبٍ بُتْرِ[3]
وفي نزالي وقتالي أنا التا ... لي لآياتٍ من الذكر
أستمع الآيَ وأصغي لَها ... حتى يغيب العقل من سكري
وما وقوفي في صفوفي غَدَا ... يمنعُ عن ذكرٍ ولا شكر
ولا أرى ثَمَّتَ إلا أنا ... ولا أراني ثَمَّ لا أدري[4]
ولا أبالي بِجنود العِدَى ... منهم ولا أرهب من عَرَّ[5]
يا موقفا يالك من موقف ... لبستُ فيه حُللَ الفخر
لم أر فيه ملكا غير من ... قامت له سلطنة الفقر
ما المالُ ما الثَّروة ما تلكمُ الـ ... ـأحْجَارُ من جزع ومن شذر[6]

(١) العُدْوَةُ: ضفة الوادي وشاطئه. والواقف في العُدْوَة الدنيا يكون مكشوفا من قبل الواقف في العُدْوة القُصْوَى. وعلى هذا فوصف الشيخ سعيد أنصاره بأنهم على العدوة الدنيا مقابلين أعداءه في العدوة القُصْوى فيه بيان لحرج موقعه وحصانة موقع أعدائه. وفيه بيان لمعية الله له ولطفه به وبأنصاره حيث حفَّهم الربُّ جل وعلا بنصره وتأييده. وهذا الوصف اقتباس لما وصف الله به موقع جيش الإسلام يوم بدر، وهو قوله تعالى: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٢) موقعة بدر وقعت في السابع عشر من رمضان بين جيش المسلمين بقيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقوامه ٣١٣ رجلا، وبين جيش مشركي قريش وقوامه ١٠٠٠رجل، يتقدمهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة.

(٣) أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان من أشد المعاندين المعادين لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، كنّاه بأبي جهل عَمُّهُ: الوليد بن المغيرة. وكان أبوه هشام بن المغيرة سيد قومه بني مخزوم. القُضُبُ البُتْرُ: السيوفُ القاطعة.

(٤) يقول الشيخ في هذا البيت: ولا أرى هناك إلاّ نفسي، كما أنني لستُ بالذي لا يدري موقفه هناك.

(٥) عَرَّ خصْمَه: لقِيَهُ بما يُشينُه. عَرَّهُ بِشَر: رماه به.

(٦) الجزع: نوع العقيق، حجر كريم. الشذْرُ: قطع الذهب.

ما الْمُلكُ ما السلطانُ ما تلكم الـ ... ـسطوة عند النهي والأمـر
بذلك الفقر لنا حاكمٌ ... فياله من حَكَمٍ بَرّ
عطية الله حبانا بها ... وصانها عن مِلَلِ الكفر
فاستمع القول بقلب وعى ... فلم أقل ذلك بالْهَتْر[1]
وأن تكن أكبرتَ ما قلتُه ... فأسأل أولي الحكمة والخُبْرِ
وانظر إلى نفسك تلقى بها ... جيش أولي الأوثان والغدر
أوْ كنتَ لا تعرف يوم اللقا ... كيف نزال البطل الذمر[2]
أوْ كيفَ تلقى لجيوش العِدى ... وهم أولو العدة والكثر
فقم فريدا لَهم واحدا ... فواحد بالألف قد يُزري[3]
أما ترى الكثرة كيف انتهت ... يوم حنين[4] لإلَى الكَسْرِ
أما ترى القلة كيف انتهت ... في يوم جالوت[5] إلى النصر
وإن دعا الجيشَ نزالٌ فلا ... تعدل إلى الشرب من النهر
وقم لكي تُثْخِنَ تلك العِدَى ... بالقتل والتشريد والأسر[6]

(١) الهَتْرُ: الجهل.

(٢) الذّمْرُ: الشجاع، المعوان، الداهية.

(٣) الفريد: الفرد الذي لا مثيل له. يُزري: يُصَغّرُ شأن غيره.

(٤) وقعت غزوة حنين يوم العاشر من شوال سنة ٨هـ/ يناير ٦٣٠م بين جيش الإسلام بقيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقوامه ١٢ ألف رجل، وجيش قبائل هوازن وثقيف وقوامه ٣٠ ألف رجل بقيادة مالك بن عوف. وانتهت الوقعة بانتصار المسلمين.

(٥) وقعت معركة عين جالوت (٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ/٣ سبتمبر ١٢٦٠م)، بين جيش المماليك الذين كانوا يمثلون دولة الإسلام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وبين جيش الإمبراطورية المغولية بقيادة القائد المغولي كتبغا، وكان جيش المماليك بقيادة سيف الدين قطز الذي أَلْحَقَ بفضل الله أول هزيمة بجيش المغول. ولذلك تُعَدُّ هذه الموقعة من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ العالم الإسلامي. أنظر كتاب المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر، الجزء الثالث، ص ٢٠٥.

(٦) أثْخَنَ أعداءه: بالغ في قتلهم.

لكنَّ ذي الحرب لَها عدة ... خالفت العادة في الأمر
من واجه القوم للقياهم ... فقل له يا ضيعة العمر
ومن تولى عنهم مدبرا ... رُدَّا إلى الموقف بالقسر[1]
ومن تعاطى بهم فَتْكَةً ... لا يَرْمِ بالسهم ولا الفِهْرِ[2]
ولا يَظُنْنَّ امرؤٌ أنه ... يدركهم بالبطش والقهر
لكنما في قتله نفسه ... بسيفه قتل أولي الفُجْرِ[3]
وإن يكن ليس لَها قاتلا ... تقتله الأعداء بالصبر
فاقتل ففي القتل لها نصرة ... وهَزْمُ حِزْب البغي والْخسر
فإنْ شهيدًا مُتَّ تَحيَ بِها ... أسعدَ حَيٍّ حَيَّ في عصر
تُنْشَرْ لك الأعلامُ يوم الوغى ... بالفوز والعزة والفخر
وتورث الأرض و ترقى السما ... بهمة تعلو على الغفر[4]
وليس للأعداء من ملجأ ... ومالَهم في الأرض من شبر[5]
يا عجبا من صَدَّ عن قتلها ... والقتل أهنى عيشة الغضر[6]
إنْ كان لا يصبر في قتلها ... أنَّى له عن ذلك بالصبر
فَلْيَجْعَلَنَّها بعض قربانه ... بين يدي مولاه ذي الشكر
وإن تكن ثَمَّتَ مقبولة ... بشراك بالقدرة والقدر
أو كنتَ لا تفهم ماقلتُه ... فسلم الأمر لِمن يدري
وحيٍّ بالتسليم من في الورى ... قام لَها مبتذلَ العمر
دام لَها حسن الثنا وانثنى ... حزبهم بالعز والنصر

(١) القَسْرُ: القَهْرُ على كُرْه.
(٢) الفَتْكُ: البَطْشُ. الفِهْرُ: الحجر.
(٣) أولي الفُجْرِ: أصحاب الفُجُور.
(٤) الغَفْرُ: منزلٌ من منازل القمر.
(٥) في الديوان: ولا لهم في الأرض.
(٦) الغَضْرُ: سعة العيش وطيبه.

(٤) الشعشعة

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب التاسع. وقُدّمَ لها في مخطوطة الديوان بالقول التالي: "وله أيضا رحمة الله عليه هذه القصيدة العينية وهي المعروفة بالعمانية وقد أجاد فيها وفي نظمها"

تلألأ برق في الدياجي مُشعشعُ ... بِضَاحِكِه أبكاكَ فالعين أدْمُعُ
أَمِ التاعَ من بين الأحبة والنَّوى ... فــؤادٌ بتذكار الهوى يتصدَّع
أَمِ ارتاعَ من دهرٍ أدَانِي صروفه ... تكاد الجبال الشمّ منها تزعزع[١]
زمانٌ به الدينُ الحنيفيُّ دارسٌ ... وناصرُه مستضعفٌ ومُــرَوَّعُ
فيالك دهرا قد شجتني خطوبه ... به عصفت للحَوْر نكباء زعزع[٢]
تُبُدِّلَتِ الأحكامُ فيه وعُطِّلَتْ ... حدودٌ وسِيْمَ الخسف ما اللّه يرفع[٣]
ونال به أهل الديانة والتقى ... هوانٌ به عَزَّ الجهولُ الْمُضَيِّعُ[٤]
تُباحُ دماءُ الْمسلمين ظُلامة ... ولا ملجأٌ يحمي ضعيفا ويمنع[٥]
وتُنْتَهَبُ الأموالُ في كل محفل ... ولا قائم بالعدل عن ذاك يدفع
فكم فيه مظلوم إذا مد طرفه ... تَشَكَّى وأبوابُ السماء تَقَعْقَعُ[٦]

(١) أداني صروفه: أدناها، أي أقلها وأخفها وأهونها.
(٢) شَجَتْني: أهمَّتْني وأحْزَنَتْنِي. خُطُوبُه: أحْوَالُهُ وشُؤونُه. الحُور: النقص والهلاك، وردت في الديوان: الجور. نكباء زعزع: ريحٌ شديدة.
(٣) عُطِّلَتْ حدودٌ: عُطِّلَتْ أحكام الشريعة. والحدود: ما حدَّه الله بأَوامره ونواهيه. سِيْمَ الخسف: أُلْحِقَ به الذُّل.
(٤) الجهولُ الْمُضَيِّعُ: الجاهل بالدين المضيع لفرائضه.
(٥) الظُّلامَةُ: ما يطلبه المظلوم، وهو اسم ما أخذ منه ظُلمًا.
(٦) تقَعْقَعُ: تحركت واضطربت.

وأرملـةٌ جُنَّتْ بفـرط بكائها ... لقلـة حاميها إلـى الله تضـرع
كأن اليتـامى والمسـاكين جيفـة ... للحمانِها[1] تلك النواتـجُ تسفعُ
وكم من بيـوت الله أضـحى خـرابة ... وكانت بيوت الله بالذكـر ترفع[2]
وكم قد غَدَتْ للفسـق والكفر معقلا ... بها أمس قـد كان المشـائخُ تركـع
تكاد بقـاع الأرض تشكـو من الأذى ... لو اسْتُنْطِقَتْ كادت بذلك تصدع[3]
تظاهـر فيهـا بالفـواحش جهـرة ... رُعَـاعٌ لجمع الْمُنكـرات تجمَّعوا[4]
كم[5] اقتطعوا نَهج السبيل وفعلهم ... بناديهمُ فعلٌ من النكـر أفظـع
وقد أَمَّـرُوا مـن مُترفيهـم أكابـرا ... بهم جمع غوغاء الهوى قد تَشَجَّعُوا[6]
مشائيـمُ عن طـرق الهدى بِهم عَمَى ... وآذانُهم وَقْـرٌ بِهـا وهي تسمـع[7]

(١) لُحْمانُها: لحومها. النواتج: جمعُ، وهي الحيوانات ذات النتاج، أي الواضعة لما حملت من الولد. وفي لسان العرب: النِّتاجُ اسم يَجْمع وضْعَ جميعِ البهائِم. والشيخ سعيد يريد بالنواتج الحيوانات المفترسة. لما للفظة النواتج من دلالة بالغة في تصوير حال اليتامى والمساكين، الذين لا حاميَ لهم يحميهم غوائل الدهر، التي شبَّهَهَا الشيخ كالسباع التي تنهش لحم ضحاياها لا لأجل إطعام نفسها فحسب، بل وإطعام نتاجها أيضا. وعَبَّر عن النهش بكلمة: تسفع، التي تعني الجذب بشدة، وفي هذا مزيد بيان لما يلحق الأيتام والمساكين من الآلام. ولفظة (النواتج) وردت في الديوان: (النَّوَابِحُ). وكلاهما تفيد المعنى.

(٢) في الديوان: (فكم).

(٣) تصْدَعُ: تَجْهَرُ. وهذا البيت ورد في الديوان بعد البيت الذي مطلعه: كأن اليتامى والمساكين جيفة.

(٤) الرُّعَاع: سَفَلَةُ الناس وغَوْغَاؤُهم.

(٥) لفظة (كم) وردت في الديوان: (قد). والشطرُ الثاني من هذا البيت وردَ في الديوان هكذا: يُناديهمُ أمرٌ من الكفر أفظعُ.

(٦) أَمَّرُوا: عَيَّنُوا أميرا عليهم. المُتْرَفين: المُصِرّينَ على البغي. الغوغاء: السفلة والرعاع من الناس.

(٧) مشائيمُ جمع مشْؤُوم، وهو المقترن بالشؤم ضد اليُمْن، والمعنى أن شؤم ما يأتونه من المعاصي قد صدّهم عن سبيل الله. الوقرُ: الصمَمُ، ثقل في السمع، المراد به هنا التصامم عن الحق.

عمان أيعلو عرشك اليوم مُتْرَفٌ ... وأهلوك فيهم عزة وتَرَفُّعُ[1]
يعيث فسادا فيه مستكبرا على ... فحول رجال الله وهو مُضَيِّعُ
فلا غروأن أضحى بك الدين هامدا ... فلله سر فيك قد يُتَوَقَّعُ[2]
عسى أن يكيد الله للدين مرة ... يبور بها من كيدهم ما يُنَوّعُ
لعل زمان الفتح تبدو نُجُومُه ... وأقمارُه بالعدل والفضل تطلع
فما أزمةٌ تَشْتَدُ إلاَّ تفرَّجت ... ولله لطفٌ عرْفُه يتضوع[3]
وما ينتهي شيءٌ إلى حدّ طوره ... سوى أنه من بعد ذلك يرجع[4]
فيالك ليلا قد دَجَى فتكدرت ... شموس الضحى فالصبح أسود أسْفَعُ[5]

(١) هذا البيت (عمانُ أيَعْلو عرشك...) والذي يليه: (يعيث فسادا فيه...) لم يردا في الديوان، ووجدتُ فيه عوضا عنهما البيتين التاليين:

بذلك تيهي ياعمانُ فإنما ... بأهليكِ تيْهٌ غالبٌ وتَرَفُّعُ
قد استكبروا عن شرعة الله واعتدوا ... عُلُوًّا عُلُوًّا والزمانُ يُضَعضِعُ

(٢) لا غَرْوَ: لا عَجَب. هامدٌ: ضعيفٌ. وجاء في الديوان: (دارسا) بدلا من هامد. كذلك قوله: "فلله سرٌّ"، جاء في الديوان: "فلله أمرٌ".

(٣) في الشطر الأول من البيت استلهام لقالة عربية مستقرة: اشتدي أزمة تنفرجي. العَرْفُ: الرائحة الطيبة. يَتَضَوَّعُ: ينتشر ريحه الطيب.

(٤) هذا كما تقول العرب: ما طار طيرٌ وارتفع إلا كما طار وقع.

(٥) دجى الليل: اشتد ظلامُه. أسْفَعُ: أسودُ اللون.

أَمَا تنجلي يا ليلُ عن صبح فتيةٍ ... كرامٍ بهم قد رُدَّ للعدل يوشع[1]
تظاهر أنوارُ المعالي عليهم ... وألويةُ العزّ الجلاليِّ تُرفع
أشداءُ يوم الباس في حومة الوغى ... أُولُوا رَحَمُوتٍ بينهم لا تَقَطَّعُ[2]
شراة لدين الله بيعت نفوسهم ... وما لهم في غير ذلك مطمع[3]
قد انتدبوا في نصرة الدين فاغْتَدَتْ ... بهم غُرَرُ الدين الحنيفيِّ تسطع[4]
بُدُورُ دُجًى شُمُّ الأنوف مشائخ ... لربِّهمُ قد اخبتوا و تضرعوا[5]

(١) لفظة (أمَا) وردت في الديوان: (ألا). والبيت يجري مجرى قول امرئ القيس في معلقته: "ألا أيّهَا الليلُ الطويلُ ألا انْجَلي ... بِصُبْحٍ وما الإصْباحُ منك بأمْثَلِ". لكن بيت الشيخ سعيد جاء على سبيل الاستفهام المشبع بالرجاء على عكس نبرة التشاؤم الحادة في بيت امرئ القيس. يوشع: يرد ذكره في كتب التفسير في سيرة النبي موسى بدون التصريح باسمه. وجاء تعيين اسمه في صحيح البخاري من رواية أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. ويقول علماء الإسلام بأن أهل الكتاب اتفقوا على نبوَّته. وفي البيت يعقد الشيخ سعيد صلة بين يوشع عليه السلام وردِّ العدل، وذلك لما يذكره المؤرخون من أن الله تعالى فتح على يديه بيت المقدس. وله سيرة في مقاومة الجبارين في عصره أوردها مقاتل في تفسيره. أنظر كتاب تفسير مقاتل بن سليمان، لمؤلفه أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، (ت١٥٠هـ)، تحقيق عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، الجزء الأول، ص ٤٦٨.

(٢) حومة الوغى: أشدُّ مواضع القتال في المعركة. الرحموت: شفقة ورحمة عظيمة.

(٣) الشُّرَاة: لَقَبُ الإباضية منذ أن تأسست حركتهم في البصرة في القرن الهجري الأول على يد مفتي الأمة الإمام التابعي جابر بن زيد اليحمدي الأزدي النزوي العماني (٢١-٩٣هـ)، وقد لقبوا بهذا اللقب لقولهم: شرينا (بعنا) أنفسنا في طاعة الله بعد أن فارقنا الجماعة الظالمة، أخذا من قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾، سورة البقرة، الآية: ٢٠٧. وفي الديوان جاءت العبارة هكذا: (شراةٌ لنصر الله). وجميع أمهات كتب التاريخ العربي تنعتهم بهذا اللقب: الشراة.

(٤) في الديوان: (الله) بدلا من (الدين).

(٥) أخبتوا: خضعوا لله وخشعوا وتواضعوا.

جبالٌ رواسٍ ليلهم في تَبَتُّلٍ ... بُحورٌ بهم للعلم والحلم موضع[1]
بِهم تَشْرُفُ الدنيا ويَشْرُفُ أهلها ... وتُسْتَمْطَرُ الأنواءُ والفَوْتُ أجمع[2]
كأن مثاني ذكرهم في تَهجُّد ... مزامير داودٍ بِها قد تَسَجَّعُوا[3]
كأن بِهم من نشوةٍ أذنُ عاشقٍ ... تَتُوقُ لما يشدو حبيبٌ مُمَنَّعُ
كأن الثكالى منهمُ في نياحة ... وأوصالهم من خيفة تَتَخَلَّعُ
كأن حطام الأرض من لَحم مَيْتَة ... فهم عنه في عليائهم قد ترفَّعوا
كأن من الشهد الْمُصَفَّى لقاءهم ... لسيدهم يوما ألَحُّوا وأسْرعوا[4]

(١) المُتَبَتِّلُ: الْمُتَفَرِّغُ لعبادة الله، المنقطع عن الدنيا لأجل طاعته. والبيت ورد في الديوان هكذا:
مخابيتُ أحبارٍ، رواسي تبتُّلٍ ... نحورهمُ للعلم والحلم موضعُ

(٢) الأنواء: الأمطار الغزيرة، العطاء. الفَوْتُ: الفُرْجَةُ بين كل إصبعين، ولعل المعنى المقصود بـ(الفوت أجمع) أي جميع أنواع ما يرتجي الراجي من تفريج الكرُبات والأزمات وتيسير المطالب والحاجات. واللفظة وردت في الديوان: (الغوث) بدلا من (الفوت). والشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (بهم يشرق (كذا) الدنيا ويستوسق العلا....).

(٣) المثاني: آيات القرآن. مزامير داود: المزامير جمع مزمار ومزمور، وهو الصوت الحسن وبه سميت آلة الزمر مزماراً. ومزامير داود هي تسابيح لله، وأناشيد حمد وتمجيد له عز وجل، كان داود وسليمان عليهما السلام يترنمان بها عبادة لله تبارك وتعالى. ووردت بعض تلك المزامير في كتب العهدين القديم والجديد. لكن القسم الأعظم منها ورد في سفر خاص في كتاب العهد القديم، وهو ما يُطلق عليه سفر المزامير، وفي العبرية يُسمى تهليم، أي تسبيحة. كما أن كلمة مزمور تعني: ترنيمة. يتضح ذلك مما ورد في سفر الخروج ١٥: "رَنَّمَ موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للربِ: «أُرَنِّمُ للربِّ فإنه قد تَعَظَّم». وفي دار الكتب العربية بمصر، توجد مزامير داود عليه السلام بأربع لغات مع تفسير لاتيني طبعت في جنوة بإيطاليا سنة ٩٣٥هـ. أنظر كتاب المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (ت١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، الجزء الثاني عشر، ص ١٣٢. وكتاب تاريخ القرآن الكريم، تأليف الخطاط محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر مصطفى محمد يغمور، مطبعة الفتح بجدة، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، ص ١٨٦. ولفظة: (تسجَّعوا) وردت في الديوان، أمَّا هنا فجاء بدلا منها: (تسمَّعوا) فاعتمدت ما ورد في الديوان لملاءمته للمعنى.

(٤) وردت في الديوان: (ألجُّوا).

كأن المنايا مُنْيَةٌ لقلوبهم ... فما كاد يُثْنِي القوم بالْحتف مصرع
تراهم إذا ما كان يوم كريهة ... أسود شرى بالْمرهفات تَدَرَّعُوا[1]
أساطين في يوم اللقا لا تَهُولُهُم ... بروق وغَى فيها الشجاعُ مُرَوَّعُ[2]
يَخوضون دأماء المنايا بواسما ... كأنَّهم في جنَّة الْخلد رُتَّعُ[3]
قد اطَّرحوا لبس الدروع كأنَّما ... لهم من زكيَّات المناصب أدرع[4]
فيا ربّ عجِّل منك للدين نصرة ... يقوم بِها ليث من الناس أشجع
يَجر إليهم بحر جيش عرمرم ... لديه شتيت الاكرمين تَجَمَّعوا[5]
خميسٌ وَلَوْ أنَّ الجبال تعرَّضت ... له كاد منها صخرها يَتَقَلَّعُ[6]
تسيل تلاع الأرض منه جحافلا ... تخر لها الأعداء رعبًا وتخضع[7]
بِهم غضب للّٰه كادت سيوفهم ... بأغمادها من فَيْحِهِ تَتَقَطَّعُ
سيوفٌ بأيديهم سيوفٌ نواطق ... إذا حكَّموها والصناديدُ تسمع
لوامعُ برقٍ في صواعق نقمةٍ ... بِها لَم يزل جيش الردى الْمتنوع
أتَتْهم بِها سُحْبٌ من الخيل عارض ... لهم ممطرٌ ريحٌ من الْموت زعزع[8]

---

(١) يوم الكريهة: يوم الحرب.

(٢) أي لا تَرُوعُهُم، لا تَعْظُمْ في نظرهم وتفكيرهم.

(٣) الدَّأْمَاءُ: البحر. والمنايا جمع منيَّة وهي الموت، والحديث في البيت عن المعارك، فدأماءُ المعارك ميدانها المؤَارُ بالمقاتلين.

(٤) في الديوان: (كأنها).

(٥) عَرَمْرَمٌ: كثير العدد.

(٦) الخميسُ: الجيشُ الجرَّار. أسمَوْه خميسا لأنهم كانوا يقسمونه إلى خمس فرق هي: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة.

(٧) تلاع الأرض: ما ارتفع منها، وكذلك هي مسيل الماء. الشطر الثاني ورد في الديوان هكذا: تقرُّ له الأعداءُ رُغما وتخضعُ.

(٨) العارضُ: السحابُ الذي يَسُدُّ الأفق، وفي التنزيل العزيز: ﴿قالوا هذا عارضٌ مُمْطِرُنا﴾. سورة الأحقاف، الآية: ٢٤. زعْزَعُ: شديد.

وتقصف منها بالرزايا قوارعٌ ... بِها كل جبار من الإنس يُقْرَعُ[1]
ويُحْمَى بِها الدينُ الْحنيفيُّ دائما ... وينطمس الدين الذي هو مُبْدَعُ[2]
ويُقْهَرُ من قد حاد عن شِرْعَة الهدى ... فيُهْدَى إلى ما اللّه بالْحق يَشْرَعُ
فيا خير مقصود وأعظم قادر ... وأكرم مأمول وجودك أوسع

* * * * *

(١) تقصف بالرزايا: تضرب بالمصائب العظيمة، فالرزايا جمع رزية وهي المصيبة العظيمة. القوارع: جمع قارعة. وقرع الشيء يقرعه قرعا: ضربه. والقارعة من أسماء يوم القيامة لأنها تقرع بالأهوال.
(٢) مُبْدَعُ: مُبْتَدَع.

(٥) الْبَلْكَفَةُ[1]

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب السابع. وقُدّمَ لها بالقول التالي: "وله أيضا رحمه الله تعالى هذه القصيدة رداً على من اعتقد رؤية الباري سبحانه وتعالى جلَّ جلاله"

سبحانه من ليس يُدْرِكُ ذاتَه نظرٌ بعينٍ للذّوات مُكَيِّفَه

(١) موضوع هذه القصيدة متعلقٌ بمسألة ثبوت رؤية الله في الدار الآخرة في قول فريق من علماء المسلمين وعدم ثبوتها في قول فريق آخر. ولا زال الخلاف بين الفريقين مستعرا عبر الزمن منذ بواكير العصر الإسلامي إلى اليوم دون أن يخرجا منه برؤية منهجية تسمح لكليهما بالتمسُّك برأيه مع محافظتهما على علاقة تكفل ما بينهما من أخوّة يوجبها الدين الذي يتنازعان في إطاره. والحق أن الإباضية مُمْسِكونَ عن الخلاف، ويدعون دائما إلى الالتحام حول القواسم المشتركة، ولكن الوهابية السلفية منذ ظهرت إلى الوجود وهي تستعدي المسلمين وتثير الفتن بينهم بسبب مسائل الرأي. والشيخ المحقق قال هذه القصيدة بسبب الفتنة الدينية التي أحدثها في عمان قادة الغزو الوهابي متخذين من الخلاف حول هذه المسألة وأمثالها ذريعة لاستباحة حرمات المسلمين. البَلْكَفَةُ: كلمة منحوتة مركبة من كلمتين هما: (بلا)، و(كيف). وربما يكون المفسر الكبير الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري المُتَوَفَّى سنة ٥٣٨هـ، صاحب كتاب: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) أول من نحت هذه الكلمة واستخدمها في بيتين من الشعر انتقد فيهما من يشبهون الخالق بصفات مخلوقيه. فقد قال:

لَجماعةٌ سَمَّوْا هَوَاهُم سُنَّة جَماعةٌ حُمُرٌ لَعَمْري مُوْكَفَه
قد شَبَّهُوهُ بخلقه وتخوَّفُوا شَنَعَ الورَى فَتَسَتَّرُوا بالْبَلْكَفَه

أنظر ديوان جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ/١٠٧٤-١١٤٣م)، شرح فاطمة الخيمي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٣٨٥. وحسب الباحث السعودي الشيخ عبدالرحمن الشهري فإن الإمام الزمخشري كان يرد بهما على الحنابلة الذين يعتقدون مشابهة الخالق لمخلوقيه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا، موضحا بأن أصحاب هذا المعتقد حين يسألهم السائل: كيف تكون مشابهة الخالق لمخلوقيه يجيبون بأنها تكون بلا كيف نكيّفُه، فأنشأ العالم الزمخشري البيتين على هذا الأساس. وقد جارى العلامة الشاعر أبو مسلم الرواحي (١٢٧٣-١٣٣٩هـ) قصيدة البلكفة للشيخ المحقق سعيد بن خلفان بقصيدة سمَّاها: (طمس الأبصار عن إدراك رؤية ذات الجبار) يقول في مطلعها:

خلق العقول لتهتدي بصفاته ... للذات إذ للذات قد تُنهى الصفه[1]
يا من يقول برؤية المولى الذي ... قد جّل عن أبصارنا المُتكلّفه
مهلا هُديت دع المراء على الهوى ... واخلع بَهيميّ الصفات الْمُتْلِفَه[2]
والبس صفاتَ مُقَدَّسٍ مَلَكِيَّةٍ ... تُكْسَى من الأنوار أصفى مِلْحَفَه[3]
من همة التجريد في طلب العُلا ... لمارد التقليد كان مخوّفه[4]
فَسَمَا بِمَبْلَغِ نورِ عقلٍ بالغ ... أفْقَ السما وسما لأسمى مَزْلَفَه[5]
لَم يرتض التقليد دون تحققٍ ... إلا لرسل الله تتلوا مصحفه
فلئن تكن من هولاء مهذبًا ... طاب الخطاب مبرهناً عن معرفه[6]

نَزِّهْ إلهكَ أن يُرى كي تَعْرِفَه ... أتُرَاكَ تَعْرِفُه وتُثْبِتُ ذي الصفه
واعْرِفْ مقامَكَ دونَ ما حاوَلْتَه ... إنَّ التي حَاوَلْتَهَا لكَ مُتْلِفَه
هذا التناقض في اعتقادكَ شاهدٌ ... يقضي عليك بأنَّ دينكَ عَجْرَفَه
هَبْ إن برهانَ العقول رفضتَه ... فالنصُّ تَسْتُرُ شمسَهُ مُتَكَشِّفَه
أَيَقُولُ ربُّكَ لَنْ تراني فَارْتَدِعْ ... وتقولُ سوفَ أرَاكَ خلْفَ البَلْكَفَه

أنظر كتاب شرح الموسوعة الشعرية لأبي مسلم البهلاني، تحقيق د. راشد بن علي الدغيشي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص ١٢٠٢.

(١) الكلام في هذا البيت يشير إلى عقيدة الإباضية في صفات الله تعالى حيث يقسمونها إلى نوعين: ذاتية وفعلية، فصفات الله الذاتية عندهم هي نفس ذات الله تعالى أي يستحيلُ عليه تبارك وتعالى أن يتصف بضدها مثل اتصافه بالعلم فهذه صفة ذاتية لا يجوز مطلقا أن يوصف بضدها وهو الجهل، بخلاف الفعلية التي يرون جواز اتصافه بها وبعدمها لتعلقها بمشيئته عز وجل إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

(٢) بهيمي: نسبة إلى بهيم، وهو الليل الذي لا ضوء فيه. وتجوز النسبة إلى بهيمة أيضا وهي كل ذات أربع قوائم ما عدا السباع.

(٣) المِلْحَفَةُ: رداءٌ يُلْتَحَفُ به.

(٤) في الديوان: (الهدى).

(٥) فَسَمَا: وردتْ في الديوان: (فَسَمَتْ). المَزْلَفَةُ: المَرْقاةُ، والمقصود أعلى مراتب القُرْب.

(٦) في هذا البيت شرط على من يريد أن يناقش في مسائل العقيدة بحيث لا يقلدُ أحدا من البشر خلا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي نقل إلى الخلق كلام الله تعالى الذي لم يلحقه تحريف لأنه أوحيَ إليه بواسطة الملك جبريل عليه السلام وأصبح محفوظا في المصحف. فبهذا يطيب النقاش لأنه يقوم على برهان من قرآن وسنة.

وإذا اطَّرَحْتَ العقل خلفك معرضا ... عن شاهد العقل الذي لن تُخْلَفَه[1]
فعديْم نور العقل غير مخاطب ... إذ قد تَشَبَّهَ بالحمير الموكفه[2]
ولقد أقول لِمن تكامل عَقْلُه ... إسمع براهينا أتت لك منصفه
يا معنوي خذ البيان مطابقا ... للآي بالتأويل عمَّن عَرَّفَه[3]
ارجع إلى آيِ الكتاب فإنه ... قولٌ سديدٌ ليس فيه زخرفه[4]
لا نقص في لفظ ولا معنى به ... فتقوم بالتكميل يا من أنصفه[5]
إن كان في الآيات ناظرة[6] كما ... قالوا فهل في الآيِ ذكر البَلْكَفَه

(١) اطَّرَحْتَ: تركت، تخليت. لن تُخْلَفَه: لن تُكْذَبَه.

(٢) قوله: فعديم نور العقل غير مخاطب: أي أن غير العاقل غير مخاطب بالتكاليف الشرعية. ولفظة (العقل) أصلها هنا: (العلم) لكنني اعتمدت لفظة (العقل) الواردة في الديوان، وذلك لتلاؤمها مع سياق المعنى في البيت. الحميرُ الموكَفة: التي وُضِعَ عليها الوكاف وهو الحلسُ يوضع على ظهورها.

(٣) عبارة: (خذ البيان) وردت في الديوان: (خذ الكلام). الآيُ: جمع آية، من آيات القرآن العظيم.

(٤) القولُ المُزَخْرَفُ: ظاهرُه جميل، وباطنه تمويه وكذب.

(٥) هذا الشطر ورد في الديوان هكذا: (لا نقص في معنى ولا لفظٌ به).

(٦) ناظرة: إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الانسان: ﴿وجوهٌ يومئذ ناضرة ۝ إلى ربها ناظرة ۝ ووجوه يومئذ باسرة ‹٢٤› تظن أن يُفعل بها فاقرة﴾. وعبارة: (إلى ربها ناظرة) يستدل بها المثبتون لرؤية المؤمنين لله تعالى في الدار الآخرة، بينما يرى النافون أنها لا تثبت الرؤية لأن كلمة (ناظرة) في الآية لا تعني النظر إلى الله تعالى بل انتظار نزول ثوابه، لورودها مقابلة لكلمة (فاقرة) في نفس الآية والتي تبيِّن العذاب الذي سيحل بغير المؤمنين وهو تقطيع فقرات أصلابهم. وكلمة النظر في القرآن ترد بمعنى الرؤية وبمعنى الانتظار كقوله تبارك وتعالى في سورة النمل الآية ٣٥: ﴿وإنِّي مرسِلَةٌ إليهم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُون﴾. أي منتظرة للرد الذي سيأتيها. وكقوله عزوجل في الآيتين ٣٦، و٣٧ من سورة الحِجْر حكاية عن إبليس: ﴿قال ربِّ فَأَنْظِرْني إلى يوم يُبْعَثُوْنْ. قال فَإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِيْنْ﴾. فإبليس طلب الإنظار الذي هو الإمهال فجاءه الرد من الله عزوجل بأنه من المُنْظَرين. وكذلك هي في سورة القيامة بمعنى الانتظار، فالمؤمنون في موقف القيامة تكون وجوههم نضرة لصلاحهم في الدنيا لذلك فهم مستبشرون ينتظرون حصولهم على ثواب الله، وغير المؤمنين تكون وجوههم في موقف القيامة باسرة لعدم صلاحهم في الدنيا لذلك هم كالحون لأنهم ينتظرون حلول العذاب بهم وهو فقار ظهورهم. وبهذا فالشيخ المحقق يُبَكِّتُ مناظره بقوله له إنْ كانت الآية عندك تدل على النظر بمعنى الرؤية فهل ورد فيها ما تدَّعونه من رؤية بلا كيفية؟

وعن النبي رَوَوْا ترون إلهكم ... كالبدر لا غيمٌ عليه اسْتَنْكَفَه[1]
أترى مقالهمُ بلا كيفٍ سوى ... إفك يزادُ لقائل ما أسخفه[2]
لو كان منظورا وغير مُكَيَّفٍ ... لنفى الإله الكيف إذ أبقى الصفه[3]
حتَّام تأنفُ أن يكون مكيفا ... وهو الذي التكييف لن يستنكفه[4]
إذ كل منظور فذاك مُكَيَّفٌ ... أو لا فهات دلالة عن معرفه
من أبطلَ التكييف هل أبقى له ... نظرا بعينٍ نحوَه مُتشوفه
إمَّا بلا نظرٍ ولا كيفٍ له ... أو قُلْ برؤية صورةٍ مُتَكَيّفَه
فالآيُ ما قالت بلا كيفٍ ولا ... قال الرسول بذا فمن ذا أَرْدَفَه[5]
فانْظر لنفسك ما ترى تشبيهه ... أولى أم التقديس عن تلك الصّفَه
فالآيُ للتأويل قابلة على ... أصل صحيح ليس فيه عجرفه
ولئن تصر مكابِرًا ومكاثِرًا ... متهاترا[6] بمقالة مستهدفه
قم هات لي من بحر علمك حجة ... تهدي الهدى أن لم تكن مُتَكَلّفه
من نور عقلٍ أو قياسِ تَفَلْسُفٍ ... أو راسخٍ في الشرع أو مُتصوفَه
إني لَذُو عقلٍ ربيطٍ ثاقبٍ ... مُتَذَرِّبٍ بشريعة وبفلسفه[7]

(١) البيت يشير إلى حديث معنعن يسوقه المثبتون للرؤية منسوبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومتنه: (كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا).

(٢) الإفكُ: الكذبُ والافتراء. لفظة: (لقائل) وردت في الديوان: (لقائس).

(٣) هذا الشطر ورد في الديوان هكذا: (لنفى الإلهُ إذْ بَقَّى الصفة).

(٤) حتَّامَ: إلى متى؟ كلمة مركبة من: حتى، و: ما، التي حُذِفَتْ ألفها، وفي الديوان: (فَعَلَامَ) بدلا من: (حتَّامَ).

(٥) أَرْدَفَ الشيء بالشيء: أَتْبَعَه.

(٦) متهاترٌ فاعل من تَهَاتَرَ الخصمان: ادَّعَى كل واحد على الآخر باطلا. وأصل اللفظة من الهَتْرِ الذي هو الجهل، والهِتْرُ بمعنى الكذب والباطل.

(٧) عقل ربيط: حكيم. الثاقب: الراجح. متذرّب: فصيح. بشريعة وبفلسفة: عالم بأحكام الشريعة، متكلم بمنطق الفلسفة.

وطريقة ممدودة بحقيقة ... لستور أكنان العلوم مُكَشَّفَه
عندي لكل مُخَاطِبٍ كخطابه ... لِجوابه برهان صدق المعرفه
يا من تفلسف كي يُخَلّصَ نفسَه ... من سجن هاوية لكشف الْمُتلفه[1]
إسمع هُدِيْتَ مُقَدِّمات قياسنا ... فاستنتج البرهان عنها منصفه[2]
أَنَّى ترى فيمن يُرَى من لم يكن ... عرشٌ ولا فرش له مُسْتَكْنِفَه[3]
كم كان[4] في كل المكان وما له ... أبَدًا مكانٌ كانَ فيه مزْلفه
من لا يَرَى أجفانه أيَرَى الذي ... أدنى له من عينه إذْ أزْلَفَه
أدْرَكْتَ للكُلّيّ والجزئي أم ... لجواهر أعراضها مُتَخَلّفَه[5]
أم مُدْرِكٌ للجنس أم للنَّوع أم ... فَصّلْ بقولٍ شارحٍ قد صَرَّفَه
أم كان منظورا بلا ماهيَّةٍ ... أبِنِيَّةٍ حَيْثِيّةٍ مُتَكيّفه[6]
كَمِيّةٌ مَنْوِيَّةٌ محدودة ... مُتَحَيّزٌ في وجْهَةٍ مُتَعَرَّفَه[7]
الْمُدركات الخمس من سمع ومن ... بصر ومن شم ومن ذوق الشفه
واللَّمس كلٌّ باطلٌ في حقه ... قل لي فما هذا المجادلُ زَخْرَفَه

(١) هذا الشطر ورد في الديوان هكذا: (من سجن هاوية الكثيف المتلفة).
(٢) هذا الشطر ورد في الديوان هكذا: (فاستفتح البرهان عند منصفه).
(٣) مُسْتَكْنِفَة: محتوية، محتضنة.
(٤) كم كان: وردت في الديوان: من كان.
(٥) الكلي: ما ينسب إلى الكل، أو يطلق عليه. الجزئي ما اندرج تحت ما هو أعمَّ منه. الجواهر: جمع جوهر، وجوهر الشيء: حقيقته وذاته.
(٦) ماهيَّةُ الشيء كُنْهُهُ وحقيقته.
(٧) كَمِيَّة: الكمية المقدار، وهي قابلة للزيادة والنقصان، وهذا ما لا يجوز في حق الله مطلقا. مَنْوِيَّةٌ: اسم المفعول من نَوَى الشيء قصده. مُتَحَيِّزٌ في وجهة: أي منحازٌ إلى جهة. مُتَعَرَّفَة: معروفة، موصوفة. ولفظة (متحيز) وردت في الديوان: (بتحيّز). والخطاب في البيت متوجه إلى مُثْبِتِ رؤية الله تعالى والمعنى: هل تعتقد بأن الله تعالى جسم يحدُّهُ الزمان والمكان بحيث يمكن تحديد وجوده في زمن يكون فيه وزمن لا يكون فيه، كما يمكن وصفه بالحلول في الأمكنة، فإذا هو الآن في جهة تكون الجهات الأخرى خُلْوٌ من وجوده؟ مثله في ذلك كخلقه. تعالى اللهُ وتقدَّس عن مشابهة خلقه.

هل فَضْلُهُ أوْجَبْتَ[1] أم هل وَصْلُهُ ... قد أدْرَكَتْهُ النَّظرةُ الْمُتَشَوّفَه
إن قلتَ رؤيَتُه مخالفةٌ لذا ... قم هات[2] بالبرهان حتى نعرفَه
أو قلتَ قال اللّٰه هذا ناظر ... شرفا وذاك ورا حجاب أوْقَفَه
فأقول هذا القول يفهمه امْرُؤٌ ... من أهله قد ذاق منه قرقفه[3]
متجرد متفرد بعناية ... نسي الوجود من الشهود مُخَلّفَه
في حضرة قدسية أنسية ... حُبِّيَّةٍ[4] قُرْبِيَّةٍ مُتَشَرّفَه
قد زاحم الأملاك في أفلاكها ... في مقعد الصدق الذي ما ألطفه
فالوجهُ منه ناظرٌ لشهودِه ... حق اليقين لدى كمال المعرفه[5]
بلغ العيان بغير عين بل له ... كمل الكمال[6] لكامل ما أعرفه
بالذوق أهل الشوق تعرفه فَذُقْ ... واشرب والاّ فاسْأل الْمُتَصَوِّفه
لو كان مقطوع الشهود بداره الْـ ... أخرى لأودى بالغموم الْمُدْنِفَه[7]
ولِمَن يكون عن الشهود بِمعزل ... فهو الحجاب له فدع من كَيَّفَه
جهلوا وربك ربهم وتنصَّلوا ... عن عقلهم وتستَّروا بالْبَلْكَفَه
حُجِبُوابدنياهم وأخراهم عن المو ... لى بأسْتار الضلال الْمُسْدِفَه[8]
ولئن جهلتَ الآيَ ما تأويلُها ... بالْحق فالكشافُ ذلك كَشَّفَه[9]

(١) هل فضله أدْرَكتَ: وردت في الديوان: هل فضله أوجَبْت.
(٢) قُمْ هات: في الديوان: (قُمْ فَأْتِ).
(٣) القرقف الخمر.
(٤) كلمة حُبِّيَّة وردت في الديوان: (حسّية).
(٥) كلمة لشهوده وردت في الديوان: (بشهوده). وكذلك كلمة: (لدى كمال المعرفة) وردت في الديوان: (لذي كمال المعرفة).
(٦) في الديوان: (الشهود).
(٧) داره الأخرى: الدار الآخرة.
(٨) المُسْدِفَةُ: المُظْلِمَة.
(٩) هذه إحالة من الشيخ الخليلي رحمه الله للْمُخَاطَب بالرجوع إلى كتاب الكشاف للإمام الزمخشري الذي بحث هذه المسألة في كتابه بحثا مستفيضا مداره تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه.

فيه براهين اليقين تقوَّمَتْ ... لا شيء فيها[1] عن هدىً مُتَحَرِّفَه
فانْظر إليه واقتبس أنواره ... واسمع هداه واتَّبِعْ[2] ما أسْلَفَه
الله أكبر يالشيخ زَمَخْشَرٍ ... تِهْ بين أرباب العلى بالْمَعْرفه[3]
فَلأنْتَ بَدْرٌ في سماء بلاغةٍ ... لا مطمع لِمُعارضٍ أن يَخْسِفَه
مني السلام على امريء طلب الهدى ... لِخَلاص نفسٍ من ردىً مُتَخَوِّفَه

* * * * *

(١) في الديوان: (منها).

(٢) في الديوان: (واستمعْ).

(٣) تِهْ: فعل أمر من تاه يتيه إذا خَطَرَ مختالا فخورا متكبرا. والمعنى هنا: فاخر بمعرفتك أهل الرتب العالية من العلماء.

(٦) حِكَم داود[١]

هذه القصيدة وردت في الديوان في الترتيب الثامن، وقُدّمَ لها بالقول: "وله أيضا رحمة الله عليه شعرا قاله في حِكَم أُوتِيَتْ نبي الله داود عليه السلام". وقد نقلتها من الديوان لأنها لم ترد ضمن مجموعة قصائد ديوان الخيال الوافر هذا الذي سَلَّمَنيّه أنجال الشيخ لتحقيقه. كما أنني لم أعثر عليها في مخطوطة الديوان رغم أن المحقق الأستاذ المطاعني ذكر في حاشيته عليها بأنها موجودة في الورقتين (٤٢،٤٣) من النسخة الأم.

حِكَماً هاكَ أُحْكِمَتْ بالوضوحِ ... أربعا تقتضي عجيبَ الشروحِ
فاتَّبِعْها تَفُزْ لا تَبِعْها ... لا تَدَعْها ما عشتَ ولو عمر نوحِ
فبها قد أتى على ما رُوِيْنَا ... للنبي الكريم داودَ موحي
مَجْمَعُ الحكمة الشريفة والرا ... حة والعز والرضى الْمَمْدوحِ
في جياع القلوب في جُنة في ... طاعة في إكراه نفسٍ جَمُوحِ
ليس في بُطْنَةٍ ودنيا وأبوا ... ب ملوكٍ وحُبّ نفسٍ طمُوحِ
فَافْهَمَنْهَا لَفًّا ونشْرًا بإيْجَا ... بٍ وسَلبٍ من بعده ممنوحِ
ومن أراد الإيجابَ في موضع السْـ ... ـلْبِ فَبَشّرْهُ بالعنا المقبوحِ
ومِنَ الكُتْبِ فالغنى في قُنوعٍ ... ليس في مُلْكِ درهمٍ مَربُوحِ
ونَمَاءُ الأموال في البذل للّه ... تعالى، لا شُحَّ (نَفْسٍ) شَحُوحِ

* * * * *

(١) القصيدة وردت في الديوان بلا عنوان، والعنوان أعلاه وضعته لها من عندي.

(٧) التعريج

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الرابع.

عَرّجْ على باب الكريم الْمُفْضِلِ ... وَالْثَمْ ثَرَاهُ ساعةً وتَذَلَّلِ
فلئنْ رُزقتَ لدى حِماه وقفةً ... تَرِبَتْ يداك بنيل ما لَمْ تأمل[١]
ولئنْ نشقتَ شذا ثراه ساعة ... فلك البشارة بالْمَقام الأطول
ولئنْ ترى ذاك الْجمال هنيهة ... فاسحب ذيول التيه فخْرا وارفل
ولئنْ صَدَدْتَ أو ابتعدتَ فعد إلى ... إرسال دمع كالعقائق مُسْبَلِ[٢]
والْهَجْ بأنواع الضراعة وابتهل ... مثل الغريق بلُجَّة البحر الْمَلِي
لا يدْهَشَنَّكَ ما ترى من هيبةٍ ... وجلالةٍ وتعاظُمِ العزّ العَلِي[٣]
فهو الرحيم بعبده وهو الكريم ... لوفده فارْحَل إليه وعَجّلِ
لا تَحْسبنَّ نواله لِيَصُدَّهُ ... إن ساء وصفُكَ وهْوَ خير مَؤَمَّلِ
كلا فلم تغلب صفاتُكَ وصفه الْمَعرو ... ف بالكرم الذي لم يَنْجَلِ
إنَّ الكريمَ الْحقَّ في إحسانه ... يَتْرَى إلى من ليس بالمستأهل[٤]
لو كان لا يُعطي الذي يُخطي إذا ... هلك الْجميع فأيهم لم يفعل
فَذَرِ الْحيا واخْلع عذارك وابتذلْ ... ديباجتيكَ[٥] وماءَ وجهك فابذل
وذَرِ الْمُلُوك جميعهم واقصد إلى ... ذي الْمُلْكِ والْمَلَكُوتِ مولاكَ الْعَلِي
فاسأل على أبوابه ما شئته ... فنوالُهُ ما كَفَّ عن كَفٍّ خلي

(١) تَرِبَتْ يداكَ: دعاءٌ بالخير. وهنا بمعنى: ظفرتَ بما لم تكن تؤمل أن تناله.
(٢) مُسْبَل: أسْبَلَ الدمع أساله.
(٣) لا يَدْهَشَنَّكَ: لا يَذهبُ بعقلك الخوفُ والرهبةُ من عظمة المقام وهيبته.
(٤) يَتْرَى: يتواتر، يتوالى، يتتابع. ووردت في الديوان: (يثرى) بالثاء. المُسْتَأْهل: استأهل الشيء استوجبه واستحقه.
(٥) واخْلع عذارك: بمعنى تواضع. ديباجتيكَ: خدَّيْكَ.

لا تَخش ثَمَّتَ مِنْ تَمَنُّع حاجبٍ ... فهو الذي أبوابه لم تُقْفَلِ
يعطيك جائزتين للدنيا وللْـ ... أخرى ولم يُقْتِرْ ولمَّا يُقْلِلِ
يا من يشاهد أو يُرَجِّي غيره ... كَمّل بصيرتك التي لم تكمل
إياك تشهد غيره فتكون في ... شِرْكٍ خفيّ ليس بالشرك الجلي[1]
إن كنت تعرفه وترجو[2] غيره ... فلأنت عن عرفانه في مَعْزِل
ولئنْ شهدتَ لِمَنْ سِوَاهُ تكرُّما ... فلقد عدلتَ عن الطريق الأعدل
هل عايَنَتْ عيناكَ قاصدَ بابِ ذي ... كرم فعاد بَخيبة وتَنَصُّلِ
فالله فاشْكُرْهُ وإيَّاه فَسَلْ ... من فضله واتْرُكْ سواه واعْدِلِ
ودع الوسائط إنَّهُنَّ كنائف[3] الـ ... حُجُبِ الغلاظِ على القلوبِ الغُفَّلِ
وإذا أتاك نوالُه بوسيطة ... من كفِّ عبدٍ مُنْعِمٍ مُتَفَضِّلِ
فالشكرُ أخْلِصْهُ لِمولاكَ الذي ... وَهَبَ الكثير على العبد الولي
فالفضل منه عليك ثم وفضله ... أبداً لذاك العبد وصْفَ تَفَضُّل
هو رزقُهُ أن ساقه بوسيطة ... أو دونها فالكل مِنْ يَدِهِ اقْبَلِ
فالْمُلْكِ والتدبير في يده وما ... يرضاه فارْضَ به إذًا وتقبَّلِ
واجعل شهودك للمهيمن إنه ... يعطي ويمنع ما يشا فَلْيَفْعَلِ

(١) الشرك الخفي حذَّرَ منه النبي أمته كما في الحديث المرويّ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ‹‹ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح عندي؟ فقالوا: بلى. قال: ‹‹الشرك الخفي›› وفي حديث آخر سمَّاه النبي بالشرك الأصغر، حيث يُرْوَى عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ‹‹إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر. قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: الرياء››. والرياء أن يقوم المسلم بعمل يبتغي به في الظاهر وجه الله تعالى وفي الباطن يقصد به التحبب إلى صاحب منصب أو غيره لينال مصلحة عنده. أما الشرك الجلي فيسمى بالشرك الأكبر وهو يتضمن صرف العبادة كليا أو جزئيا لغير الله عزوجل، أو جحد شيء مما أوجب الله كالصلاة وصوم رمضان، أوجحد شيء مما حرم الله كالزنا والخمر وغيره.

(٢) في الديوان: (وتطلب).

(٣) كنائفُ: جمع كنيف وهو الساتر. ولفظة: كنائف وردت في الديوان: كثائف.

وإذا شهدتَ الْمَنْعَ منه والعطا ... فلقد ظَفَرْتَ وفُزْتَ بالنور الْجلي
ولأجل شكر الله ربَّكَ عَبْدَهُ ... فالعبد عامله بشكر مُسْجِلِ[1]
شكر القليل من العطاء تكرما ... لِمَظاهر اسم الشاكر الْمُتَقَبِّلِ
فالبذل منه والقبول لِما له ... والعبد عن إملاقه لم ينقل
وإذا عُنِيْتَ بفاقةٍ وخصاصة ... عرّجْ على باب الكريم المُفْضِلِ[2]
مولاي إني قاصد لك وافد ... لِمَوَارد من جودك الْمُسْتَرْسِلِ
عايَنْتُ بَحر الْجُود منك فجئت كي ... أحظى بِما أرضى به من منهل
أشْهَدْتَّنِي فيض النَّدى فغرقت من ... طامي الْجِدَى في قعر بَحْرٍ أسفل
وغدوت لا بولوجه أروى ولا ... بالرِّيَّ أرضى من شرابٍ سَلْسَلِ
ولئن أفَضْتَ عليّ بَحرا طاميا ... منه دعوتُك للمزيد الأكْمَل
إن يِمْدَح الشعراء سلطانا فما ... مدحي سوى حمدي لمولاي الولي
منه رجوتُ وفيه كل مطامعي ... جَمَّعْتُهَا ونَهضت نَهضة مُثْقَلِ
من كل مطلوبٍ يَعِزُّ مرامُه ... ومناله مثل السماك الأعزل[3]
لو كنتُ أرجو من سواه بعضها ... لَظَنَنْتُنِيْ في رومها لم أعْقِلِ[4]
وبقصْدِه استصغرتُ كلَّ عظيمة ... مُسْتَسْهلاً ما ليس بالْمُسْتَسْهَلِ
ولئن يَمنّ عليّ منه بنظرة ... فليَ الْمَمَالك كلها والْمُلْكُ لي

* * * * *

(١) مُسْجِل: من سَجَلَ الماءَ صَبَّهُ صبًّا متصلا، وهكذا ينبغي على المسلم أن يديم شكره لمن أحسن إليه.
(٢) الفاقة: الفقرُ والحاجة. الخصاصة: سوء الحال.
(٣) كلمة: (مناله) وردت هنا: مثاله، فجعلتها (مناله) طبقا لما في الديوان. يَعزُّ مرامه: يصعب نيله. السماك الأعزل: كوكب.
(٤) كلمة: (لَظَنَنْتُنِيْ) وردت هنا: لَظَنَنْتُها، فجعلتها (لَظَنَنْتُنِيْ) طبقا لما في الديوان.

(٨) باب الكريم

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الأول، وقُدّمَ لها بعبارة: "وهذا أوله ليعلم الواقف عليه".

تقدمْ إلى باب الكريم مُقَدِّما ... له منك نفسا قبل أن تتقدما
وعرّجْ على باب العليم فسله من ... مواهب نور العلم بحراً قَلَيْذَمَا[١]
فمن لم يكن بالعلم في الناس مبصرا ... فلا عاش إلا في الضلالة والعمى
ومن لا له في عزة العلم نسبة ... فليس له إلا إلى الذلة انْتِمَا
ومن لا له من ثروة العلم ثروة ... فمن ثروة الدارين قد صار مُعْدِمَا[٢]
نعم علماء الدين في الأرض رحمة ... على الثقلين عمت الكل منهما[٣]
بهم شرف الدارين تَمَّ فَهُمْ بِه ... ملائكة باهت ملائكةِ السما
ألم تر في القرآن أن أولياءَهم ... ملائكةَ الرحمن فاللّٰه أعْلَمَا
أَقَرَّت جميع الكائنات بفضلهم ... عليها فَحُوْتُ البحر في البحر هَيْنَمَا[٤]
وَلِمْ لا، ولولاهم تلاشت جميعها ... ولم يبق منها في الوجود لها سما
هم خلفاء اللّٰه في أهل أرضه ... بِهَدْيِهُمُ أَمْتُ البسيطةِ قُوِّمَا[٥]
لِحكمهم الدنيا تدين وقد عَنَتْ ... سلاطين أهل الأرض أعظم أعظما

(١) القَلَيْذَم: البئرُ الغزيرةُ الكثيرةُ الماء، كما في لسان العرب، مادة: قلذم. والكلمة وردت في الديوان: (قليزما) والقلزمة ابتلاع الشيء، يقال تقلزمه إذا ابتلعه والتهمه وبه سمي البحر الأحمر بحر القلزم لالتهامه فرعون وجنده. ولفظة القليزم مأخوذة من بحر القلزم، والتصغير على سبيل المدح. أنظر: لسان العرب أيضا مادة: قلزم:

(٢) مُعْدِمُ: فقير لا يملك شيئا.

(٣) الثقلان: الجنّ الإنسُ.

(٤) هَيْنَمَ: تكلم بكلام لا يُفْهَم. والهينمة أيضا الدعاء، يقال هينم الرجل أي دعا الله تعالى.

(٥) الأَمْتُ: العِوَج. البسيطةُ: الأرض. قُوِّمَا: قَوَّمَ الاعْوِجَاج، أي عَدَّله وأصلحه، وأزاله. والمعنى أن الصالحين من خلق الله يصلح بصلاحهم عوج الناس في الدنيا، وعوجهم انحرافهم عن منهج الله تعالى.

وآراؤهم تقضي بهنَّ ملائك السـ ـموات فيما قد أُحِـلَّ وحُـرِّمَا
ولو لم يكن نص الكتاب أتى بها صريحا ولا الهادي بها قد تكلما
غَدَوْا قدوة الأملاك لَمَّا هُمُ اقتدوا بما لَهُم ربُّ الْملائك أَلْهَمَا
وذلك من أدنى رفيع مراتبا[1] لَهم لم يَعُدُّوها فخاراً ومكرما
فما استحسنوا فالله يقضي بحسنه وما استقبحوا إلا قبيحاً مُذَمَّمَا
وربك من والوه فهو وليُّه ومن خاصموه كان لله أخْصَمَا
هم أغنياءُ العصر والعصر أهله قد افتقروا والْمال بينهُمُ نما
يروم كنوز الأرض غيرهم وهم أصابوا كنوز العرش وَفْرًا ومَغْنَمَا
وهم في الثرى قاموا وأرواحهم إلى سما العرش والكرسيّ أَدْوَنها سما
وما قنعوا بالعرش والفرش كله فجازوا إلى أعلا مقامٍ وأعظما
ولو وقفوا بالعرش والفرش لحظة لَعَدُّوْهُ تقصيرا وجرما ومأْتَمَا[2]
تقدم في ذاك الْخليل بقوله لجبريل دعني منكَ للّهِ مُسْلما
لِملة إبراهيم شادوا فشاهدوا الـ ـتَلَفُّتَ للشرك الْخفيّ مُتَمّمَا
فقاموا بتجريدٍ وداموا بوحدة عن الإنس، رَوْم الأنس فيها تَنَعُّمَا[3]
بِخلوةِ لي عبدٌ وسريَ بينه وبيني عن الأمْلاك والرُّسْل كُتَّمَا
وما بَلَغُوا ذاك الْمقامَ بِقُوَّةٍ ولكن بنور العلم قد بلغوا الْحمى
عشيةَ أعطوه عهوداً مطاعة على طاعةٍ منهم غَدَاةَ تَحَكَّمَا
وقد بايعوه أنفسا مطمئنة ببيعته والعقد بالعهد أحكما
فَجَدَّ بِهم في السير للخير وَالِجا بِهم أخطر الأهوال حين تَقَحَّمَا
فأبعدهم عن كل إِلْفٍ وعادةٍ وعَوَّدَهم شرب الشدائد علقما

(١) وردت في الديوان: (مناقبا).

(٢) الفرشُ: الفضاء. مأتم: مجتمع من الناس في حزن أو فرح، وغلب استعماله في حزن الوفاة. واللفظة وردت في الديوان: (مأثما) بالثاء المثلثة المنقوطة من فوق.

(٣) رَوْمُ الإنسِ: مطلبُ الإنس وغايتهم التي يسعون إلى تحقيقها.

فمن بعد عادي[1] النوم والشبع والرّوَى ... غدوا حلفَ إلف السهد والجوع والظما
فَنُدْمانُهم عادوا البكاء تَنَدُّما ... وأزمانُهم بالنوح قد عُدْنَ مأتَمَا
وأوردهم بالحزن لُجَّةَ أَدْمُعٍ ... وأَوْرَى بهم للخوف نار جهنما
شدائد عَدُّوْهَا فوائد فاغتدتْ ... عوائد أعياد السرور تنعُّما
ولو جانبوها رَوْمَ غير جنابها ... لَعَدُّوا بِحُكْمِ العدلِ ذا العدلِ مأثما[2]
هم صدَّقوه وهو أَصْدَقَ وعْدَه ... وأوفى ذمامٍ، حبلُهُ ليس أفْصَمَا[3]
بِهِ نَهَجُوا في كل منطمس الصُّوَى ... فكان لَهم في كلِّ يَهْمَاءٍ مَعْلَما[4]
ويُمْلي لِهم في السير عن كل كامن ... وحَالَ إلى أسْوَى طريقٍ وأقْوَمَا[5]
وقاسمهم باللّه أنّيَ ناصحٌ ... فأنهى إلى أبهى مقام وأكْرَمَا[6]
وحلَّ لَهم رمزاً وكنزاً مُكَتَّمًا ... من السر قد كان الرحيق المُخَتَّمَا
وقال لِهم هذا المقام وهذي الـ ... ـخيامُ وذا باب الْمليك وذا الْحمى
فمالي فيما بعد ذلك مصعد ... ولا موعد من بعد ذلك أَلْزَمَا
هنالك قد تطوى الصحاف وتنشرالـ ... ـسجاف فلا تطوى بِحَدّكَ فافهما
ولا تفتح الأبواب إلا عناية ... لِمن شاءه ذاك الْمليك تَكَرُّمَا
فسلِّم إليه الأمر واطَّرِحِ الْمِرَا ... ولا تَكُ في شيء من الأمر مُبرما[7]

(١) عادي: منسوبٌ إلى عادة، وهو الأمر المعتاد، المألوف، المعهود.

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (لَعَدُّوا بحكم الله ذا العدل مأثما).

(٣) الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (هم صدّقوه وهو أصدقُ واعدٍ). الذّمام: العهد. وأوفاه: أتَمَّه. حبله ليس أفصما: صلته ليست تنقطع. من فصم العقدة: حلَّها، وفصم العلاقة: قطعها.

(٤) مُنْطَمِسَ الصُّوَى: الطريق الذي يسلكه الإنسان على غير هداية سابقة، وبلا معالم يُهْتَدَى بها. اليهماء الفلاة التي لا يُهْتَدَى فيها.

(٥) لفظة: حال، وردت هنا: جال فأثبت عوضا عنها لفظة الديوان. أسْوَى طريق: أعْدَلَ طريق. والشطر الأول من البيت ورد في الديوان هكذا: (ومال بهم في السير للخير والجاً).

(٦) في هذا الشطر اقتباس لقول الله عز وجل: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، سورة الأعراف، الآية: ٢١.

(٧) اطَّرِحِ المِرَا: دع الجدال.

وقلْ بلسان الْحال مالي وسيلة ... ولا حيلة والْهَجْ بقولك ما وما
فإنْ تكُ لا شيئا هناك فإنه ... رَنَاكَ لِمَا أدْناكَ إذْ لَكَ قد رمى
وإنْ ساعةً أقْنَاكَ[1] أبقاكَ خالداً ... بِوَصْفٍ له بَاقٍ صِفاتَكَ أعدما
وإنْ هو جَلَّى فيك بعض صفاته ... فما كنتَ أنت الآن أنت الْمُقَدَّما
وفيها مقامات لأهل سلوكها[2] ... شموسا وأقمارا تنير وأنْجُما
فمن ذاق منها نغبةً ماتَ رغبةً ... ومن لَم يذقها مات بالغم مُسْقَمَا[3]
معالمُ تستهدي الْحلوم بِهديها ... العلوم بِها كان العليم الْمُعَلِّمَا
فَعَرَّفَهُم إيَّاهُ منه كرامة ... وأشْهَدَهُم إيَّاهُ منه تَكَرُّمَا
وخَلَّقَهُم باسم العليم تَفَضُّلاً ... وكان لهم باسم المبين مُسَوِّمَا
وكان لَهم عنه فكانوا له به ... وقام بِهم عنهم إليهم مُكَلِّمَا
فمذ عرفوه لم يروموا تَعَرُّفا ... إلى غيره والغير ثَمَّ تَعَدَّمَا
وليس لَهم جهلٌ هناك وما عسى ... لَهم أن يَرَوْا من بعد ذلك مُبْهَمَا
وما علموا شيئا بعلمهم وقد ... أحاطوا بعلم العرش[4] والله علَّمَا
هُمْ لَوْحُه الْمَحفوظ كانت قلوبُهم ... بِها قلم الأنوار للسر رَقَّمَا
مواهبُ قد دقت عن الفهم وارْتَقَتْ ... عن الوهم رَقَّتْ عن نسيمٍ تَنَسَّمَا
بِها انْطَوَتِ الأكوانُ في طي علمهم ... من العرش والكرسي والأرض والسما
فكانت جميع الكائنات مصاحفا ... لَهم تَهَبُ السر الْمَصُون الْمُكَتَّما
لطائف لم تودع صحائف كاتب ... تطالعها الأفهام والله ألهما
وكم أدركوا بالعقل أمراً مُنزَّها ... عن النقل في الألواح لن يُتَرَسَّمَا
يضيق فضا الأكوان عن شرح بعضه ... وكُلُّ لسانٍ كَلَّ بل ظل مُفْحَمَا

(١) أقناه الله: رزقه وأعطاه وأرضاه. واللفظة وردت في الديوان: (أفناك).
(٢) في الديوان: (وفيها مقامات لأهل صفاتها).
(٣) النغبة: الجرعة.
(٤) في الديوان: (أحاطوا بعلم الكل).

به صحف الأرواح أشرق نورها ... وصين عن الألواح[1] إذ كُنَّ أظلما
لذلكَ فاطلبْ إنْ يكنْ لكَ مطلبٌ ... ترى كل مطلوبٍ سوى ذاك مَغْرَمَا
ففي قَصْدِهِ قَصْدُ السبيل ومن عَدَا ... سبيلَ الْهُدى نَحو الرَّدَى قد تَيَمَّمَا
فكن واقفا بالباب في كل ساعة ... ترى الذل فيه عِزَةً وتَكَرُّمَا
وجانب رياش الْجاه والعز والغنى ... وكن باضْطِرَارٍ وافتقار مُؤَمّمَا
وإن شئت عِزَّ العلم فالعلمُ عِزُّهُ ... لباسُ لَبُوسٍ[2] الذل لله مُسَلِّمَا
وإن كنت تبغي العزَّ والْجاهَ في الدُّنا ... فدع عنك داعي العلم وارحلْ مُسَلِّمَا
ودع عنك أدناس الْمَطامع طامحاً ... لِمَولاكَ منه طامعا جَلَّ مُنْعِمَا
ففيه الغنى بالفقر إذ رؤية الغنى ... هناك الغنا بل منهما اقصده مُعْدِمَا
فلا راحة ترجى لِمن رام راحة ... ومهما بذلت الروح صادفتَ مَغْنَمَا
ففي بذلِها صون لَها إن تُقُبِّلَتْ ... وإلا فقد سيقت إلى ذلك الْحِمى
هنيئا لها فخرا بِما قد تعرضت ... لذاك الْحمى لوكان مطلبُها احتما
وإنْ أمَّ أبوابَ الْملوك مُؤَمّل ... فَيَمِّمْ إلى أبوابه مُتَقَدِّمَا
فأبوابُهُ فُتَّحٌ وما ثم حاجبٌ ... وأفضاله شُرَّحٌ وما ثَمَّ مُحتمى[3]
لأبوابه ما عشت أغشى ولم أكن ... لأخشى رقيبا أو عذولا مُلَوِّمَا
فعندي فيه عاذلي مثل عاذري ... ومن فيه عاداني كمن بي ترحما
سأرحل عنهم أجمعين إلى الذي ... به لذّ لي ذلي وعزي تهجما[4]
عسى أنني أُدْعَى دَعِياً ببابه ... إذا لَم أكن باسم الْخديم مُوَسَّمَا
وإلاَّ فإنْ أُدْعَى به مُتَطَفِّلاً ... فَقَدْرِي بِهذا الإسم يَخْتَرِقُ السما
وإنْ أُدْعَ لا شيئا هناك فأنني ... بذاك لقد أصبحت في الناس مُغْرَمَا

(١) في الديوان: (الأرواح).
(٢) في الديوان: (لباس).
(٣) شُرَّحٌ: هكذا هي في هذا المنسوخ وكذلك في الديوان، ولعلها شُرَّعٌ. ولفظة محتمى وردت في الديوان: مختما.
(٤) في الديوان: (تجهما).

وماذا عسى أُدْعَى وماذا عسى أرى ... فما كنت فيما يرتضيه لأَسْأَمَا
وإن كان لي من لوم نفسي حاجب ... جعلت اللجا مني به لي سُلَّمَا[1]
وبين يدي نجواي لما قصدته ... جعلت الرجا أرجى شفيع وأكْرَمَا
وما كنت أرجو أن يُخَيِّبَ راجياً ... ولو لَم يكن أهلا لِيُدْنى ويُكْرمَا
وما أنا أرجو باجتهاديَ وصله ... وما لاجتهادي أن يكون الْمُقَوّمَا
تركت اجتهادي واعتيادي إذ غدا ... مُرادي اعتمادي مُسْلِمًا ومُسَلِّمَا
وحكمته في كل أمري إرادة ... وفعلا وملبوسا وشربا ومطعما
وأجريت مني النفس فيما يريده ... بأمرٍ وَزَجْرٍ إن أَحَلَّ وحَرَّمَا
فمالي إلى ما صدني عنه مَطْمَحٌ ... وإن جَدَّ لي أمرًا فلن أتلعثما[2]
ومالِيَ لا أسعى إلى مَالَهُ دعا ... ومالِيَ لا أرضى إذا ما تحكَّمَا
ومالِيَ من سعي ومالِيَ من رضا ... سوى نسبة منه بها قد تَكَرَّمَا
ولا قدرةَ لي أَنْ أُريدَ مُرَادَه ... فكيف مُرادي إن أُرِدْ كنت أظلما
مُرادِيَ لي أن لا أرى لي إرادة ... وتلك له عين الإرادة في العمى
فصمتيَ ذكري والسكون تصرفي ... ونومِيَ وِرْدِي حيث كان الْمُنَوِّمَا
وأشهدُ منه الْمنعَ ضرباً من العطا ... وفي الفصل معنى الوصل بالأصل قُيِّما
فما شاء فليفعله ما شاءه أشا ... وما أنا ممن بالْمشيئة آثما
فلا قصد لي والقصد لي ترك رؤيتي ... بقصدي وليس الترك عندي مُحَرَّمَا
وإنْ كان قدري حط عن دون قصده ... فقصدي لهذا القصد لي شرف نما[3]
وإنْ لَم يكن إلا أماني قصده ... فلا عشتُ من تلك الأماني مُعْدمَا
وإنْ لَم يكن إلا محبة قصده ... فَعُدْتُ ولي من ذلك القصد مُنتمى[4]

(١) اللجأ: المعقل والملاذ.
(٢) تلعثم: تلكَّأ، تأنَّى.
(٣) في الديوان: (بقصدي لهذا القصد لي شرف سما).
(٤) في الديوان: (فعدت ولي كان في ذاك منتما).

وإنْ لَم تكن إلا مَحبة من مضى ... إلى قصده ذَرْني بِها مُتَنَعِّمَا
وأنْ لَم تكن لي في هواهم حقيقة ... فدعني أعِشْ في حبهم متوهمَا
وإنْ لَم يكن لي ثم حظ أرومه ... إليك فأبلغني الْمقام الْمُعَظَّمَا
وإنْ لَم أكن أهلا لَمَّا قد سألته ... فإنَّكَ أهْلُ مِنَّةٍ وتَكَرُّما
وإنْ لم تكن مُبَلِّغاً ما أردته[1] ... فحبي لِما ترضى أرى ليَ أَحْزَمَا
وحَمْدِيْكَ لي في كل حالٍ حَمَدْتَّهُ ... فلا زِلْتُ قَوَّالاً به مُتَكَلّمَا
فهذا بفضل منك قد صار ديدني ... فلا عشت يوما حلت عنه مصمما

* * * * *

(١) هذا الشطر في صيغته أعلاه مختل. وورد في الديوان بالصيغة التالية: (وإن لم تكن لي مبلغ ما أردته). وكذلك حاله في هذه الصيغة، فتفعيلته الثانية (فعولن) جاءت (فعلن) على غير نسقها في البحر الطويل الذي نُظِمَتْ القصيدة على منواله. والذي يظهر لي أنَّ الصيغتين وقع فيهما خطأ من قبل الناسخين. فصيغة المنسوخ أعلاه أسْقَطَ الناسخون كلمة (لي) من موقعها بين كلمتي (تكُنْ ومُبْلغا). وأسقطوا من صيغة الديوان حرف الألف من كلمة (مُبْلِغاً). لهذا ففي تقديري أن الصيغة الأصلية هي كالتالي: (وإنْ لمْ تكنْ ليْ مُبْلِغاً ما أرَدْته).

(٩) السلوك[١]

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب السادس. وقد وردت في مخطوطة الديوان تحت عنوان: "كتاب المعراج لسالك المنهاج"، قال في السلوك رحمه الله تعالى:

سلوك طريق العابدين بعرفان ... يَلـذُّ لأرواح غُـذِيـنَ بإيمانِ
يطيب لها فيها عناها فلم تزل ... مسافرة لا تستقر بأوطـانِ
من العلم أعلام لها وجلائل[٢] ... ومن هِمَّة شَمَّاء والعزم ظهرانِ
وزاد من التقوى لتقوى بِنهجها ... ومن فقرها أَوْفَى رفيق ومعوانِ
ومن وَرَعٍ دِرْعٌ وسيفٌ من الحجا ... وحسنٌ من التفويض في كل حدثانِ
فقامت على حكم التوكل ترتجي ... بلوغ الْمنى ما بين خوف وأحزانِ
كليلةَ إعياءٍ لقد شَفَّها الوَجَى ... خميصةَ بطنٍ في تَعَطُّشِ ظمآنِ
كَلِيْمَةَ أحشاءٍ أضَرَّ بِها الْجَوَى ... قريْحة أعيانٍ سهيرة أجفانِ
يشوقها من لاعج الشوق مزعج ... ويُزعجها إبراقُ وَجْدٍ وأشجان
وواقد تَخويف من العين صاهر ... بأودية الخدين وادق هَتَّان
تهيم بتذكار الحبيب ولا ترى ... إلى راحة رُجْعَى ومالٍ وأخدان
لَها مطلبٌ سامٍ على العرش باذخٌ ... شريفٌ منيفٌ شامخٌ ليس بالداني
هنيئا لِمن في حُبّهِ باع نفسَه ... بجنة خلد بين أنفسِ غُرَّان[٣]

(١) ينبغي التنبُّه إلى أن معاني بعض المفردات في هذه القصيدة وقصيدة تالية بعنوان: التسبيح، تكون في بعض الحالات خلاف معناها في المعجم اللغوي فينبغي أن ينظر إلى دلالتها في ضوء معجم المتصوّفة.

(٢) في الديوان: (من العلم أعلام لها ودلائل).

(٣) غُرَّان: جمع أغر. والأغر أبيض الوجه، وابيضاض وجه المؤمن مظهر لرسوخ الإيمان في نفسه وصدق العمل بمقتضاه.

أخي قمْ وشمّرْ في الطريق مُصَمَّماً ... لِطَيّ الفيافي في بكور وأُصْلان
فإنْ نَفَسٌ[1] منه مضى عن سلوكها ... جنيباً فما أولى بغبن وخسران
وخَلِّ الْهُوَيْنا عنك فهي بعيدة ... كثيرة أخطار قليلة أعوان
وخَفّفْ من الأثقال إن عقابَه ... صعاب تعاب تنصب[2] السالك الجاني
طريقٌ لَها مُسْتَوْعَرٌ دارسٌ به ... كَمِيْنُ الأعادي من رجالٍ وفرسانِ
ترى زُمَرَ السُّفَّار فيه قوافلا ... حيارَى حسارَى من مُشاةٍ وركبان
فمنهم سليبُ الْمال بين رفاقة ... ومنهم نَهيبُ الروح في يَدِ شجعان
ومنهم عليلٌ واهنُ الطبع عاجزٌ ... ومنهم كليلٌ ذو ملالةِ كسلان
تَنَوَّعَ أجناس الْمُنُوْعِ بكثرة الـ ... ـقطوع فما فيها الأمان لإنسان
لذلك كان السالكون أقلَّةً ... ويكثر فيها الْهالكون بِفَتَّان
ولا يَهُولَنَّكَ الأمر فهو مُيَسَّرٌ ... لِمن مُخْلِصٌ لله من كل أوثان
تَمَسَّكْ بِمَولاكَ القدير فإنه ... لكل ضعيفٍ عاجزٍ واهنٍ وانِ
وَوَجِّهْ له وجها وقلبا وقالبا ... تَوَجُّهَ مطواعٍ لِما شاء مذعانِ
واعْطِ له منك القِيَادَ لكل ما ... أراد وقُلْ يا هادياً كل حيران
دَعَوْتُكَ إذ ضاقت عليَّ مذاهبي ... وقَلَّ احْتِيَالي يا إلَهِيْ ورحماني
وهاكَ أخي نَعْتَ الطريق إذا به ... أرَدْتَ سلوكا كي تفوز بإحسان
بيان الْمَقَامات الثلاث التي لَها ... حديث رسول الله جاء بتبيان
أتاكَ بحمد الله تَكْشِيْفُ سرِّها ... لكي تنظرَ الكنزَ الْخفيَّ من الشان
سلامٌ على الْهادي الْمُبِيْن سبيلها ... عليه صلاة الله في كل أزمان
أتيت به في صورة مَعْنَوية ... تُموّهُ بي في السالكين بإمعان
وما أنا لي من ذاك إلا بيانُهُ ... لفهمي له لا عن وصولٍ ووجدانِ

(١) لفظة (فإنْ نَفَسٌ) وَرَدَتْ في الديوان: (فمن نفس)، وبالرجوع إلى صورة نسخة المخطوطة فإن رسم الكلمة غير واضح لوجود بعض البقع السوداء عليها لكنني مع ذلك اجتهدت في تَبَيُّنِها فهداني اجتهادي إلى أنها: (فإنْ).

(٢) الأثقال: وردت في الديوان: الأحمال. عِقاب: جمع عَقَبَة وهي المرقى الصعب من الجبال. تِعاب: مُتْعِبة لراقيها. تنصب: تتعب.

ولكنني أتلو فأجلو إشارة ... تُفَتِّحُ بالتوقيظ أجْفَانَ وسْنانِ
وتَهدي إلى الكنز الْمُعَمَّى من الهدى ... وما بِيَدِي هَدْيُ السبيل لعميان
فأوَّلُ إيْماني لإسلام ظاهري ... بظاهر أحكام الشرائع ناداني
فأقْرَرْتُ بالتوحيد لله مُثْبِتُ الْـ ... ـرِسالة تصديقا بجملة قرآن
وقمتُ أصلي للزكاة مؤديا ... وصمتُ ولي في الْحج أشرف قربان
بذلك في الإسلام قال نَبِيُّنا ... وما دون هذا غير شركٍ وكفران
ولكن ورا هذا الْمقام ترافعا ... لإيْمانِ والإحسان أيضا مقامان
تفاوتَ فيهنَّ الرجالُ مراتبا ... بأعدادها تربو على رملِ كثبان
فآمنت بالإيمان[1] بالله خالقي ... وبالرسل والاملاك أشرف أعيان
وبالكُتْبِ واليوم الأخير وما جَرَى ... به قَدَرٌ في الْخير والشر سيَّان
ولكنَّ في هذا الْمقام عجائبا ... لأغْوَارِ أسرارٍ غَرَائبِ أفنان
تُخالفُ ما أدَّاهُ ظاهرُ فهمِها ... وعنديَ من فهم الْحقيقة فهمان
فَلَوْ قُلْتُ بالتَّأويل فيها بِظاهرٍ ... لَعُدْتُ إلى الإسلام من بعد إيماني
فما مُسْلِمٌ لله والرُّسْل مُنْكِرٌ ... ومن شَكَّ في القرآن شِيْكَ بكفران[2]
فقد كنتُ بالأملاك والقدر كله ... أُصَدّقُ والإسلامُ أشرف أوطان
وقد كنتُ في الإسلام واسْمِيَ مؤمنٌ ... ومن بعد هذا كان إيْمانيَ الثاني
فإيْمانيَ الثاني لإسلام باطني[3] ... وما بين هذين المقامين شتان
نظرتُ إلى تَحقيق قول نَبِيِّنَا ... بتعريفه الإيْمان نظرة إمعان
فقال هو النور الذي بدخوله الصـ ... ـدور انْفِسَاحٌ وانْشِرَاحٌ بإيقان
وقال لِمن رامَ العَلامَةَ إنَّها الْـ ... ـمُجافاة عن دار الغرور بسلوان
منيبا إلى دار الْخلود تأهبا ... ليوم نزول الْموت أُهْبَةَ لِهْفَان
فهذا هو الإيْمانُ من لَم يكن له ... نصيبٌ من الإيْمان ماتَ بِخسران

---

(١) في الديوان: (فآمنتُ في الإيمان ...).

(٢) شِيْكَ: اتُّهم.

(٣) في الديوان: (فإيمانيَ الثاني للإسلام باطني).

ولكنْ له عندي شروحٌ عجيبةٌ ... بَواهِرُ أنوارٍ زواهرُ أكنان
يُطابق[1] ما بين الحديثين سابقا ... وفاقا لفهم من دلائل فُرقَان
فبالله إيْماني يقينٌ يُقِيْمُني ... ويُقْعِدني للهِ في كل أحيان
ويُلهمني سرَّ القيام بخدمتي ... لطاعة مولاي الذي هو سوَّاني
فبين الرجا والْخوف منه إقامتي ... ذنوبٌ أخافَتْ أو رجاءَ لِغُفران
وبالقَدَرِ الإيْمانُ منِّي كمالُهُ[2] ... فمن خيره والشر عندِيَ خيران
ففيه جميعُ الأمر كنتُ مُفَوّضًا ... لِمالكه تدبيره ليَ أرضاني
فأشْهَدُ من تصريفه كل حالة ... هي الخير فيما اختار لي هو أجراني
وصَحَّحْتُ فيه بالتَّوكل نيتي ... فعن طلب الْمضمون لي هو أغناني
فلي في معاني شكره كل صورة ... لِها روحُ حُسْنٍ[3] باهرِ الْحسن فتّان
فأُخْلِصُ في نعماه شكري وطاعتي ... برؤيتها من عنده صَحَّ شُكران
فما طاعةٌ في طاقتي لاستطاعتي ... ولكنها منه مواهب منَّان
وإن كنتُ في العصيان أشهدني الرضا ... بِجَرْيِ القضا لَم أرض عني بعصيان
ولكنني أسعى فأرعى لواجب الْـ ... ـشريعة من تَوْبٍ وأوْبٍ لغفران
وصبريَ لا يُبْلِيه[4] كَفُّ بَلِيَّةٍ ... وشكريَ في صبري إذا هو أبلاني
وآمنتُ باليوم الأخير مبادرا ... لتقديم زادي[5] قبل فرقة أعطاني
تُخَوّفُني النيرانُ في كل ساعةٍ ... وأصبو إلى الجنات ما بين خلاّن
وأرنو إلى الدنيا بعين تَفَكُّرٍ ... فلم أَرَنِيْ أرنو إلى غير هجران
ولَم أرَهَا إلا غرورا وزخرفاً ... تُشَوِّشُ لي ديني فكنتُ لها شاني[6]

(١) في الديوان: (تطابق).
(٢) كَمَالُهُ: وردت هنا (كمالةً) فاسْتَصْوَبْتُ ما ورد في الديوان.
(٣) في الديوان: (معنى).
(٤) في الديوان: (تبليه).
(٥) في الديوان: (زادٍ).
(٦) شاني: مُبْغِض.

وبالرُّسْل والأمْلاك آمنتُ أقتدي ... بهم في شؤوني كلها كل أحيان[1]
فهم في طريقي قدوتي وأئمتي ... لدى كل أعمالي مدى كل أزمان
فمن شرعة الأملاك عندي نسخة ... أطالع من ديوانها رَسْمَ عنوان
فأذكارهم كانت شريف عبادتي ... وذكري بتهليلٍ وحمدٍ وسبحانِ
وهم عَلَّمُوني دعوةً أرتجي بِها ... لنفسي ومن في الأرض رحمة غفران[2]
وهم عَلَّمُوني موضعا لبراءةٍ ... وموضع رشد بالولاية لبَّاني
ومن كل فرد منهم كان مشهدي ... لِمكتوم سرٍّ، فَهْمَهُ العلمُ آتاني
فمن قَسْمِ ميكائيل بذلي تصدُّقا ... ومن حكم جبرائيل ترتيل قرآن[3]
ومجموعنا يحكي صفوفهم إذا ... صَفَفْنا بأحيانِ الصلاة بإذعان
وفي الأرض سيَّاحون منهم كمثلنا ... روائع سمَّاعون نشدان رهبان
فنحن لهم فيها نكون أئمة ... فيشدون إذ نشدوا بإنشاد نشدان
ولَم يقتدوا إلا لتحقيق نسبة ... إليهم فهم لي في التناسب إخواني
ولي من جميع الْمرسلين خلائق ... فمن عند إبراهيم حلمي وإيقاني
ومن آدم تَوْبٌ من الحوب بعده ... إنابة داود وأَوْبَ سليمان
وفي صبر أيوب على الضر أجتلي ... شَكِيَّةَ يعقوب لزائد أحزاني
ومن خوف يحيى نلت زهد ابن مريم ... ويونس إقراري بظلميَ نجَّاني
ومن زكريا رغبتي حين رهبتي ... وإن أتوكلْ كنتُ والدَ قحطان[4]
وبي غمّ يعقوب الوعود تشوُّقا ... ليوسف تقوى حافظٍ غير خوَّان
وكنتُ شُعَيْبِيَّ النصائح تابعا ... لدى غضبي في الله موسى ابن عمران

---

(١) في الديوان: (أحياني).

(٢) الشطر الأول ورد هنا هكذا: (وهم علموني موضعا لبراءة)، وورد في المخطوطة والديوان هكذا: (وهم علّمُوني دعوة أرتجي بها). فاعتمدت صيغة المخطوطة.

(٣) لفظة: (ترتيل) وردت هنا: (تنزيل)، ولكني اعتمدتُ ما في المخطوطة: (ترتيل).

(٤) هذه إشارة إلى نبي الله هود عليه السلام، فقحطان هو ابن هود كما يذكر ذلك علماء التفسير والمؤرخون.

ومن جملة الأسرار هذا نموذج ... وتفصيله يربو على رمل كثبان[1]
فمن جملة الأمْلاك والرُّسْل أجتلي ... لطائف لم تودع صحائف رهبان
وعندي أسرار لهم عن شروحها ... يضيق فضا علمي وفهي وإمكاني
فكلٌّ عليم من حكيم وعارف ... يُعرّفني منهنّ حكمة لقمان
وكلُّ وصيٍّ أو وليٍّ مُكَاشَفٌ ... جَلا سرُّه عندي ولَمْ يَرَ كتمان
فأبصرتُ من أسرارهم لغرائب ... عن النطق صانوها وبي كَتْمُ صَوَّان[2]
ومالي لا أحوي الْجميع وإنني ... اجْتَلَيْتُ شروح الكُتْبِ من متن قرآن
وأمري حميد باتباعي لأحمد ... فمن نوره علمي وحكمي وبرهاني
فلي أسوة فيه وفيها نِهايتي ... إليها بها عن غيرها هي تنهاني
هُوَ الفَلَكُ الحاوي المُديرُ جميعها ... على قُطُبِ الأسرار من نوره الداني
فَمَقْعَرُهُ أوْجُ الْجميع وأوْجُها ... لها الْمركز الْحاوي صنائع إتقان
فلا تعجبوا إن كان ذلك أطلسًا ... وهذا بَنَى الأعلامَ أوضح تبيان[3]
فإن له الأسرار من كل أطلس ... يُصانُ عن الأمْلاكِ والرُّسْلِ والْجان
فمالِيْ وللأمْلاك والرُّسْل بعده ... فَعَنْ جُلّهم بل كلهم هو أغناني
ولا تنكروا ذكري لدى تبعيتى ... لَهُم، فَلَهُ نور الحقائق[4] أعطاني
تجلَّى عليهم حسنه فتعددوا ... وأصبح فرد الْحسن ليس له ثانِ[5]

---

(١) ترتيب هذا البيت في الديوان يأتي بعد الذي يليه. وفي تقديري أن ترتيبه والبيتين بعده ينبغي أن يكون على النحو التالي:

١. فمن جملة الرُّسْل والأمْلاك أجتلي... ٢. وعندي أسرارٌ لهم عن شروحها... ٣. ومن جملة الأسرار هذا نموذج...

(٢) أي وعندي من القدرة على الكتمان ما أصون به الأسرار.

(٣) الطِّلْسُ لغة في الطِّرْس. والطلسُ المَحْوُ. يقال للصحيفة إذا مُحِيَتْ طلْس وطرْس. ويقال أطْلِس الكتاب أي امْحُه.

(٤) في المخطوطة: (الحقيقة).

(٥) في المخطوطة: (فتجلى علهم نوره ....).

لتصحيح إيماني بكل جموعها ... أخذت لها مني وثائق إيمان[1]
وبالكُتْب إيماني كذلك حُكْمُه ... فذلك والإيمانُ بالرُّسْل سيّان
تحَقُّقُ تصديقٍ لكلٍّ ونصرة ... لكلٍّ واتّبَاع لكلٍّ بإذعان
ولي من جميع الكُتْبِ شِرْعَةُ صادقٍ ... أقوم بها في التابعين بإحسان
فأصبحتُ ربَّانيَّ كل شريعة ... وإنِّي بلا، والذكرُ بالفيض رباني[2]
فمني له الإجلال في كل خلوةٍ ... بنشوة جذلان وأنَّة مِرنان[3]
ومنه ليَ الأتْحاف في كل جلوة ... صحائف أسرار لطائف سلوان[4]
مواهبُ ضاق الكون عن وَهْبِ بثّها ... لمن لا تناسى الكون أحفظ نسيان
إلى مثلها يرنو الحليم وينثني الْـ ... ـكريم إليها واللئيم لها شاني[5]
فحيَّ عليها قد أَهَبْتُ ببابها ... إليها[6] ألا يا مثلها فَلْتَكن راني
أتاكَ بإجْمَالٍ جميلُ مقالتي ... ومالِيَ حَوْرٌ بعد ذاك لِحَيران[7]
بلى سأذيع السر أحبار صفوتي ... فأهدي لَهم فرقان أخبار فرقان

---

(١) ورد في المخطوطة بعد هذا البيت، البيت التالي:

وإنيَ في توحيده لوحيدُهُ ... بذكْري، ولو سُمّيْتُ أشْرَفَ ذكرانِ

(٢) ورد في المخطوطة بعد هذا البيت، البيت التالي:

أجَلْ، آنَ لي رُجْعَايَ عن كل غيره ... إليه، وأما عنه تلك فلم تانِ

(٣) المِرْنانُ: الذي يُخرج تأوهات نفسه بلحن عذيب خافت كلحن الشادي.

(٤) في المخطوطة: (ومني له الأَتحاف...)، ويظهر لي أن (ومنه ليَ الأَتحاف...) أوقع على المعنى في سياق البيت، لمقابلة الأتحاف والجلوة بالإجلال والخلوة في البيت السابق. ومعنى كلمة الأتحاف بفتح الهمزة: العطايا الفريدة في نوعها، ومفردها تحفة. والإتحاف بكسر الهمزة: بمعنى الإعطاء من أتحفه إذا أعطاه عطيَّة سَنِيَّة.

(٥) شانيء: مُبْغض.

(٦) حَيَّ: فعل أمر بمعنى أقبل. أَهَبْتُ ببابها إليها: أي دَعَوْتُ على بابها مناديا إليها.

(٧) ومالِيَ حورٌ: أي وما ليَ رحوع.

غدوتُ مُعَاذيَّ[1] الحقائق فاجْتَلَى ... طرائق ما فوق الطرائق إيْماني
وأشهدني نوعا من الكشف واضحا ... يقينٌ إلى الكرسي والعرش أدّاني
وأيُّ مقامٍ لا أرومُ انتهاءَه ... وفي مَبْدَئِي نورُ الْمصاحف غشّاني
فَصَحَّحَ إيْماني بكل حقيقة ... بسرّ إلى أوج النهاية أنْهَاني[2]
ومَازَجَ بالإيْمان روحي فاغْتَدَى ... مسوطا بجسمي في دمائي ولُحماني
أعَاينُ من حُجُب الغيوب عجائبا ... تراءت لعيني من قرائن أذهاني[3]
فمالِيَ لا أضنى وأفنى ومشهدي ... فنائي عندي في فنائي أضناني
ومالِيَ لا أبكي لذكر شمائلي ... وشامل كُتْبي[4] بالشمائل تلقاني
وفي كل يوم من كتابيَ أجْتلي ... حسابيَ والأشهاد حوليَ صفَّانِ
وأعظم ما منه بَلِيْتُ بَلِيَّتي ... بخفة أعمالي بكفة ميزاني
فَثَابتَ عقلي مِنْكَ لِيْ أحسن العزا ... وطائش عقلي[5] عِشْ بدهشة سكران
فها هي من نحو الشمال جهنم ... وها جنَّة الفردوس من نحو أيْماني
فمن تلك همي قد شهدت وغمتي ... وأشهد أفراحي بتلك وسلواني

(١) قول الشيخ: (غَدَوْتُ مُعَاذِيَّ الحقائق)، أي تجلى له من العلوم الربَّانية ما تجلى لسيدنا معاذ بن جبل الصحابي الخزرجي الأنصاري الذي أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد مع النبي الوقائع كلها، وأردفه الرسول وراءه، وشَيَّعَه في مخرجه ماشيا وكان معاذ راكبا، وبعثه قاضيا ومعلما إلى اليمن وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة ليعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم فقد كان رضي الله عنه منذ يفاعة عمره عالما وإمام فقه.

(٢) أنهاني: أوصَلَني.

(٣) لفظة (الغيوب) وردت في المخطوطة: (الغيوم). لفظة (قرائن) وردت في المخطوطة: (خزائن). أذهاني: من الذهن وهو الفهم والعقل. والذهن أيضا حفظ القلب. كما يقال أيضا: ذهنني عن كذا وأذهنني أي أنساني وألهاني عن الذكر.

(٤) شامل كُتْبِي: ما احتواه كتاب المخلوق مما سطرته الملائكة في الدنيا من معاصيه. وفي الآخرة يُعطى الشقيُّ كتابه بشماله والسعيد بيمينه.

(٥) لفظة (عقلي) وردت في المخطوطة: (لُبّي).

تـرآءت لعيـني فـي قصـور بَهية ... قواصر طرف مثل أطراف مرجان[1]
ولـم أذكر الـدارين إلا نَموذجا ... لِتَجْتَلِي السـر العظيـم بعـرفان
فذا من مبـادي الكشـف قال شيوخة ... ويا رُبَّمَا أنْهَى لكشفهم الثـاني
وما بعد هذا من مقامٍ لإيْمـانٍ ... سوى الباذخ العالي بنسبةِ إحسان
مقامٌ بتحقيق الشهود مخصصٌ ... لعبدٍ بتول[2] في العبادة ولهَان
وعَـرَّفَه الْهـادي فقال كأنه ... يـــراكَ لِمَــن قــد رآه بإيقان
فهذا من الإيمان عـنديَ ثالث الْـ ... ـمقامات إذ قد تَـمَّ من قبله اثنان
فيا قاصدا فيه سلوكا له استمع ... مقالِيَ إصغاءً لنطقي وألْحاني
دع النفس لا تنـظر إليها تلفُّتاً ... وكن خارجا عنها بنفرة شَـنْـآني[3]
وقُـم بهم عنها إليهم ولا تـقم ... إليهم بها تحظى لديهم بِتُكْلان
فمن بهم فيهم لَهم قام موشكا[4] ... لَهم جذبوه روم وصل وقربان
فيسعى لَهم حقًّا بأنسٍ ولذَّةٍ ... خليًّا من الأوزار في كل ميدانِ
فيقطع يَهْمَاء الفيافي مبكرا ... بطيهموها[5] في كغمضة أجفان
ولَـمْ يَـرَ فيها من عَنَـاءٍ يـؤودُهُ ... ولِمْ لا وهم فيها له خير أعوان
فجاهد بهم فيهم تشاهد بقربهم ... لوامع نور حَـلَّ منكَ بـأوطان
وترتاح منك الروح للوصل واللقا ... بقلبٍ من الوجد الْمُبرِّحِ ملآن

(١) قواصر طرف جمع، ومفردها قاصرة طرف، وهي المرأة التي يشتد حياؤها، ولا تمتد عينها إلى غير زوجها. وهذا التعبير مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾. سورة الرحمن، الآية: ٥٦. وقاصرات الطرف هو وصف حوريات الجنان أزواج المتقين.

(٢) البَتُول: هنا وَصْفٌ للناسك المتعبد المنقطع للعبادة. وأصل هذا الوصف للمرأة العذراء.

(٣) بنفرة شَـنْـآني: أي بإسراع المبغض في البعد عمن يبغض. وفي الديوان (كنفرة شنآن).

(٤) موشكا: مسرعا.

(٥) كلمة (بطيهموها) راجعتُها في المخطوطة فوجدتها كذلك. وبحثت في بعض المعاجم عن معنى لها فلم أصل إلى نتيجة.

تَمكَّن فيه سالب الْحب والْهوى ... فأزعجه عن كل إلف وخلاّن
وأَرْقَاهُ بالإخلاص رَوْمَ خلوصه[1] ... لتقديسه من رَيْنِ رؤيةِ أكوان
فهام بِحُبٍّ عَامَ في بحر ذكره ... ولَمْ يدر وجدان اصطبار وسلوان
فدام به في كل وقت وهيئة ... على صيغ التلوين في كل أحيان
يَرَى أنْسَه فيه ألذّ حياته ... وموتته الكبرى علاقم هجران[2]
ومعرجه الأسمى وجود شهوده ... وإن ينأيضحى في الحضيض هو العاني
فقام بتأديب الْملوك ببابه ... يخرّ ذليلا في حماه لأذقان
وقد غضَّ طرفا من حياء وهيبة ... بدهشةِ قلبٍ في تزَلْزُلِ أركان[3]
تكامَل منه ذُلُّهُ وانكسارُهُ ... أمَارَةَ تعظيم لبرزةِ سلطان[4]
فأدمعهُ تجري بلوعةِ وجده ... فيالكَ بحراً سالَ من حَرِّ نيران
فَيُصْمِتُهُ حيناً حياءً وهيبة ... وتُنْطِقُهُ أخرى ارتياحةُ نشوان
يحنُّ إلى ذكر الحبيب وقربه ... حنين الثكالى قد ضَنِيْنَ بأشجان[5]
تَبَتَّلَ في الأذكار عن ذكْرِ نفسه ... فغاب بها عنها وكان بها فاني
ولَم يفن حتى غاب عن ذكْرِ ذكْرِهِ ... شهوداً لِمشهودٍ هناك بلا ثاني
ولما يشاهد إنْ يشاهد شهوده ... إذا لَمْ يغب عنه بمشهوده الداني
فإن غاب في مشهوده عن شهوده ... تَدَكْدَكَ طورُ العقل منه لإذعان
ولاح تَجَلّي الحق فيه لعينه ... بمرآته كشفا يراه بوجدان
معانٍ تَجَلَّتْ في مغانٍ تَجَمَّلَتْ ... بها إذ تَجَلَّتْ من سناها بألوان

(١) رَوْم خلوصه: طلبه الخلاص. الرَّيْنُ، الرَّانُ: صدأ يعلو على الشيء الجلي.

(٢) علاقم: جمع علقم، والعلقم نبات الحنظل وكل شيء مر.

(٣) عند هذا البيت انتهت هذه القصيدة في صورة المخطوطة التي بحوزتي، ومراجعتي وتدقيقي من هنا إلى آخر القصيدة ستعتمد على الديوان، الذي لم يذكر محققه شيئا عن هذا الأمر، وربما نقلها من نسخة مخطوطة غير المخطوطة الأم. وربما يكون نقلها من إحدى المخطوطات الأخرى.

(٤) أمارة: علامة. وبرزة السلطان: مجلسه حين يبرز لحوائج الناس.

(٥) قد ضنين بأشجان: قد اشتدت همومهن وأحزانهن.

يحققها بالذوق كشفٌ مصدَّقٌ ... بعلم يقينٍ جلَّ عن حدّ برهان
يؤيّده سلطان عين يقينه ... بحق يقينٍ بالعيان لأعيان
إذا ما مَحوت الرسم والإسم شاهد ... بها روحُ معناهُ ترى كنز عرفان
ففي مرة للوهم يبدو مَعيّه ... لديك وأخرى يرفع الْمَعَّ في الحان[1]
ففي تلك يستجلي ظهورا بكشفها ... فَتُضحي بزلفى القرب أسعد جذلان
ويغنيك حتى شهودك قربه ... فذاتك ذات المحو في المشهد الثاني[2]
ومهما تجلى نوره في صفاته ... فمن حضرات القدس جاء بعنوان
يَمُدُّك من ألطافه الأنس تارة ... وأخرى إلى قدس الجلالة مدان[3]
فتُضحي بإقدامٍ لبسطٍ وفرحةٍ ... وتُمسي بإحجامٍ لقبضٍ وأحزان
وسائرها يجري على[4] ماله اقتضت ... هواتف إلهامٍ من الفتح ربَّانى
تغاير في حان التجلي ضروبها ... على حسْب الاستعداد في كل إنسان
مقاماتها شتى بحسب تفاوت الْـ ... ـقوابل للفيض الْمقدس للران
فمن كان مجلوّ الْمراة من الصدى ... سليما من الدا أن يحل بهرمان[5]
فمهما يوجهها إلى وجه ربها ... تعد بشعاع يبهر العقل فتان
يريك بها وجه الحبيب جمالُها ... به شرفٌ يسمو بأشرف سكان
عليها من الآثار تُلْفَى بمظهر الْـ ... أسامي دلالاتٍ نُصِبْنَ لأعيان
إذا عرَّجوا فيها لعرش صفاتها ... لمعنى وراء الوصف باء بعرفان
تريك عبارات الصفات إشارة ... لَها كَلّ عن تعبيرها كل سحبان[6]
غَدَت حيرة الألباب لكنْ ذهولها ... بها للهُدَى يَهْدِي به كل حيران

(١) مَعِيَّة: لعله يقصد المَعِيَّة الإلهية أي رعاية الله وعنايته بعبده. الحان: الوقت.
(٢) كلمة (المحو) وردت في الديوان: (المحق).
(٣) كلمة (يمدك) وردت في الديوان: (يُمَلّك).
(٣) وسائرها يجري على: وردت في الديوان: وسائرها يجري إلى.
(٥) الدا: الداء وهو المرض ظاهرا وباطنا، وكذلك العيب ظاهرا وباطنا. الهُرْمان: العقل.
(٦) كل سحبان: كل خطيب بليغ.

ففي عدم الإدراك إدراك عارف ... طوى نشره أعلام فَقْدٍ ووجدان
وبالعكس للمجذوب ترتيب كشفها ... وصولا وردا بالتدلي إلى الخان
فعرّج بتجريدٍ لتفريد واحدٍ ... وخَلِّ السِّوَى[1] يخلوفما ثمَّتَ اثنان
إذا ما كشفت الستر عن لبس لُبْسَة[2] ... بنفس تصل أعلا مقام لإخوان
وتفنى عن الأكوان في كل حضرة ... صحوت بها في كل غيبةِ سكران
فقم في فناها بالعبادة فانيا ... بمعنى به تبقى إذا عوّض الفاني
ترى بك من أوصافها في صفاتها ... حُلِيَّ كمالاتٍ، بدائعَ أفنان
وتشهد في مرآة كشفك حسنها ... جمالا لها حصن الكمال به باني
تريك على بعد الْمسافة من نأى ... قريبا تُجَلّيه بهيكلها الداني
وتقرأ منها نسخة الكشف كلها ... عن الْخلق بعد الْحق آيات فرقان
فتبدي لديك العرش كالفرش والسما ... وأملاكها والطير والأنس والْجان
ويحصر أشتات الوجودات فردها ... بجوهره الكلي في سرّها القاني[3]
ويرقيك عنها[4] في مراقي عروجها ... لسر ظهور الحق فيها بتبيان
تعاين منها بالمظاهر ظاهرا ... نور من جلالة رحمن[5]
فمن علمه فيها بُحورٌ تدافعت[6] ... بعلمي لفيض الفضل من يد منّان
وبالعكس في بعض الصفات التباسها ... تَجَلّى كَذُلِّي في معزّة ديَّان
وقُمْ وارْقَ واقْرأ من متون سطورها ... عجائب كشف من غرائب ديوان
فأنت فريد الدهر يا قطب عصرها ... لك الدهر عبد خاضع خاشع عاني
تَمَلَّكْتَ منه باقتدار زمامه ... فَتِهْ في برایاه بعز وسلطان

(١) السِّوَى: الغير.
(٢) اللُّبْسَةُ: الشُّبْهَة.
(٣) كلمة (ويحصر) وردت في الديوان: (ويحضر). كلمة سرَّها وردت في الديوان: (سرّه).
(٤) كلمة (عنها) وردت في الديوان: (منها).
(٥) كلمة (من) في عبارة: من جلالة رحمن، وردت في الديوان: (في).
(٦) كلمة (تدافعت) وردت في الديوان: (تدافقت).

عليك سـلام الله فيه تحية ... بنشر الثنا الغالي بسرٍّ وإعلان
فكل لسان بالثنا لك ناطق ... بحسن مديح في مدائح حسَّان
فهذا بحمد الله ما قد قصد ته ... من القول في هذا المقام العَلِيْ الشان
رقائقُ أسرارٍ دقائقُ حكمةٍ ... حدائقُ أنوارٍ حقائقُ إتقان
تُبَثْبِثُ[1] عن غور المعاني بمحكم الـ ... ـمباني وتهدي للطريق بعرفان
تنيل هدايا نورها كل واصل ... كما أنَّها (الْمِعراج للسالك) الواني[2]
سموت بِها عن نسبتي لقريضها ... أرق نسيم[3] في تغازل غزلان
ومالِيَ فيها قَصْدُ مَلْكٍ تعَرُّضا ... لِجائزة منه بتبر وعقيان
ولكن إلى مولايَ قصدا بعثتُها ... على ما بِها وهو الْمَليّ بغفران
عسى نظرة منه إليَّ شمولُها ... عليَّ ابتداء من موائد إحسان
وأزكى صلاتي دائما وتحيتي ... على الشافع الْهادي إلى خير أديان
عليه وأهليه جميعا وصحبه ... سلام به طابت خواتم نشدان

* * * * *

(١) تُبَثْبِثُ: بمعنى تَكْشِفُ، من بَثَّ حزنه إذا كشفه وأظهره.
(٢) الواني: الضعيف.
(٣) في الديوان: (نسيب).

(١٠) التسبيح[١]

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثاني.

أعاينُ تسبيحي بنور جناني ... فأشهدُ مني ألف ألف لسان
وكل لسان أجتلي من لغاته ... إذاً ألفَ ألفٍ من غريب أغان
ويهدي إلى سمعي بكل لُغَيَّةٍ ... هَدَى ألفَ ألفٍ من شتيت معان
وفي كل معنى ألف ألف عجيبة ... يُقَصّرُ عن إحصائها الثقلان
ولم أذكر الأعداد إلا إشارة ... كأنيَ في أوصاف ميططران[٢]
وإلا ففوق العَدِّ أمرٌ مُنَزَّهٌ ... عن الْحد يفنى دونه الملوان[٣]
ولا تتعجب إن عجبت فإنها ... حقائق صدق ليس بالهذيان
أرانيَ كل الكون فيَّ بأسره ... فكنت جميع الكائنات أراني
وأسمع قلبي من عجائب بُنْيَتي ... تسابيح كل الكائنات دواني[٤]
فكانت شمولي من شمائل جَمْعها ... وكان شمولي للشمول دناني[٥]
فلم أرْنُ غيري إن رنوت وقد غدت ... إليّ جميع الكائنات رواني[٦]

---

(١) ينبغي التنبُّه إلى أن معاني المفردات في هذه القصيدة والقصيدة التي قبلها (السلوك) تكون في بعض الحالات ليست على ظاهر معناها في المعجم اللغوي فينبغي أن ينظر إلى دلالتها في ضوء معجم المتصوّفة.

(٢) لم يبن لي معنى ميططران. إلا أن لسان العرب أورد في مادة (مطط) الميططة: الماء الكدر الخاثر يبقى في الحوض. وشتان بين معنى لفظة الميططة والمعنى المراد في سياق البيت.

(٣) الملوان: الليل والنهار.

(٤) لفظة (بُنْيَتِي) وردت في الديوان: (نيّتي). وفي المخطوطة كما هنا: (بُنْيَتِي) ولفظة دواني في آخر البيت معناها: قريبة.

(٥) الشمول: الخمر. دنان جمع دن وهو وعاء ضخم للخمر وغيرها.

(٦) رواني: ناظرات.

وأشهد[1] لي أني حقيقتها كما ... شهدتُ لَها فيّ اجتماع قران
وما كنت إياها وما زلت غيرها ... ولم أرها مجموعة بمكان
نشرت عباراتي بطيّ إشارتى ... لأظهر بالتحصين كل حَصان[2]
فواكه مَعْنى لا معاني فكاهة ... لذائذ لم تبسط بسمط خوان[3]
هي الروح للأرواح راح ارتياحها ... تصان عن الأشباح أي مصان
سأرفع عن ذاك النقاب وأصدع الْـ ... ـحجاب بِحُكْمٍ في حكيم مباني
تَبَصَّرْ فإن الكائنات مظاهر ... لِسِرّ أسَامٍ للجليل حِسان
وإنيَ مذ أصبحت جامع كلها ... حويت لأسرارٍ عظيمة شان
فلا صفةٌ إلا لها بيَ مظهر ... ولا اسمٌ إلاّ فيَّ منه معاني
ولا سِرّ إلا فيَّ منه نموذج ... فإنّيَ كل الكون[4] كل أوان
فخالص تقديسي به وشهادتي ... وحمدي وتسبيحي ورمز بياني
معانٍ بِها قد كان مهديَ مسجدي ... وكنت جنينا في صلاتيَ عاني
وما كنت في الأدهار[5] إلا مصليا ... وما زلت بالأذكار ذا هيمان
فذكريَ في دهري وشهري وساعتي ... ولَمحة طرفي جمع سبع مثاني[6]
ولكنّ وفري في الزكاة بذلته ... إلى غير من للفقر ظلّ يعاني
زكاتيَ أُجريها عليَّ وبذلُها ... إليَّ به نصُّ الكتاب حباني

(١) لفظة (وأشهد) وردت في الديوان والمخطوطة: (وتشهد).
(٢) حَصَانُ: من حصن المكان فهو حصين أي ممتنعا.
(٣) الخُوَانُ: ما يوضع عليه الطعام.
(٤) لفظة "الكون" وردت في الديوان وفي المخطوطة: (الكل).
(٥) الأدهار جمع دهر.
(٦) السبع المثاني: سورة الفاتحة، كما تطلق على السور السبع الأولى من القرآن.

وعَـنِّـيَ[1] لو جنَّبْتُها لأجانب ... لجانبتُ رشدي وارتكبتُ شنآني
وأشربُ في شهر الصيام تعمُّداً ... نَهاراً بأوطاني ولست بجان
وقد صمت أعيادى ولبَّيْتُ مُحْرِما ... بحجي وشهر الْحج لي رمضاني
وكعبة حجي حيث وجهت وجهتي ... ففي كل حال حولها جَوَلاني[2]
وحاشايَ عن ترك الأوامر مُعْرِضا ... وعن فعل ما عنه نُهيْتُ حشاني
وكيف وإنِّي آمِرٌ بائتمارها ... وناهٍ عن الْمَنْهيّ نَهْيَة شان
ولكن سباني من رفيع جمالِها ... منيعُ حمًى في حالتيه سباني
بدائع من تلك الصنائع غُنْيَتي ... بِها في غنائي عن غناء قيان
بحرْمَتِها عن ذي الْمحارم صُنْتُها ... بستر لِها من كَشْفِهِ حرمان
وما أنا في هذا وحيداً ولم أكن ... بكشف معانيه وحيد زماني
ومالِيَ لا أبدي لطيف لطائف ... صحائف لا تُتْلى بكل لسان
غرائبُ أسرار مباني أصولها ... لَهُنَّ كتاب اللّٰه أعظم باني
تَجَمَّعَتِ الأسرار فيه وإنما ... تَغَرَّقَتِ الأنوار في الفيضان
فتبدي لبعض العالِمِيْنَ سرائرا ... لَهُنَّ جميع العارفين عواني
وهُمْتُ بِها[3] حتى فَهِمْتُ حقيقتي ... فهُمْتُ بسرّ للهيام دعاني

---

(١) وعَنِّيَ: هذه اللفظة وردت في بعض نسخ المخطوطة التي اعتمدها محقق الديوان: (وعني)، (وعين). واللفظة وردت هنا (وعيني) ولكنني رأيت (وعني) هي الأنسب مع سياق قول الشيخ سعيد:

زكاتيَ أُجْريها عليَّ وبذلها ... إليَّ به نصّ الكتاب حباني

ولفظة (وعيني) قد تعني: فرضي، أي ما عليه من فرض الزكاة. وحتى لفظة الزكاة قد لا يكون المقصود بها الركن الثالث من أركان الإسلام، بل ربما يُرَادُ بها تزكية النفس وتأهيلها للعبادة الحقة لله تعالى. إن هذا الاختلاف في ورود بعض المفردات، قد يكون عائدا إلى أخطاء نسخية. وأما من ناحية دلالة بعض المفردات فالحاجة داعية إلى الرجوع إلى معاجم المتصوفة عند قراءة هذه القصيدة.

(٢) لفظة (حجي) وردت في الديوان والمخطوطة: (وجهي). جَوَلاني في آخر البيت معناه: طوافي.

(٣) هُمْتُ بها: من الهُيَام وهو عشق جاوز الحد.

أرانيَ معناها الْخفيَّ بمظهري ... جليًّا فلم أملك ملاك جناني[1]
عَشَوْتُ إليها من مقامي مسافراً ... وعدتُ وما زايلتُ قط مكاني[2]
فواجهت وجهي تاركا كل مظهر ... إلى الْمظهر الأعلى صرفت عناني
وخلَّفْتُ كلَّ الكائنات تَرَقّياً ... فعاينتُ نور الْحق نصب عياني
فلم أَرَ نفسي إذ شهدت ظهوره ... وأين الدُّجى قد أشرق القمران
بدا فاختفى كل الْمظاهر وانتفى ... سواه فلا غير هنالك ثاني
فَتِهْتُ بِوَادٍ من بَوَادي جماله ... فغبتُ من الأنوار باللَّمعان[3]
ولاح لطرفي من بَوَادي جلاله ... بَوَاهرَ أمْرٍ ظاهرٍ لجناني
فَدَكَّ به طوري وموسى حقيقتي ... به صَعِقاً أمسي وأصبح فان
لِيَهْنَ امْرؤٌ فَكَّ الرموزَ ومُلّكَ الْـ ... ـكنوز بِما يهوى غِنىً وغواني
هنالك يتلو من صحيفة ذاته ... غرائب أسرارِ العلوم دواني
ويشهد منه كل اسم معظَّمٍ ... ويَقْرَأُ منه آيَ كلَّ قُرَان
ويأتيه منه بالرسالة ناصح ... أمِينٌ فيهديه لِدَارِ أمان
ولَم يخفَ من سرّ ولا اسْمٍ مُعَظّمٍ ... عليه ولم يجنح[4] لكنزِ جمان
وتتسع الأسرار فيه[5] لِمن درى ... بمبلغ كشف زائد الفيضان

(١) (أرانيَ) وردت في الديوان: (وأرانيَ) وفي المخطوطة كما هنا (أراني). مِلاك أيّ أمْر: نظامه. ومِلاك الجَنان (وهو العقل): السيطرة والتحكم على ما يوحي به من الفعل.

(٢) عبارة (من مقامِي مسافرا) وردت في الديوان: (من مقاميَ سافرا). وفي المخطوطة (عَشَوْتُ إليها عن مقامِي مسافرا). لفظة: زايَلْتُ: فارَقْتُ.

(٣) تاه تَيْهاً وتِيْهًا. تاهَ في الأرض: ظلَّ وذهبَ مُتَحَيّرًا. بَوَادي جماله: ما يَظْهَرُ من جماله. عبارة: (فغبتُ مِنَ الأنوار)، وردت في الديوان: (فغبتُ في الأنوار) وهو خلاف ما في المخطوطة.

(٤) في الديوان: (ولم يحْتَج).

(٥) في الديوان: (فيها).

فيا أيها الحَبْرُ الْخبيرُ بسرّها ... لقد فقتَ (رُسْطَالِيْسَ) كل زمان[1]
هناك جنان الْخلد فارتع بريفها[2] ... فتجريد تفريد الحبيب جناني
بِها عِشْ مُعَنىً أو فَمُتْ في سبيلها ... مُهَنَّى فكن مُسْتَشْهِداً متهاني
ولا تَكُ مثلي قاعداً مُتَخَلِّفاً ... هَجِيْرَايَ[3] دعوى أو مُنىً وتوان
فلم يتخلف قط إلا خوالف ... لغير اجتهاد بالْجهاد يعاني
فكم قالعاً[4] عنها إليه تداركت ... مناياه لم يدرك منى وأماني
يرى بالأمانيّ الغنى وله العنا ... بِها ولَها يُمسي ويصبح عاني
ولو أنه أمسى خلياً بنفسه ... لما خلته يَهْوِي بذلٍّ هوان
هنيئا لِمن قد مات سُكْراً بِحانِها ... عليه سلام الله كل أوان

* * * * *

(١) فقتَ رسطاليس كل زمان: أي فقتَ بعلمك كل عالم كان في درجة ورتبة رسطاليس في العلم. ويعني الشيخ برسطاليس: أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م) الفيلسوف اليوناني الشهير المعروف بالمعلم الأول لوضعه علم المنطق، وجمعه فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية حتى وقته. يُعْتَبَر هو وأستاذه أفلاطون، أهم فيلسوفين بين جميع فلاسفة اليونان القدماء. أنظر الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، الجزء الأول، ص٥٠٦.

(٢) في الديوان: (بريقها) خلاف ما في المخطوطة.

(٣) هجّيرايَ: عادتي ودأبي.

(٤) لفظة (قالعا) وردت في الديوان والمخطوطة: (قاعد).

ثانيا : قصائد تؤرخ لدولة الإمام عزان بن قيس وللغزو الوهابي

(١) أفلاك السعود

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الرابع عشر. وقُدّمَ لها بالمقدمة التالية: "وله أيضا رحمة الله عليه هذه القصيدة الشريفة وهي آخر قوله في الشعر فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد فهذا تاريخ مختصر في ذكر الواقع بعمان في شهر جمادى الآخرة من العام المؤرخ في القصيدة بلفظة (غرفة) وهو سنة ١٢٨٥هـ، تفاؤلا بقوله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما﴾، وهي سيرة حسنة ولذكر الله أكبر. وهي هذه وليعلم الواقف عليها":

لقد دارت على رغم الحسودِ ... بحمد الله أفلاك السُّعودِ
وفاحَ أريجُ مسكٍ من جلاد ... وأسفر ضوء صبح بالْحديد
بضربٍ لَم يغادر غير هامٍ ... مُفَلَّقَةٍ وغَنّى في الكبود
وطعْنٍ في الثغور وفي التَّراقي ... به الأعداء أمست كالحصيد[١]
وخيل هَلْهَلَتْ بالنقع نسجا ... كساها كل سربال جديد[٢]
تعوم إلى الأعادي كل بحر ... وتجتاب الشواهق بالوقيد[٣]
فلا تحمى حزون الأرض منها ... ولا تؤوي السهولة للشرود
وما شُمُّ الجبال بِمانعات ... ولا الدأماء ذو اللج البعيد[٤]

(١) الحصيدُ: الزّرعُ المحصود.

(٢) السربالُ: ما يُلبَسُ من قميص أو درع.

(٣) تجتابُ: تطوفُ. الشواهق: جمع شاهق وهو الجبل المرتفع. الوقيدُ: ما تشتعل به النار. واللفظة وردت في الديوان والمخطوطة: (الوخيد) وهي من وخد البعير: أسرع ووسّعَ الخطو.

(٤) الدّأماء: البحرُ. اللّج: معظم ماء البحر حيث لا يدرك قعره.

أتتهم بالْمنايا عاصفات ... عليها كل صنديد مجيد[1]
تدوس بِها سنابكها جباها ... فتختلط الْمعاطس بالصعيد[2]
فتهديهم كؤسا من نصالٍ ... بِها قَدُّ الجماجم والقدود[3]
وَوَقْعُ أسِنّةٍ كالشهب ترمي ... دِرَاكا كل شيطانٍ مَريد[4]
كأن الْخيل صيغت من حِمَام ... إذا قيل اركضي فيهم وميدي[5]
وقد كفل المذاكي والعوالي ... وبيض الهند فيهم بالوعيد[6]
لتشرق غرة الإسلام فينا ... وشمل الدين منتظم العقود
بِغَوْثِ الأرض عزَّان بن قيس ... ابن عزَّان الإمام أبي حمود[7]

(١) المجيد: الوافر المجد، تامٌّ كاملٌ متناهٍ في الشرف. واللفظة وردت في الديوان والمخطوطة: (نجيد) ومعناها: الشجاع الماضي فيما يُعْجِزُ غيره.

(٢) لفظة (بها) وردت في الديوان والمخطوطة: (بهم). سنابك: جمع سُنْبُك: وهو طرف حافر الخيل. المعاطس: جمع معطس وهو الأنف. الصعيد: التراب.

(٣) قَدُّ الجماجم: قطعها. الجماجم: جمع جُمْجُمَة وهو عظم الرأس المشتمل على الدماغ. القدودُ: جمع قد وهو قامة الإنسان.

(٤) دراكاً: تُدرك، تلحقُ، تصيبُ.

(٥) الحِمامُ: الموتُ. مِيْدِي: فعل أمر للمؤنث، وهو من ماد يميدُ مَيْداً ومَيَدَاناً، ومعنى مادَتْ بهم الخيل أي درات بهم وأحاطت. والأمر متوجه للفرسان الذين على ظهور الخيل.

(٦) المذاكي: جمع مذكية وهي الخيل. والعوالي جمع عال وقد يُرادُ بها الفوارس الذين يعلون ظهور الخيل، كما قد يُرَادُ بها السيوف التي تضربُ بها الرقاب وهي أعلى ما في قامة الإنسان. بيض الهند: السيوف.

(٤) الإمام عزان بن قيس (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م-١٢٨٧هـ/١٨٧١م) بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن خلف بن سعيد بن مبارك البوسعيدي. قام بثورة على حكم أسرته، وكان السلطان على عمان في وقت قيامه ابن عم أبيه السلطان تركي بن سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد. وتمثلت أهداف ثورة الإمام عزان في طرد الاستعمار البريطاني الغاشم، وتوحيد عمان، ورد أطماع الحركة الوهابية الغاشمة، ومحاولة استرجاع ملك عمان في شرق إفريقيا. وفي فترة قياسية لم تزد عن سنتين تمكن الإمام عزان من توحيد عمان توحيدا تاما، واستطاع أن يسد المنافذ على أطماع الحركة الوهابية التي استمالت بعض العمانيين في شرقية عمان. وقد استشهد

بمنْ بركاته ظهرت ببركا ... بما قَـرَّت بـه عـين الـودود
تَهجَّمها بِحـرب فاستدانت ... بفتح الحصن في يوم سعيد
وقـامت عصبة قـد شايعوه ... لنصرة دين ربهم الْمَجيد
دعاهم صالح[1] فأجاب قوم ... لهم سيما العبادة والسجود
بجيش من قبائل فيه شتى ... هـم أنصـار ربك في الوجود
أصابوا مطرحا فاستفتحوها ... بِحـرب كـان فـي يـوم فـريد
تداركهم بهـا عـزان قبل انْـ ... ـقضاء الأمـر بالفتح العتيد
فقام بهم لِمسقط[2] وهي بِكْرٌ ... حَصَـانٌ لا تُـرَوَّعُ بالْمصيد
وفيها سالم نَجل الثويني[3] ... مليك عمان ذو الباس الشديد

الإمام عزان إثناء المواجهة التي دارت بينه وبين الإنجليز، وذلك سنة ١٨٧١م. وقبره رحمه الله تعالى في موضع جبروه بمطرح. أنظر سيرته في كتاب تحفة الأعيان للشيخ الإمام عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (نور الدين)، مكتبة الاستقامة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٥٣-٣٠١.

(١) هو الشيخ صالح بن علي بن ناصر بن عيسى الحارثي ولد في بلدة المضيرب بولاية القابل سنة ١٢٥٠هـ، كان من تلامذة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي. ساهم معه في قيام دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي، حيث بذل في سبيلها جهده وماله ونفوذه القبلي بصفته زعيم جماعته. أنظر سيرته في كتاب تحفة الأعيان للشيخ السالمي، ص٢٥٣ وما بعدها.

(٢) وردت في الديوان: (فقام بهم لمطرح).

(٣) سالم بن ثويني بن سعيد (١٨٦٦م حتى ١٨٦٨م) هو الابن البكر للسلطان ثويني بن سعيد (١٨٥٦م حتى ١٨٦٦م)، فرض نفسه سلطانا بعد أن قتل أباه (تحفة الأعيان ج٢،ص٢٧٤، وكتاب مذكرات أميرة عربية، تأليف سالمة بنت سعيد، ترجمة د. سالمة صالح، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م. ص ١٧٣-١٧٤)، الأمر الذي وسع دائرة الكراهية له بين العمانيين، فاتجه إلى محالفة الغزاة الوهابيين معولا على دعمهم، وقام بمضايقة علماء عمان والتشديد عليهم، وقبض على بعضهم، فثاروا عليه بقيادة العلامة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله. مكث سالم سلطانا لعمان لمدة سنتين من عام ١٨٦٦م حتى ١٨٦٨م. أنظر كتاب تحفة الأعيان للشيخ السالمي، ص٢٤٩ وما بعدها.

أقــام بِها عساكر من بغـاة وجنـدًا من مشائيـم الجدود[1]

(١) يريد الشيخ بالعساكر البغاة مشائيم الجدود: الوهابيين من أهل نجد الذين استنصر بهم السلطان سالم بن ثويني على أسرته وشعبه. وقد ورد هذا الشطر في الديوان والمخطوطة متضمنا ذكرا صريحا للوهابيين هكذا:

(أقـام بها عساكر مـن بغاة الْـ أزارقـــة المشـائـيـم الجــدود

فقد جرى اصطلاح العلماء والمؤرخين على نسبة الوهابيين إلى الأزارقة الخوارج وذلك بجامع الفكر التكفيري الذي يتبنّاه الفريقان (تحفة الأعيان ج٢، ص٢٧٨)، ومكان ظهورهما وهو إقليم نجد، الذي ظهرت فيه الحركة الوهابية في العصر الحديث بقيادة محمد بن عبدالوهاب (١١١٥هـ/١٧٠٣م-١٢٠٦هـ/١٧٩١م)، كما ظهرت قبلها في نطاق نفس الإقليم في القرن الهجري الأول حركة الأزارقة الخوارج بقيادة نافع بن الأزرق الذي قتل سنة ٦٥هـ. تُنْسَبُ الحركة الوهابية إلى مؤسسها محمد بن عبدالوهاب النجدي الذي تعاهد في عام ١١٥٧هـ في بلدة الدرعية مع رجل نجد الطامح محمد بن سعود على تحالف ديني سياسي يذعن بموجبه شيخ الوهابية بالسمع والطاعة للأمير السعودي ويلتزم الأمير للشيخ بنشر ما يُسمى بالدعوة السلفية إذا استتب الأمر له. وهكذا توافق الرجلان على أن يعملا سويا لتحقيق أهدافهما، فاستفاد محمد بن عبدالوهاب من سلطة محمد بن سعود السياسية وقوته العسكرية لفرض فكرته على المسلمين، واتخذ محمد بن سعود من حليفه محمد بن عبدالوهاب سيفا مصلتا على رقاب المسلمين. وكان محمد بن عبدالوهاب حَكَمَ على سكان شبه الجزيرة العربية بالشرك بذرائع أملتها عليه مصالح فكرته، وتبعا لذلك أعلن حليفه محمد بن سعود الحرب على جميع الأنحاء ليؤسس مملكته فشنَّ الغارات وكانوا يسمُّونها: (الجهاد)، وسفكوا دماء المسلمين وشردوا واغتصبوا وصادروا أموال الناس وكانوا يسمون ذلك: (الغنائم). رأى محمد بن عبدالوهاب أنه بحكمه على المسلمين بالشرك يقيم دولة التوحيد، ويطهر بلاد المسلمين مما يراها مظاهر شركية حسب معتقده، واضعا بذلك الأساس الديني للحروب التي شنها محمد بن سعود ليبسط سيطرته على أغلب أرجاء شبه الجزيرة العربية. وبقدر ما مَثَّلَتْ هذه النتيجة نجاح محمد بن سعود في تأسيس مملكته، مَثَّلَتْ كذلك نجاح محمد بن عبد الوهاب في فرض فكرته. تقوم الفكرة الوهابية على تكفير كل من لا يوافقها من المسلمين حتى وإن اتفق معها في الأصول، فتكفيرهم للمسلمين لا يقف عند المخالفين لهم من خارج إطار أهل السنة بل يشمل أئمة تيار أهل السنة في القديم والحديث، فحكموا بكفر أعاظم علماء الإسلام من المذاهب الأربعة عبر توالي القرون، بما فيهم علماء من مذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي تزعمه الوهابية مذهبا لها، مثل: الفقيه المفكر أبو حامد الغزّالي (٤٥٠هـ-٥٠٥هـ) أحد أشهر علماء الإسلام وفلاسفته في القرن الخامس الهجري. والإمام ابن الجوزي (٥١٠هـ-٥٩٧هـ) أحد الأئمة الكبار في الفقه الحنبلي في القرن السادس. والإمام النووي (٦٣١هـ-٦٧٦هـ) في القرن السابع. والإمام الشاطبي في القرن الثامن (توفي سنة ٧٩٠هـ)، وهو من علماء الإسلام الكبار في الأندلس. والإمام ابن حجر العسقلاني (٧٧٣هـ- ٨٥٢هـ) في القرن التاسع. والإمام السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ) من علماء القرنين التاسع والعاشر. والإمام ابن حجر الهيثمي (٩٠٩هـ-٩٧٣هـ) من علماء القرن العاشر. والإمام الشوكاني (١١٧٣هـ-١٢٥٠هـ) من علماء القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وغيرهم كثير. وتأكيدا لمحتوى هذا السياق يُمدنا المؤرخ العماني

ابن رزيق بوثيقة هامة حول جرأة الوهابية على دين الله وعلى المسلمين فقد نقل حديث الشيخ أحمد الزواوي الذي فرَّ من جور وبطش الوهابية إلى عمان عما فعلوه بهم وبعلماء الشافعية في الأحساء. أنظر كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، لحميد بن محمد بن رزيق، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، الصفحات من ٣٩٢-٣٩٦. من جهة أخرى ذكر المؤرخ الوهابي المعروف عثمان بن بشر في كتابه: عنوان المجد في تاريخ نجد، أنه في عام ١٢٢٥هـ، غزا الوهابية عمان، فنازلوا أهل بلدة مطرح وأخذوها عنوة، وقتلوا من أهلها قتلى كثيرة، وغنموا منها أموالا عظيمة. والواقع أن شرور الوهابية شملت بلدانا كثيرة في عمان مثل البريمي وبلدان منطقة الظاهرة، وصحم ومطرح وحطاط، وبعض قرى قريات، وبعض بلدان المنطقة الداخلية، وبدية وصور وجعلان وغيرها. ونجح الغزاة الوهابيون في التأثير على البعض من أحفاد الإمام أحمد بن سعيد مثل سالم بن ثويني وبدر بن سيف بن أحمد بن سعيد الذي اعتنق المذهب الوهابي وأقام لفترة في نجد. وأدى التأثير الوهابي بين البعض من أفراد الأسرة الحاكمة إلى قيام صراع على الحكم فيما بينهم كان من بعض نتائجه مقتل بدر بن سيف بن أحمد في مواجهة مسلحة بينه وبين ابن عمه سعيد بن سلطان بن أحمد. واغتيال سالم بن ثويني لوالده السلطان ثويني بتحريض من الوهابيين الذين جاءوا لغزو عمان لأول مرة تحت قيادة رجل منهم يقال له مطلق السديري (تحفة الأعيان،ج٢، ص٢٠٦) وتوجهوا بطلب من "بني بو علي" إلى جعلان ومن هناك قصدوا جميعا مدينة صور ونهبوا سوقها وقتلوا تاجرا هنديا بعد أن كانوا نهبوا سوق ولاية صحم عند قدومهم وقتلوا اثنين من التجار الهنود. وعلى إثر هجومهم على صور جهَّزَ السلطان ثويني بن سعيد أخاه تركي بن سعيد بن سلطان بحملة بحرية إلى المنطقة الشرقية، وقاد هو حملة برية، واجتمع في ولاية القابل بالشيخ صالح بن علي الحارثي وشيوخ قبائل أخرى، واتجه بهم إلى صور، فلما وصل إليها لم يجد فيها أحدا من النجديين، والسبب أن ناصر بن علي الوهيبي (شيخ في قبيلة آل وهيبة) أبلغ السديري بحركة السلطان ثويني بن سعيد إليه بجيش ضخم، فإضطرب السديري ففر برجاله هاربا من صور إلى البريمي، فاستقبله النُّعَيْمِيُّون مرحبين بقدومه وكانوا من أنصار الوهابيين في عمان. فعزم السلطان ثويني على ملاحقته لإجلائه عن عمان جلاءً باتاً لكن نجله سالم بن ثويني باغته فاغتاله في نفس اليوم الذي قرر فيه التحرك لإجلاء الوهابيين. وفي وقت لاحق انقلب شيخ قبيلة النُّعَيم محمد بن علي النُّعَيْمي على الوهابيين بسبب ما عاناه وجماعته من شرورهم، واستبدادهم على حلفائهم من الشيوخ المحليين، وكذلك بسبب غيرة قبائل البريمي وضغطها لأجل دعم الوحدة بينها لتطهير الوطن من دنس الغزاة، فجاء الشيخ النُّعَيْمي إلى الإمام عزان بن قيس بعد أن قامت دولته طالبا طرد الوهابيين من البريمي فاستجاب الإمام لطلبه وقاد الجموع حتى وصل البريمي، فواجهه خيَّالة الوهابية تحت قيادة رجل منهم يقال له "مدغم"، وانجلت المعركة عن قتل القائد الوهابي وانهزام رجاله فطلبوا الأمان من الإمام فأَمَّنَهُم وخرجوا قاصدين بلادهم. أنظر في هذا كتاب تحفة الأعيان للإمام السالمي، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٤. وحول مذهب الوهابية أنظر كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالوهاب شقيق مؤسس الوهابية، اعتنى بطبعه حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، تركيا، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. وكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، تأليف عثمان بن عبدالله بن بشر

وقد مُلِئَتْ فجورًا في فجورٍ ... وظلما ليس يُحصى بالعديد[1]
وكاد الجند منها يحتوون الْـ ... ـمَمَالِكَ من عمان إلى زبيد[2]
فجاءتهم جنود الله تَتْرَى ... أسودًا لا تُرَوّعُ بالأسود
فخاضوا تَحت وَبْلٍ من رصاص ... وريْزٍ[3] مدافع بحر الهمود
تَخلا من مجادلِها الْمُوالي ... ومن كيتانها ذات البنود[4]
وقد لبست به والليل داجٍ ... بُرُودًا من بُرُوقٍ في رعود
وغشَّاها ظلامٌ من دخانٍ ... فكم حُلَلٌ بها في الصبح سود
فما رجعت جنود الله عنها ... ولا كرهوا الشهادة للشهيد
إذِ اقتحموا عليها السور جهرا ... وجادوا بالنفوس وأيّ جود
وقد عبث الْمُهنَّد في رباها ... بأهل البغي أرباب العنود
قضى والسيف عدل في قضاه ... بِمصرع كل جبار عنيد

النجدي، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. وكتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية، تأليف السيد أحمد زيني دحلان، اعتنى به د. جبريل حدَّاد، دار غار حراء ومكتبة الأحباب، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. وكتاب مجموع الفتاوى للشيخ ابن باز أحد أعلام الوهابية. وفتاوى الشيخ بن جبرين عالم وهابي كبير. وكتاب قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التكفير، تأليف حسن بن فرحان المالكي، دار الرازي، عَمَّان-الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. وكتاب تاريخ الوهابيين، لقائد البحرية العثمانية العميد أيوب صبري، دار الهدف للإعلام والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

(١) الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (وقد ملئت به وبهم فجورا). لفظة (يُحْصَى): وردت في الديوان: (يُحْصَرُ).

(٢) الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (وكاد الأزرقية يحتوون....).

(٣) هذه اللفظة وردت في الديوان: (أزيز). وفي المخطوطة وردت موافقة لما ورد هنا. على أن لفظة (ريز) متداولة عند العمانيين بمعنى الرصاص المفتت قطعا صغيرة وتحشى به الطلقة وحين إطلاقها يتناثر منها الريز محدثا إصابة أوسع في الهدف مما تحدثه الطلقة غير المحشوة بالريز.

(٤) مجادلها: جمع مجدل وهو القصر العالي، والمقصود هنا المعاقل والحصون. ومن تصريفات اللفظة أيضا: جَدَّلَ الرجلُ خصمه: تركه صريعا مُجَدَّلاً. الكيتان: جمع كوت وهو المبنى الذي يلقى فيه بالمعتقلين. الشطر الأول من هذا البيت ورد في الديوان هكذا: (تخلى من مجادلها العوالي). لكن صيغة: (تخلى من مجادلها المُوالي) الواردة هنا أبلغ في المعنى.

وسالم التجا بالكوت منها ... فأرهقناه بالْحصر الْمديد
ودام الْحرب أسبوعا عليه ... وأمسى بعد ذلك في خمود
وجازاه الْمُهيمن بانتقام ... على طول التكبر والسمود[1]
فأصبح من مَمَالكه طريدا ... وكم لَهف على ذاك الطريد
وكان وقوع هذا في جمادى الْ ... أخيرة عام غرفة خير عيد
وبالاثنين والعشرين منه[2] ... جرى عقد الإمامة للعميد
بأيدي سادة غرّ كرام ... بَهاليل مصاليت أسود[3]
حماة الدين[4] قادات البرايا ... دعاتُهُمُ إلى دار الخلود
لواء العز منشور عليهم ... ومجدهم الْمؤثل[5] في صعود
هم قد بايعوه وقدَّموه ... إماما بالوثائق والعهود[6]

(١) السمود: مصدر سمد، سَمَدَ، يَسْمُدُ، فهو سامد. وهي تأتي بمعنى التكبر، وبمعنى الغفلة.
(٢) في الديوان: (ويوم اثنين والعشرين منه).
(٣) بهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير. مصاليت: جمع إصليت، والإصليت هو الماضي في الأمور.
(٤) في الديوان: (حماة الأرض).
(٥) المؤثل: العريق.
(٦) قال الشيخ السالمي في تحفة الأعيان: "حين وقعت خيرة المسلمين عليه بعد التشاور والتناظر وكان رؤساء الحاضرين يومئذ الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي والشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي والشيخ محمد بن سليّم الغاربي ومن معهم من إخوانهم ووجوه القبائل وخاصة المسلمين وعامتهم، فبايعوه يوم الجمعة بعد العصر في يوم اثنين وعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف. وبايعه الخاص والعام وضربت المدافع إعلاما. وصفة البيعة الموجودة في جوابات شيخنا الخليلي نصها: بسم الله الرحمن الرحيم. قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصبناك إماما علينا وعلى الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لا تعقد راية ولا تنفذ حكما ولا تقضي أمرا إلا برأي المسلمين ومشورتهم، وقد بايعناك على إنفاذ أحكام الله تعالى وإقامة حدوده، وقبض الجبايات، وإقامة الجمعات، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وأن لا تأخذك في الله لومة لائم، وأن تجعل القوي ضعيفا حتى تأخذ منه حق الله، والعزيز ذليلا حتى تنفذ فيه حكم الله، وأن تمضي على سبيل الحق أو تفنى روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه لنا ولجميع المسلمين". تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج٢، ص٢٤٧.

فقام بهم وأرضى الله فيهم ... بإنصافٍ وإحسانٍ مُفيد
وحُكّمَ في البرايا بعد ما قد ... تناسته على طول العهود[1]
فقام بهم حدود الله قسرا ... على من كان يسخر بالْحدود
تَعُمُّ عمان طرًّا من شناص[2] ... إلى الحد الْمُشَرّقِ في الْحدود
وفي الرستاق مع نخل ووادي ... سمائل ثم في سمد الهجود[3]
فأمَّنَها الْمظالم واطمأنت ... بعدل لا يُدَنَّسُ بالْحقود
فعانده السيابيون[4] نقضا ... لبيعته ونادت بالحشود

(١) وحُكّمَ في البرايا: أي قُلّدَ حُكْمَ الناس بشرع الله الذي مرّ زمن غير قصير على نسيان الناس لهذا النوع من نظام الحكم.

(٢) شناص: تقع أقصى محافظة شمال الباطنة مجاورة لدولة الإمارات العربية المتحدة، وتوجد بها المنافذ الحدودية البرية وهي منفذ خطمة ملاحة، ومنفذ الأسود، ومنفذ الوجاجة. تبعد شناص عن مسقط بمسافة ٣٠٥ كيلومترات. والشطر الأول من البيت ورد في الديوان: (يعم عمان كلا من شناص).

(٣) يظهر هذا البيت والذي قبله نجاح الإمام عزان رحمة الله عليه في توحيد الوطن العماني من شناص (جزء من حدود عمان الشمالية الغربية) إلى شرقية عمان التي مثلتها في البيت مدينة سمد الواقعة في ولاية المضيبي التي تبعد عن مسقط بمسافة ١٦٠كم. وهو قول الشيخ: (إلى الحد المشرّق في الحدود) وما بين هذين الحدين ورد ذكر نخل والرستاق ووادي سمائل وهذه من مناطق الوسط في عمان، وهذا يوضح سيطرة دولة الإمام عزان على أغلب أرض عمان خلال فترة لم تزد عن سنتين.

(٤) السيابيون قبيلة عمانية عربية عريقة تنتمي إلى مسيّب بن شهاب بن النويرة المنحدر من تغلب النزارية العدنانية حسب الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ٤٠-٤٥. كان السيابيون امتنعوا عن مبايعة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي زاعمين أن أعيان الحلف الهنائي هم من نصب عزان إماما، واستجاشوا قبائل حلفهم الغافري لمعارضة الإمام ومقاومة دولته. فقاموا في رمضان سنة ١٢٨٥هـ بأعمال نهب، وسفكوا دماء بعض القبائل، فطلبهم الإمام للمحاكمة، لكنهم أبوا الانقياد للقضاء، فتوجه إليهم في شوال من نفس العام، فاعترضوه في بلدة فنجا، ورفعوا السلاح في وجهه وقاتلوه، لكن الإمام تمكن من هزيمتهم فنكصوا على أعقابهم إلى بلدتهم وتحصنوا بها، فتحرك وراءهم حتى بدبد، ومن هناك أرسل يدعوهم للطاعة والانصياع للمحاكمة، فأبوا إلا القتال فوقعت عليهم الهزيمة للمرة الثانية، وكانت شر هزيمة لحقتهم، حيث دخل جيش الإمام بلدتهم، واستولى على حصونها، وأسر شيوخهم وشيوخ جماعتهم الغافرية وأرسلهم إلى مسقط، حيث أودعوا السجن، وبهذه الواقعة خضع السيابيون والقبائل المتمردة معهم لدولة الإمام رضي الله عنه.

وفي رمضان منهم كان نَهْبٌ ... وسفك دم ونقض للعقود
وفي شوال أمَّهم بِحرب ... تُحَزُّ به غلاصمهم وتودي[1]
وحلَّ بأرض نفعا[2] ما سمعتم ... وكم قد أودعوه من قصيد
وفي صَفَرٍ لعام بعد هذا ... رمى أرض البريمي[3] بالْجنود
فَخَلَّصَهَا بقهر واقتدار ... وكانت في أيادي ابن السعود
بحرب كان فيها ما سمعتم ... وكم قد أودعوه من نشيد[4]
وقاد الْجيش نحو السّرّ[5] عنها ... فأذعن كل ذي قصر مشيد
وأسلمت الْحصون له ودانت ... وأصبح أهلها مثل العبيد[6]

(١) تُحَزُّ: تُقْطَعُ. الغلاصم جمع غَلْصَمَةُ: وهي صفيحةٌ غضروفيةٌ عند أصل اللسان. واللفظة هنا في موضع الكناية عن الأعناق. تودي: من أوْدَتْ بِهِ الحَادِثَةُ: ذَهَبَتْ بِهِ، قَتَلَتْهُ. ولا شك أن قطع الأعناق يؤدي إلى الموت.

(٢) نفعا على وزن صنعاء، هي من البلدات التابعة لولاية بدبد المجاورة لولاية سمائل بالمنطقة الداخلية من عمان، وقد لجأ إليها السيابيون واتخذوها مقرا بعد أن أجلاهم الحبسيون عن بلدة الروضة الواقعة بولاية المضيبي بشرقية عمان بسبب خلاف نشب بين الطرفين. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ السيابي ص٤٠ وما بعدها.

(٣) البريمي ولاية عمانية شهيرة تبعد عن العاصمة مسقط بمسافة ٣٧٠ كم. كان الوهابيون اتخذوها في القرن التاسع عشر الميلادي قاعدة يشنون منها غاراتهم على المدن العمانية الأخرى. أنظر كتاب حركة التجديد والإصلاح في نجد، لمؤلفه عبدالله العجلان، الناشر نفسه، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٩١.

(٤) صيغة هذا البيت تكرار لصيغة البيت الثالث قبله المتعلق بوقعة نفعا، وهو قول الشيخ سعيد: (وحلَّ بأرض نفعا ما سمعتم ... وكم قد أودعوه من قصيد) وفي رأيي أن استخدام الشيخ لنفس الصيغة من التعبير في حادثتين مختلفتين ليس عن عجز بياني، حاشاه، بل ربما قصد به الربط بين معارضة السيابيين وغزو الوهابيين، لما شكلته الحادثتان من خطورة على أمن عمان في تلك الفترة، وإلى أنهما لخطورتهما تلك حظيتا بتوثيق الشعراء لهما كما يدل عليه الشطران في البيتين.

(٥) السر تسمية تاريخية قديمة للمنطقة التي تعرف بمنطقة الظاهرة.

(٦) المقصود بالعبيد هم المحاربون القابضون للحصون.

وخَلَّى بَرْغَشٌ ما حاز ظلما ... وكان له تراثا من جدود[1]
جبابرةٌ لَهم عاداتُ ظلم ... وما كان الظلوم بِمستفيد
وَوَاجَهَه أميرُ بني هناةٍ ... وشيخُ بني شكيلٍ في الوفود[2]

(١) هو السلطان برغش بن سعيد بن سلطان، أصبح سلطان زنجبار خلال الفترة من سنة ١٨٧٠إلى ١٨٨٨م، بعد أخيه ماجد بن سعيد. وبرغش وماجد وُلِدَا للسلطان سعيد من أمتين من إمائه، فوالدة برغش حبشية (أنظر كتاب مذكرات أميرة عربية، لسالمة بنت سعيد، ص٢٨٦). وقد ولد سنة ١٨٣٧م، وتوفي يوم ٢٦ من مارس سنة ١٨٨٨م. وكان لبرغش موقف معادٍ لإمامة الإمام عزان بن قيس، مثله في ذلك مثل أخيه تركي بن سعيد، وولده فيصل بن تركي، وبهذا وردت الإشارة في القصيدة بقول الشيخ سعيد: "وكان له تراثا من جدود"، هذه العبارة تحمل كذلك إشارات ضمنية إلى ثورة برغش على أخيه ماجد (مذكرات أميرة عربية ص٢٧٣-٣٠٣)، ومحاولة تركي بن سعيد الاستيلاء على ملك أخيه ثويني بن سعيد، واغتيال سالم بن ثويني لأبيه (مذكرات أميرة عربية ص١٧٣-١٧٤)، وكذلك تخلص أبيهم السيد سعيد بن سلطان من ابن عمه بدر بن سيف بن أحمد. ومن شدة حنق السلطان برغش بن سعيد على الإمام عزان أنه لما بلغه مقتله أمر بإطلاق المدافع مئة طلقة وطلقة فرحا بهذه الحادثة التي أعادت الدولة إلى أخيه تركي بن سعيد. أنظر تحفة الأعيان ج٢، ص٣٠١.

(٢) أمير بني هناة: هو الشيخ هلال بن زاهر الهنائي. شيخ بني شكيل: هو محمد بن علي الشكيلي. الشيخ هلال بن زاهر بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن خميس بن خلف بن مبارك الهنائي من سلالة السيد مالك بن فهم الدوسي الأزدي. عُرِفَ هذا الأمير بالطموح والشجاعة، وطار صيته في البلدان لعزمه وبسالته حتى إنه ابتز قلعة نزوى من يد واليها السيد حمد بن سيف البوسعيدي وبقي بها حاكما أربعة عشر سنة. وخاض غمار حروب صادم فيها الأبطال، وواجه فيها الأهوال، فلم ترده عن طموحه وبغيته. وكان بَنُوه على شاكلته، وهم محمد وبدر وعبدالله وخالد وعلي (أولاده: الإمام غالب بن علي، والزعيم طالب بن علي، والشيخ غصن بن علي. ومن أحفاده المشايخ علي بن زاهر بن غصن، ومحمد بن زاهر بن غصن، والوليد بن زاهر بن غصن الذي أصبح وزيرا في حكومة السلطان قابوس، وعبدالله بن زاهر بن غصن الذي شغل ولده محمد وزير الزراعة ثم وزير العدل، وهو وقت كتابة هذه السطور في منصب مستشار الدولة، ومحمود بن زاهر بن غصن). كان الشيخ هلال من الطموح بحيث أغرته انتصاراته على المنافسين له أن يضم نزوى تحت سيطرته، ولكن قيام دولة الإمام عزان حال دون بلوغه مرامه، فإن الإمام عمل على توحيد عمان تحت سيطرة دولتها، وانتزع ما تحت

فأوثقهم بأصفاد ثقال ... وما كانوا دروا ثقل القيود
وخلَّص منهُمُ بَهْلا وإزكي ... بِها الجبريُّ لم يَرَ من محيد[1]

سيطرة الزعماء المحليين من المدن والقرى، وقطع الطريق على كل طامح منهم. وكان الشيخ هلال أحد الزعماء الذين تأثروا بقضاء الإمامة على نفوذهم، فامتنع عن الإخلاص والنصح لها فقبض عليه الإمام وقيَّده. وقد أورد الشيخ المحقق ذكره في هذا البيت مقترنا ببني شكيل لأنهم كانوا حلفاءه في حروبه. بجانب ذلك كانت للشيخ هلال أعمال ومنجزات عظيمة خلال سيطرته على مدينة نزوى، فإنه عمر الحصون وأجرى الأفلاج وغرس الأشجار فمن الأفلاج أجرى أحد عشر فلجا هي: فلج بلاد سيت، وحيالة العقبة، وفلج وَحْشَا، وفلج الغافات، وفلج النطالة، وفلج العقيصي، وفلج القري، وأجرى بوادي العُلا الفلج الحديث، وحفر بنزوى فلج ضوت المعروف بالقبة. وبنى من الحصون ستة وثلاثين حصنا منها: قلعة السويق بنزوى، وقلعتان بفرق وببلد الغافات، والحصن الغربي، وبيت الزّامه وغيرها. كما أنه غرس من النخيل إحدى وعشرين ألف نخلة منها سبعة آلاف بنزوى، وثمانية آلاف بالغافات، وسبعة آلاف ببلاد سيت. وكانت وفاة الشيخ هلال بن زاهر في نزوى سنة ١٣١٢هـ بالقتل على يد سيف بن حمد البوسعيدي. لمزيد من المعرفة حول هذه الشخصية أنظر كتاب تحفة الأعيان، للإمام نور الدين السالمي ج٢، ص٢٧٤. و كتاب نهضة الأعيان بحرية عمان، للشيخ الشيبة (محمد) بن عبدالله بن حميد السالمي، ص١١٣-١١٨.

(١) لم يَرَ من محيد: لم يجد سبيلا إلى الفرار. بعد أن تم للإمام عزان بن قيس طرد الوهابيين من البريمي واسترجاعه السيطرة عليها، وبعد توطيد الأمن في الظاهرة، بعث سراياه للاستيلاء على ما تبقى من حصون عمان، فقبض حصن بهلا و كان بيد بني غافر و بني شكيل، ثم قبض على إزكي وكانت تحت سيطرة علي بن جبر الجبري، ثم توجه بعد ذلك بنفسه إلى نزوى واستولى على قلعتها، و منها خرج لحرب بني بو علي في جعلان. وكان بنو بو علي اعتنقوا المذهب الوهابي عند أول غزو للوهابيين على عمان (أنظر كتاب تاريخ عمان السياسي للأديب عبدالله بن محمد الطائي، دار فضاءات، عَمَّان، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٤م، ص ١٦٨)، وبسبب ذلك رفضوا الانقياد للدولة العمانية، فسار إليهم الإمام بجيش كبير ونزل في بلاد بني بوحسن، و أرسل إلى أكابر بني بوعلي يخيرهم بين أمرين: أما الطاعة و إلا الحرب، فاضطربوا وشعروا بعجزهم عن المواجهة فانقادوا مذعنين، فأخذ الامام أكابرهم و أكابر من ناصرهم من الهشم و بني راسب و أرسلهم إلى مسقط وزج بهم في قلعة الجلالي. لكنهم تمكنوا من الفرار من السجن بعد أربعة أشهر فقد وضع لهم بعض أعوانهم حبلا في جراب تمر، و في آخر الليل ربطوا الحبل في مدفع و نزلوا به واحدا بعد الآخر، و كانت هناك سفينة شراعية في انتظارهم فركبوا فيها وتوجهوا إلى صور ومنها إلى جعلان. تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٧٤-٢٨٨.

فما منحٌ ولا الفيقين تعصي ... ولا أَدَمٌ[1] لذا الأمر الأكيد
وبيت البِرْكَة[2] البركات حلت ... به فَلْيَهْنَ بالعيش الرغيد
وأصبح سالم منه وماضي ... طريدي نقمة في كل بيد[3]
وقد أتيا سناواً قبل هذا ... وقاما بالسديرة في عديد
وحاول سالم جمعا لِجيشٍ ... من الشرقية الملأ الكنود[4]
وغَرَّته وُعُودٌ من أناسْ ... عِدَاةُ الدين[5] طُلَّابُ النقود
هُمُ خصموا الإله وعاندوه ... وليس لِخصم ربك[6] من مزيد
فلم تغن الْحواضر والبوادي ... ولا صَدَقُوهُ في تلك الوعود
تَكَفَّلَ فيصلٌ بِهما ففرَّا ... ولو وقفا لعادا في اللحود
وحصن سناو أسلم إذ دعاه ... كربّ الْحصن أسلم حين نُودي
وإبراهيم[7] حاصر حصن نزوى ... وقلعتها كطود من حديد

(١) منح ولاية قرب نزوى إلى الجنوب منها، والفيقين بلدة من بلدات منح، وأدم ولاية تقع إلى الجنوب من منح.

(٢) بيت الْبِرْكَة حصن يقع في نيابة بِرْكَةُ الموز، ويعرف أيضا ببيت الرديدة.

(٣) هذا البيت أشكل عليّ في شطره الثاني قول الشيخ المحقق: (طريدَيْ نقمة). وكذلك قوله في البيت التالي (وقد أتيا سناوا قبل هذا) فالشيخ المحقق يتحدث عن شخصين بيد أنه لم يذكر إلا سالما في الشطر الأول وهو قوله: "وأصبح سالم ومنه ماضي". وكذلك قوله في البيت الثالث: "وحاول سالم جمعا لجيش" بعد قوله في البيت الذي قبله: "وقد أتيا سناوا قبل هذا". وسالم هو السلطان سالم بن ثويني. ولعل الرجل الثاني الذي لم يُسَمِّهِ الشيخ المحقق هو والي نزوى حمد بن سيف بن عامر البوسعيدي الذي قصده السلطان سالم طالبا النصرة منه لكنه لم يظفر ببغيته لديه، فتوجه إلى سناو لائذاً بآل وهيبة فآووه لكن الإمام أرسل وراءه ابن عمه في جماعة من الجند ففر السلطان سالم من حمى آل وهيبة.

(٤) الملأ الكنود: الجماعة الجاحدون.

(٥) عِدَاةُ الدين: أعداء الدين.

(٦) في الديوان: وما لخصام ربك.

(٧) هو السيد إبراهيم بن قيس بن عزان شقيق الإمام عزان بن قيس بن عزان، كان والي الرستاق في تلك الفترة، وهو والد السيد أحمد بن إبراهيم بن قيس الذي كان رجل دولة السلطان سعيد بن تيمور.

فأظهرت العُتُوَّ إلى وصول الإما ... ـامِ الْماجد القَـرْمِ الرشيد
فقام لَها الإمـامُ أمَـامَ جيش ... علـى جُـــرْدٍ مُطَهَّـمَـةٍ وقـود
فأذعن ربُّها الطاغي وخلَّى الصيا ... صـي عنـــه للملك الْمجيد
ومـن عَـرَفَ الْحقوقَ لِمالكيها ... ولـم يظلم فـذو رأي سديد
وفي إحدى وعشرين الْجمادى ... الأخيرة فَتْحُ ذا القصر الْمشيد
وإنَّ فتى سليمان الريامي ... سيفا[1] كان ذا بـاس شديد
كريمٌ لا يُشانُ بغير ظلم الْـ ... أرامـل واليتامى والخـرود[2]
فمـا فـي ملكـه إلا مَضيـمٌ ... سليب المال مخدوش الْخدود[3]
فيأخذ أي مـال شـاء غصبا ... بـلا دعـوى عليه ولا شهود
ويقتل من يناوئه اعتداء ... بلا ديـة تساق ولا مَقُـود[4]
أصاب بني خروص بالرَّزايا ... من التشتيت والقتل الْمُبيد
وبيت الرأس[5] هَدَّمَه وأودى ... بِكُتْبِ الشيخ جاعد الوحيد

(١) هو سيف بن سليمان النبهاني رئيس بني ريام دعاه الإمام عزان للدخول في طاعة الدولة فأجاب أولا لكنه عاد ونكث الطاعة وقد تمكن منه الإمام فعامله بما هو أهله. تحفة الأعيان ج٢، ص٢٧٧. وسليمان بن سيف هو جد الشيخ سليمان بن حمير بن ناصر بن سيف بن سليمان النبهاني. ويعرف الزعماء من بني نبهان بالرياميين أيضا وذلك لزعامتهم على قبيلة بني ريام. وإلا فالنباهنة من الأزد والرياميون من قضاعة.

(٢) الخَرُودُ: المرأة البكر التي لم تُمَس.

(٣) مخدوش الخدود: مُهَانٌ في كرامته.

(٤) الدية: الغرامة التي تؤخذ من القاتل غير المتعمد لأهل القتيل. الْمَقُوْدُ: القاتلُ المتعمد يُقَادُ للقصاص. وأصلها من الْقَوَد وهو قتل النفس بالنفس.

(٥) بيت الرأس يقع في قرية العُليا بوادي بني خروص بولاية العوابي، فيه مكتبة العالم الرباني الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى من سلالة الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي، وكانت من أضخم المكتبات العمانية حيث يقال أن محتوياتها بلغت ثمانية آلاف كتاب. ولد الشيخ جاعد سنة ١١٤٧هـ في قرية العليا بولاية العوابي، وتوفي يوم الخميس الثالث من ذي الحجة سنة ١٢٣٧هـ. ترك عددا من المؤلفات في العقيدة والفقه والنحو والبديع والقوافي. جرَّد حياته

فأذْعَنَ للإمام ودانَ قَسْرا ... وها هو في السلاسل والقيود
فحصن تَنُوف[1] لَم يُمنع ولاحصـ ... ـن سيق وهو في الْجبل الكؤود
وبيت سليط أسلمه ولم يُغْـ ... ـن عنه الْمَبْنِيّ من حجر وشيد[2]
وخلَّى الْجامع الْحصن الذي كا ... نَ بيتا للعبادة والسجود
بيوت الظلم قد هدمت جميعا ... تَخر سقوفها فوق الكديد[3]
سوى بيت بسيقٍ قد حماه الْـ ... إمام بعسكر في الطود صيد
لقد قذف الإله الرعب فيهم ... فكاد الطفل يذعر في الْمهود

لله تعالى واشتغل بالرياضة الروحية وأسرار الحروف، له عدد من القصائد في مختلف مجالات الشعر، ومراسلات دينية وأدبية وسياسية مع رجال في داخل عمان وخارجها. لقَّبَه العلماء بالرئيس المدقق، وأشاد بفضله بعض العلماء أشهرهم الإمام السالمي حيث قال عنه: "كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف، واتخذه الناس قدوة في مراشد دينهم ومصالح دنياهم، وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه". تحفة الأعيان، ج٢، ص١٩٢.

(١) حصن تنوف: يقع في بلدة تنوف الواقعة إلى الشمال من مركز مدينة نزوى، وقد بناه الشيخ الوالي محمد بن الصلت الريامي النبهاني في عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي في القرن الحادي عشر الهجري. ولهذا الحصن أهمية أمنية فائقة، فهو ثغر مدينة نزوى من جهتها الشمالية يرابط فيه الحرس ليراقبوا الطريق المؤدي الى نزوى، وقاية لها من أي هجوم مباغت من الأعداء أيام كانت نزوى عاصمة لدولة الإمامة. حصن سيق: يقع في قرية سيق بالجبل الاخضر، على مرتفع يكشف نطاقا واسعا من المنطقة المحيطة به. قام ببنائه الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي في القرن الثاني عشر الهجري، وجعله مقرا لمصيفه. وبعد حكم اليعاربة اتخذه بنو نبهان المتأخرون مقرا لإقامتهم. وهو الآن على حال يُرثى لها ولم تطله يد الترميم كغيره من آثار تلك الحقبة الوارد ذكرها في سياق هذه القصيدة.

(٢) بيت سليط بيت تاريخي في العلاية من مدينة نزوى، وهو حامية للدفاع عن البلاد من جهتها الشمالية، بناه عبدالله بن محمد الكندي في القرن الحادي عشر الهجري. يحتوي الحصن على عدد من الأبراج، والآبار والطرق السرية، وكذلك غرف الضيافة ومصلى. وكان عبدالله بن محمد الكندي كبير أهل سمد نزوى في وقته، وقد أنشأ هذا البيت لنفسه على أرض له يقال لها سليط. السالمي: تحفة الأعيان، ج٢، ص١٧٨. ومن سياق البيت يُفْهَم أن سيف بن سليمان النبهاني كان يحتمي بهذا الحصن كما كان يحتمي بحصن تنوف أيضا. لفظة شيد: بكسر الشين تعني كل ما طلي به الحائط من جِصٍّ أو بلاط.

(٣) بيوت الظلم وردت في الديوان: بشؤم الظلم. الكَدِيْدُ: التراب الناعم إذا وُطئ ثار غباره.

كفاك البأسَ منهم حر بأسٍ ... رأوه في خصومك والنديد[1]
وقد علموا جلادك من قديم ... فما كانوا عليه بالْجليد[2]
وما تركوا مصاعا[3] قد أطاقوا ... ولا جنحوا إلى سلم بجود
ولكن أغرقتهم قطرة من ... بِحار منك في الْهيجاء سود
أدام اللّٰه نصرك يا ابن قيس ... عليهم في السهولة والنجود[4]
فإنك سيفه تبري عِدَاه ... وتحمي دينه من كل سِيْدِ[5]
بك الدنيا قد ابتهجت وطابت ... بك الأيام يا سعد السعود

* * * * *

(١) النَّدِيدُ: النَّدُّ، وهو المثل والنظير.

(٢) جلادك: صبرك. الجليد: الصبور.

(٣) وما تركوا: وردت في الديوان: ولا تركوا. مَصَاعا: قتالا. ماصَعَ: قاتل وجالد.

(٤) هذا الشطر ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (عليهم في السهول وفي النجود). وفي الديوان والمخطوطة يجيئ بعد هذا البيت البيت التالي:

وأمْكَنَ منهم وقضى لك ... الله بالتمكين والفتح الحميد

(٥) السَّيْدُ: الذئب.

(٢) الأقدار

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثاني عشر، وقُدّمَ لها في مخطوطة الديوان بالمقدمة التالية: "وله أيضا رحمه الله تعالى هذه القصيدة قصة مستوفاة في سيرة الإمام عزان رحمه الله تعالى إلى البريمي وقد خلصها من أيدي الجبابرة الأزارقة".

سَعِدَ الزمانُ وأسْعَدَ الْمقدارُ ... وعلت لأربـاب العلى الأقـدارُ
وتَجلت الظلماء عن فلق الْهُدى ... من بعد ما ظلم البغاة وجاروا
شَقِيَتْ عمان بأهل نَجْدٍ برهةً ... يتلاعبون بِها على ما اختاروا
واستوطنوامنهاالبريْمي[1] معقلا ... تنحط دون عُلُوِّهِ الأقمار
حفرتخنادقهعلىالقصر[2] الذي ... في وَصْفِهِ تتحير الأفكار
فإذا نظرت إلى رفيع عماده ... جاءتك حسرى دونها الأبصار
فكأنه في صنعه سَدٌّ على ... يأجوج لم يُنْقَبْ ولا ينهار
رفعت له عُمُدٌ بساحة جنة ... تَجري به من تَحتها الأنْهار
وتَحُفُّهُ زهر الرياض تَكَنَّفَتْ ... ها الباسقات النخل والأشجار

(١) البريمي: مدينة عمانية قديمة كان اسمها: توام، وهي مركز إقليمها المعروف قديما بالجو. وهي إلى الشمال الغربي من مدينة صحار. تحفة الأعيان ج٢، ص٢٧١.

(٢) المراد بالقصر حصن الخندق الواقع بمركز مدينة البريمي. وقد عرف بهذا الاسم نسبة إلى الخندق الكبير الذي حفر حول محيطه عند إنشائه لمنع وصول الأعداء إليه. وقديما كان الحصن محاطا بجنائن النخيل التي تخللها الأفلاج. وأورد الإمام السالمي تفاصيل المواجهة التي قادها الإمام عزان على الوهابية المتحصنين بحصن الخندق في البريمي. أنظر تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٧٢-٢٧٣.

قطنَ السديريُّ[1] الأميرُ خلاله ... وعليه تاج مهابة ووقار
أسَدٌ براثنه الرماح وغيله ... بيض الصفاح وقُوْتُهُ الأنهار[2]
ومقانب الْخيل[3] العتاق حياله ... من وطئها بالصخر تذكي النار

(١) السديري هو قائد الغزو الوهابي النجدي لعمان، وسيذكره الشيخ سعيد في البيت ٢٨ من هذه القصيدة باسمه: "تركي بن أحمد". وأنه أصيب من أنصاره العمانيين في المواجهة بينه وبين جيش الدولة العمانية. وفي اليت الرابع والأربعين سيرد ذكره بلقبه السديري واسم أبيه أحمد. وقد جاء تركي السديري خلفا للقائد مطلق بن محمد المطيري الذي قاد الغزو الوهابي على عمان زمن السيد سعيد بن سلطان بناء على ما ذكره الإمام السالمي: "ومن جملة الأحوال الواقعة في زمانه قدوم مطلق بن محمد المطيرى من قبل سعود بن عبدالعزيز الوهابي جاء إلى عمان بالجيوش بواسطة الغافرية من أهل الظاهرة وأهل جعلان ... فقدم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف فكان قدومه على عمان عذابا واصبا". السالمي: تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٠٦. استدراك على قول الشيخ السالمي أعلاه: "سعود بن عبدالعزيز" فهو يعني الملك السعودي المعروف بـ(سعود الكبير) الذي كان عهده في بداية القرن التاسع عشر الميلادي فهو غير الملك سعود بن عبدالعزير الذي كان ملك السعودية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي من سنة ١٩٥٣م، إلى سنة ١٩٦٤م. وللتوضيح حول قدوم مطلق المطيري فإن محمد بن ناصر الجبري خال السيد سعيد بن سلطان ظهرت منه بوادر طمع في ملك عمان عرفها منه السيد سعيد فابتدره قبل أن يستفحل خطره فاعتقله وسار به إلى المدن التي قبض حصونها وهي بدبد وسرور وسمائل فاستلمها السيد سعيد بأمر من محمد بن ناصر الجبري لرجاله بأن يسلموها لرجال السيد سعيد.ثم إن زوجة محمد بن ناصر توسلت بالسيدة موزرة بنت الإمام أحمد بن سعيد عمة السيد سعيد بن سلطان فقبل السيد سعيد إطلاق سراح الجبري بشرط أن يقيم في بركاء أو في مسقط فاختار الجبري بركاء وطلب مهلة عشرة أيام يذهب فيها إلى سمائل لتأدية ما بحوزته من أمانات الناس، لكنه اتجه من سمائل إلى الظاهرة ومنها إلى الدرعية عاصمة الوهابية بنجد وكان ذلك سنة ١٢٢٨هـ مستنصرا بسعود بن عبدالعزيز الكبير لمقاتلة السيد سعيد بن سلطان فلبى الملك السعودي طلبه وأرسل معه جيشا بقيادة مطلق المطيري وذلك إضافة إلى القوات السعودية المرابطة في البريمي. لمزيد من تفاصيل وقائع تلك الحقبة، أنظر كتاب تحفة الأعيان للإمام نور الدين السالمي، ج٢، ص٢٠٩. وكتاب: تاريخ عمان السياسي لعبدالله الطائي ص ١٢٩-١٦٩.

(٢) الغيل: موضع الأسد. قُوْتُهُ الأنهار: كناية عن كثرة الزاد، وقد شهر عن النجديين الغزاة بأنهم يشترون الذمم بالأموال.

(٣) مقانب الخيل: جمع مِقْنَب والمقنب الجماعة من الفرسان دون المائة تجتمع للغارة.

تُرخي أعنتها الكماةُ ووطؤها ... مَـرْجٌ بنقع فوقهن مُثار[1]
وكتائب لو لم تكن طالت على ... شم الجبال[2] لقيل هن بِحار
فغدا على الكرسيّ يشبه تُبَّعاً ... في عرش بلقيسٍ لهُ استكبار
أحكامه تَجري على ما يشتهي ... جوراً وعسفاً ليس منه يُجار
كم حيز من مال وكم من قرية ... بَادَتْ وكم ظلمت به أنهار
أسْعِدْ بذي مالٍ تُقَبِّلَ مالُهُ ... منه إذا أنْجاه عنه فرار
وله فنون البطش فيهم والأذى ... قتلٌ وضربٌ فاحشٌ وأسَار
فهم به في ذلة ومهانة ... ضُربت عليهم جِزْيَةٌ وصَغَار
ما سَرَّ أهل السر ما منه لقوا ... والظلم لَم تعمر عليه دار[3]
ذَلَّتْ لَهُ أمْلاكُهَا لَمَّا رأت ... أنَّ الوقائع خفة وخسار
وجرى له حكمِ العزيز عليهم ... إذْ غيَّروا حكم الإله وجاروا
ومتى أراد اللّه يَنْفُذُ أمرُهُ ... فيهم وربُّكَ فاعلٌ مُختار
شَكَتِ البلادُ إلى الإمام العدل عـ ... ـزَّانِ بن قيسٍ وهو نعم الْجار
فدعا المهيمنَ واستغاث بنصره ... واللّه نعم الناصر القهَّار
واعْتَدَّ للحرب الزبون[4] جنودَها ... بسياسة لَم تثنه الأقدار
فأصاب تركيَّ بنَ أحمدَ ضربةً ... من كفِّ قومٍ هم له أنصار
قطعت رقابُهُمُ بأيدي بعضهم ... فَلْيَعْتَبِر قومٌ لَهم أنصار
ودعا الْجنودَ إلى الْجهاد إمامُنا ... فمضى وسار الْجحفل الْجَرَّار
جيش يضيق به الفضاء تظله ... مثل السحائب فوقه الأطيار

(١) المَرَجُ: الفتنة والمشكلة والاضطراب. ومَرَجٌ بنقع: اضطراب وفزع بسبب نقع البنادق فوق ظهور الخيل.
(٢) طالت: ارتفعت.
(٣) ورد في مخطوطة الديوان بعد هذا البيت بيت هو:
ساقت عمانُ خراجها قسراً له ... وبهم هوانُ مذلة وجؤارُ
(٤) الحرب الزبون: تَزْبِنُ الحربُ الناسَ تصدمهم.

والخيل تعقد فوقه من نقعها ... أمـــواجُ ليـــلٍ ما لَـهُـــنَّ نهار
وترى الأسِنَّةَ فيه تلمع والظبا ... كنجوم رَمْـيٍ وقْعُـهـا مـدرار
فأتى على وادي الجزي مُتَيَمِّما ... بالْجيش لا فشل ولا إخـتار[1]
فـإذا الْمـوارد أودعـوها كلّها ... سُـمًّا فأمْحـلـهـا وهُـنَّ غـزار
فنحا الإمامُ عن الطريق إلى بني ... كـعـبٍ وهـم حـزبٌ لـه أشـرار
فاتى إلى صعرى دعا فيمن دعا ... والسيف صلت في يديه نار[2]
دُهِشَتْ بنوكعب[3] برؤية جيشه ... قبل القتال وما بذلك عار

(١) إختارُ: من أَخْتَرَ اللبن جعله غليظا لم يُذبْه. وهي هنا في مورد نفي التردد والتحير، أخذا من المثل السائر: (ما يدري أيُخْتِر أم يُذيب) وهو مثل يُضرب للمتحير المتردد. واللفظة وردت في الديوان: (ختَّارُ). والختار: الظالم الغدَّار الناقض لعهده. وادي الجزي: يقع في ولاية صحار الواقعة إلى الشمال من مسقط على مبعدة ٢٣٤كم، وهو من المناطق ذات الأثر الحضاري في عمان، حيث يرد ذكره في علاقة عمان بالعراق زمن السومريين الذين كانوا يستوردون النحاس العماني. وكان وادي الجزي إحدى مناطق إنتاج النحاس في عمان، فبالإضافة إلى مستوطنة المَيْسَر (مصدر يُسْر وهو الغنى والثراء) قرب سمد الشأن بولاية المضيبي، وموقع ضم بولاية عبري، فإن وادي الجزي عرف بمناجمه التي لا تزال قائمة حتى اليوم مثل الأصيل وعرجا والبيضاء والسياب وطوي عبيلة والواسط. وقد زار كاتب هذه السطور منجم الأصيل وهبط إلى عمقه برفقة سعيد بن أحمد الشنفري وزير النفط والمعادن في عقد الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي. ملاحظة: بلدة الْمَيْسَر تم تغيير اسمها إلى اليُسْر من قبل جلالة السلطان قابوس بن سعيد.

(٢) صعرى إحدى قرى مركز ولاية البريمي.

(٣) بنو كعب قبيلة عمانية عربية عريقة تتألف من مجموعة عشائر مثل النعامين والمكاتيم وآل مزاحم وغيرهم لكنهم جميعا يلتحفون بالنسب الكعبي الذي يرجعه النسابون إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. مركز سكناهم في عمان ولاية محضة، شارك بعض رجالهم في بعض الأحداث التي شهدتها المنطقة خلال النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين مثل الشيخ عبد الواحد بن سعيد بن عبدالله آل نعمان الكعبي، والشيخ عبيد بن جمعه آل مزاحم الكعبي وغيرهما. ويُذْكَرُ أنَّ عشيرة النعامين في بني كعب هم من بني النعمان سكان ولاية المضيبي، وقد نزحوا في القديم إلى محضة وأصبحوا ينتسبون: ابن النعمان الكعبي، ذكر لي ذلك نقلا عنهم فضيلة القاضي الشيخ أحمد بن ناصر بن حميد الراشدي الذي عمل قاضيا في ولاية محضة، حيث زار عشيرة ابن النعمان في محلة سكناهم وسألهم عن نسبهم هذا فأفادوه بما تقدم. وكذلك أخبرني بهذا الرائد علي بن عبيد بن برهوم الكعبي أحد أعيان محضة وقال إنَّ من مشاهيرهم الشاعر الذائع الصيت كنيدش بن النعمان الكعبي.

قد أبصروا منه مقاما هائلا ... تَجري لديه بالْحِمَام بِحار
طلبوا الأمان وواجهوه بذلة ... وخضوعهم عزٌّ لَهم ويسار
بذلوا الْحصون وأصبحوا من جنده ... قسْراً فسار إلى العدو وسارو
فأتى البريْمي دار مَملكة العدى ... بعمان لا عَزَّتْ لهم أنصار
ولأهل نجدٍ في رباها مَنْعَةٌ ... وهم الحماةُ بهم يَعِزُّ الجار
فيها السديري بن أحمد حاكم ... ذَلَّتْ لَهُ البلدان والأنصار
لماَّ رأوا جيشَ الإمام ورايةَ ... الإسلام فَرُّوا عن لقاه وحاروا
خانتهم الخيل الجياد ولم تطل ... تلك الرماح إلى الوغى إذ خارو[1]
فتحصنوا[2] بالقصر لَمَّا عاينوا ... بحراً طَمَا وتلاطمَ التيار
وجنودُ رب العرش محدقةٌ بِهم ... وعليهمُ الكأسُ الْمنون تُدار
فرما بِهم بِمدافع لو صادفت ... شُمَّ الْجبال لَدُكَّتِ الأحجار[3]
إن التحصن ليس يمنع من سطا ... مَلِكٌ له نَصْرُ الإله شعار
طلبوا الأمان من الإمام ورأيُهُ ... أنَّ الذي طلب الأمان يجار
قبض الْحصون وأطلق الأسرا ور ... دّ مظالِماً طالت بها الأعصار
ومضى لأرض السِّر[4] يحيي سنة الْ ... إسلام فيها الأمر والانكار
فَجَرَتْ بِها الأحكام بعد دروسه ... وعَلا بها للدين منه منار
ثم انثنى منها إلى أوطانه ... والْمسلمون لَهُم به استبشار
فتلألأت فيها قَسَامَة وجهه ... وتشعشعت من نورها الأنوار
وأفاض فيها من مواهب كفه ... وَدْقاً أُوَالي[5] الطل منه غزار

(١) هذا الشطر ورد في مخطوطة الديوان هكذا: "تلك الرماح لديهمُ إذ خاروا".
(٢) في مخطوطة الديوان: فتحصنوا بالحصن.
(٣) في مخطوطة الديوا: صُمَّ الجبال.
(٤) أرض السر وصف لولاية عبري وما جاورها من ولايات منطقة الظاهرة.
(٥) أُوَالي: جمع المؤنث لكلمة: أُوْلَى.

وجرى بأمر الله يُنْفِذُ أمره ... ولكل جبار بذاك بوار
نصر الشريعة حافظا لِحدودها ... ولقد حماها سيفه البتار
فالله يشكر فعله ويمده ... بقوىً ومنه النصر والأنصار
هاك القريض مضمنا ما قد جرى ... من سيرة سارت بها الأخيار
نظما كشعر جاء لا من شاعر ... ومديحكم كفلت به الأشعار
حُمِلْتُ عليه غِيرَةً اذ لم أجد ... من قد حكاه والمحب يغار

* * * * *

(٣) أباة الضيم

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الحادي عشر، وقدم لها في المخطوطة بالسطر التالي: "وبعد فهذه مقالة إنما هي عجالة سنحت في هذه البارحة في القصة الواقعة على نفعا التي هي عن الخير شاسعة"

شؤون العين سُحًّا بانسجام ... على نَفْعَا[١] وأهليها الكرام
عَهِدتُهُمُ غيوثا في البرايا ... ليوثا في الجحافل والقتام[٢]
صناديداً يتيحون الْمنايا ... بِشُهْبٍ من بنادق أو سهام
يُضِيْمُونَ[٣] العِدَاةَ بكل أرضٍ ... أباةُ الضيم آساد الْتِحَام
لهم بلد يرد الطرف عنها ... حسيرا من كلال أو سآم[٤]
مُسَوَّرَةً بأجْبَالٍ عليها ... قلاع فوق هاتيك الأكام
ويَحميها السيابيون قوم ... قساورة[٥] مَخالِبُها دوامي
تَحُفُّ بِهم عصائبُ من نِزَارٍ[٦] ... كتائبُ لا تَفِرُّ لدى الْخصام

(١) شؤونُ العين: دَمْعُها. نَفْعَا: مَرَّ التعريف بها في حاشية سابقة. شؤونُ العين: دَمْعُها. نَفْعَا: مَرَّ التعريف بها في حاشية سابقة.

(٢) القَتَامُ: الغبار الأسود، والمقصود هنا غبار الحرب. يقال: ارتفع القتامُ، حتى خَفِيَت الأعلام.

(٣) يضيمون: من ضام خصمه يضيمه ضيما إذا قهره وأذله، وتأتي كذلك بمعنى الظلم.

(٤) الكلال: العجز، وعدم القدرة. والسأم مصدر سئم وهو الملال والضجر.

(٥) سبق التعريف بالسيابيين في حاشية سابقة. القساورة: جمع قسور وهو الأسد.

(٦) نزار: يريد الشيخ المحقق بالاسم نزار الإشارة إلى الحلف القبلي الغافري الذي هَبَّ لمناصرة السيابيين لكونهم من نفس هذا الحلف الذي تأسس بسبب الصراع على الحكم في آخر عهد الأسرة اليعربية بين الأمير يعرب بن بلعرب اليعربي والأمير بلعرب بن ناصر اليعربي. وأحدث انقساما بين القوى المحلية آنذاك، فانحاز شيخ بني غافر محمد بن ناصر الغافري بقوته القبلية إلى الأمير يعرب بن بلعرب، وانحاز شيخ بني هناءة بن مالك خلف بن مبارك الهنائي بقوته القبلية إلى الأمير بلعرب بن ناصر، ودارت بين الطرفين مواجهات غاية في العنف، كانت الغلبة في جميعها لمحمد بن ناصر الغافري الذي استطاع أن يصل إلى سدة الحكم في محرم سنة

نـــدابـــي ورحـــــبـي وأشـيـــا عهم والْجابـري وكـل حـامـي[1]
ومـن نَخـل وأهـل الطّو رهطا ومن أهل النزار أولوا ضرام[2]

١١٣٧هـ؛ لكن خلف بن مبارك لم يقر له بذلك، فقاد ثورات عليه كان آخرها المواجهة التي دارت بينهما في مدينة صحار وأسفرت عن قتلهما معا يوم الثاني من شعبان سنة ١١٤٠هـ. الغافريون من نزار بن معد بن عدنان. والهنائيون من الأزد بن كهلان بن قحطان. الظاهرة الملحوظة في هذين الحلفين أنهما لم ينشئا بباعث من تحزب عرقي لعيصيهما، بل بسبب خلاف في الرأي حول الأحق بمنصب إمامة الدولة من رجال الأسرة اليعربية الحاكمة آنئذ؛ وهو خلاف مثيل للخلاف الذي نشب بين مراكز القوى زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧-٢٧٢هـ). وكلا الحلفين كان يضم قبائل قحطانية وعدنانية. بمعنى أن الحلف الهنائي لم يكن حكرا على القبائل القحطانية وكذلك الحلف الغافري لم يكن حكرا على القبائل النزارية. وفي هذا دلالة على أن العصبية التي نشأت عن الحلفين لم تكن عصبية عرقية بل عصبية رأي. يدل على ذلك أيضا أن رئاسة الحلف الغافري النزاري آلت إلى بني نبهان وهم من العتيك من الأزد القحطانية. وآلت رئاسة الحلف الهنائي القحطاني إلى رجل من الغافرية النزارية هو الأمير صالح بن علي المياحي الغافري القرشي النزاري نسبا، الحارثي اليحمدي الأزدي القحطاني حلفا ومشيخة. بهذه المعرفة يتأكد القول بأن الحلفين الهنائي والغافري لم ينشئا عن عصبية عرقية بل عن خلاف في الرأي السياسي. بمعنى أنهما حزبان تكتل كل منهما حول رؤية سياسية مغايرة لرؤية الأخر. حول تفاصيل المعرفة عن هذين الحلفين أنظر: أنظر كتاب تحفة الاعيان للإمام السالمي، الجزء الثاني ص ١٢٥-١٧٧. وموسوعة التاريخ الإسلامي، مجلد العصر العثماني، الدكتور مفيد الزيدي، دار أسامة، عمَّان الأردن، ٢٠٠٩م، ص ٨٠-٨٢.

(١) النداببون قحطانيون من الأزد، والرحبيون قحطانيون من همدان، والجابريون نزاريون من ذبيان، وجميعهم يسكنون بولاية سمائل.

(٢) نَخُل: إحدى ولايات محافظة جنوب الباطنة. تقع على السفح الشمالي لسلسلة جبال الحجر الغربي، ويبعد مركز المدينة عن محافظة مسقط بمسافة ١٣٢ كم. الطو: قرية من قرى ولاية نخل، وتبعد عن مركز الولاية بمسافة ٣٠كم تقريبا. وكانت الطو تعرف في القديم باسم عش الباز، ربما لوقوعها بين سلسلة عالية من جبال صماء، ولم يكن من سبيل للوصول إليها إلا من خلال تجويف بين جبالها. النزار: قرية تاريخية من قرى ولاية إزكي تبعد عن العاصمة مسقط بمسافة ١٢٠كم. وتسمية هذه القرية تؤكد المعلومة التاريخية بأن إزكي أسسها السيد الزعيم مالك بن فهم الدوسي الأزدي قبل الإسلام، عندما وفد من اليمن إلى عمان ليحررها من الفرس، حيث اتخذ من إزكي معسكرا لجيشه الذي تكوَّن من رجال قبائل الأزد القحطانية التي

يشبون الْحروب ولَم يبالوا ... بَحل كان ذلك أو حرام
فكم قطعوا الطريق وكم دم قد ... أراقوه اعتداءً فهو هام
وما كانت محرمة نفوسا ... أذاقتها مغافصة الْحِمَام[1]
ولماً أن أراد الله يقضي ... قضاء فيهمُ بالإنتقام
أقام لَهم ليدعوهم إليه ... ويرشدهم إلى دار السلام
إِمامَ العصر عزانَ بْنَ قيسِ ابْنَ ... عزان بن قيس بن الإمام
دعاهم دعوة لله يرجو ... بِها رضوان ربهم السلام
إلى حكم الشريعة قد دعاهم ... وأَخْذِ الحق منهم بالتمام
وأَمَّنَهُم عوادي كل جورٍ ... ومكرٍ في الْحكومة والْخصام
فقالوا لا ندين ولا نُحاكم[2] ... إلى غير الكفاح والأصطدام
ولا نرضى بشرع غير سيف ... يُفَلِّقُ للأذلة كل هام
ولا ندري إماماً غير جيشٍ ... تضل به القَطَا سُبُلَ المَوَامي[3]
وحُكْمُ الشرع منبوذٌ لدينا ... ومهجورٌ إلى يوم القيام
ولم نفعل سوى ما قد لفَيْنَا ... وأُوْرِثْنا لآباءٍ كرام
أسود يفرسون[4] الأسد قهراً ... وينتهبون أموال الطعام

وفدت معه وجعل معسكرهم في موضع سُمّيَ اليمن، ومن رجال قبائل نزار العدنانية الموجودة في عمان وجعل معسكرهم في موضع سمي باسم أبيهم نزار، وذلك قبل خروجه بجيشه العربي من ولاية إزكي متجها به صوب ولاية بهلا الواقعة إلى الغرب من ولاية نزوى ليدير منازلته العظيمة مع المحتلين الفرس في موضع سَلُوت بالقرب من قرية بِسْيَاء. والقريتان النزار واليمن لا زالتا قائمتان في إزكي حتى اليوم. ومن الدلائل التاريخية الشاهدة كذلك أن مالك بن فهم أمر رجاله بشق فلج في قرية النزار تلبية لحاجة الجيش من الماء، ولا زال ذلك الفلج يعرف الى اليوم بفلج مالك.

(١) مُغَافَصَةً الحِمام: مفاجأة الموت.

(٢) في الديوان والمخطوطة: (فقال الغافرية لا نحاكم).

(٣) القطا جنس من الطير. المَوَامي: جمع مَوْماء وهي المفازةُ الواسِعَةُ.

(٤) يفرسون: يلتهمون. الطعام: لعلها الطغام (بالغين المنقوطة) بمعنى ضعفاء الناس.

وما في أرضنا حكمٌ علينا ... فَيَلْزَمُنا انْقِيادٌ للإمام
ونَحن الأكثرون إذا حملنا ... ونَحن أولوا الْمَعالي والذمام
وفينا السيفُ مسلولا على ابْـ ... ـنِ جَبْرٍ والعصائب من ريام
كتائبُ جُمِّعَتْ من كل أرضٍ ... جيوشا قد أعِدَّتْ للزحام[1]
تحدثهم بِمُلك الأرض قسراً ... نفوسٌ رَوْمُها أعلا مرام[2]
وَمَنَّتْهُمْ جُمُوعٌ كالرَّواسي ... بِنَيْلِ مطالبٍ لَهُمُ عظام
تخَالُ بهم هناك جيوش كسرى ... مُعَبَّأة لبهرام الْهمام[3]
وقصدهم اقتحام الحرب حتى ... لهم في مسقط أعلا مقام[4]

(١) الشطر الثاني من هذا البيت ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (جيوش عبَّؤوها للزحام).

(٢) رَوْمُهَا: طلبُها. المَرَامُ: المطلب.

(٣) كسرى: لقب بمعنى الملك. بهرام: تنقل كتب التاريخ العربية عن المؤرخين الفرس أن بهرام جور هو من أشهر ملوك الفرس، وأن والده يزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠م) عهد به إلى الملك أبي قابوس النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي أحد أشهر ملوك الحيرة اللخميين، ليؤدبه ويعلمه، وأن النعمان خصص له عددا من المعلمين في مختلف الفنون التي يحتاجها ابن ملك، فنشأ بهرام جور متقنا اللغة العربية حتى كأنه من أهلها وصار يقرض بها الشعر، كما أتقن الفروسية، والمبارزة الحربية، وتشرب بصفات النبل العربي، وغير ذلك. أنظر الدكتور إبراهيم عبدالله الضحيان: البيئة الأدبية في الحيرة في ظلال دولة المناذرة، بدون تاريخ ودار نشر، ص٨١-٨٢). وبعد وفاة أبيه جلس على سدة العرش الفارسي فحكم بالعدل، وقاد حملات واسعة انتصر فيها على الهنود والروم والترك. ولهذا وصفه الشيخ سعيد بالهمام. تغنى عدد من أدباء الفرس بسيرة هذا الملك ومنهم الكنجوي الذي نظم قصيدة مطولة في سيرة بهرام جور، موثقا لمرحلة صباه التي قضاها في قصر الخورنق بالحيرة.

(٤) مدينة مسقط تطل على بحر عمان. وكانت في القديم يفد إليها المبحرون ليتزودا بالمياه العذبة، لكنها تحولت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي إلى عاصمة لعمان بعد أن اختارها الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس الدولة البوسعيدية. وفي عهد السلطان قابوس بن سعيد البوسعيدي حفيد الإمام أحمد بلغت مسقط شأنا من النمو العمراني والتطور الحضاري مالم تبلغه طيلة عهودها السابقة، فهي اليوم عاصمة سياسية وإدارية، ومركز المال والأعمال. واختيارها عاصمة للبلاد جاء بناء على الأهمية الفائقة لموقعها الجغرافي، فهي نافذة عمان المشرعة على ضفتي المحيط الهندي والعالم.

وكم من قبلهم غَـرَّت أناسـاً ... نُفُوسُهُـمُ فسيقتْ لـلـزؤام[1]
ولَما أنِ تناهى البغي منهم ... ولـم تُجْـدِ النصائح بالكلام
دعـا اللّه الإمـامُ ومـن لديه ... يـمدهـم بنصر منـه سامي
أَلَحُّوا في الدعا واستفتحوه ... على أعدائه الفُجْرِ اللئام[2]
وقاموا في اجتهاد واحتساب[3] ... وقد صدقوا العزائم في القيام
فوافتهم جنـود اللّه تسعى ... إليهـم بالكتـائب من حِـمام
بأيديهم لـواء النصر فيه ... سطور الرعب خُطَّتْ باحتكام
وفي قُرْب السعادي نَحو فنجا[4] ... التقى الجمعان ضربا بالْحسام
فكان السيف عدلا في قضاه ... وأرضـى اللّه في هـذا الْمقام
أبادهـم فهم صرعى وقتلى ... وبَـاءُوْا بين ذُلٍّ وانْـهـزام[5]
تَجَلَّـوْا عـن ديارهـم وَوَلَّـوْا ... ولـم تكن القـلاع لَهُم تُحَامي
فأبـراج الْمُلَيّنَـةِ العوالي ... كـأبـراجٍ بِعَمْقَاتٍ سَـوَامي[6]
فَمَا أغْنَتْ وقد تُرِكَتْ هواءً ... وآذَنَ سُـمْكُهـا بـالانْهـدام
فصار الْجيش ملتجئاً بِنَفْعَا ... وفيـه كـل صنـديدٍ مُحامي
فناصحهم إمـام الدين جهرا ... فلم يُصْغُوا إلـى ذاك الكلام

(١) في الديوان والمخطوطة: فساقت للحمام. وليس كما هنا. والحمام الموت، وكذلك الزؤام الموت السريع الكريه.

(٢) الفُجْرُ: جمع فاجر.

(٣) هذا الشطر ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (وقاموا في اجتهادهم احتسابا).

(٤) السعادي: قرية من قرى ولاية بدبد، وكذلك فنجا التي تبعد عن مسقط بمسافة ١٨ كيلو مترا باتجاه الجنوب الغربي. ويظهر أن فنجا من المستوطنات البشرية القديمة جدا في عمان حيث عثر المنقبون من جامعة السلطان قابوس على أوان تعود لعصور تاريخية سحيقة كما تم العثور على هياكل ديناصورات متحجرة منقرضة.

(٥) هذا الشطر ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (وباء الغافرية بانهزام).

(٦) المُلَيْنَة والعَمْقَات من قرى ولاية بدبد مجاورة لقريتي فنجا والسعادي. سوامي: عاليات، أي مُمْتَنِعَاتُ.

وقد قال الصواب فلم يطيعوا ... وقادوا الحرب طوع الاقتحام[1]
فَعَبَّأَ جيشَه وسَطَا عليهم ... بسيفٍ صَبَّ من موتٍ زؤام
ولاقتهم جيوش لا تُبالي ... بصابٍ قد تَحَسَّت أو مُدام[2]
فكان بجيش أهل البغي منهم ... صواعق الانتقام والاصطدام
فما أجْدَتْهُمُ نَفْعَاءُ نَفْعاً ... ولا حَصَّنَتْهُمُ من كل رام
وقد جَرَتْ الدماءُ بها وسالت ... على الوهدات منها والهضام[3]
وكانت قبل ذا رجسا فأضحى ... طهارتها النجيع من الأثام
تَغَذَّتْ من لُحُومِهُمُ سباعُ الْـ ... ـفلا ودَمًا يُرَوّي كل ضامي[4]
وكانت بالعمارة مقفرات ... ربوعهم كشمس في ظلام
فأضْحَتْ بالتَّخَرُّب عامرات ... وكم بالبغي يوضع كل سامي
وقد هُدِمَتْ مصانِعُهُم وخَرَّتْ ... قلاعهم كتقويض الْخيام
وقبل الْحَجِّ كان الْحَجُّ فيهم ... بشوالٍ بأسعد كل عام
هُمُ الْجَمَرَاتُ تُرْمَى بالمنايا ... وتُهْدَمُ بالمجانيق العِظَام
ونَفْعَاهُمْ مِنًى مِنْ [5] كل فَجٍّ ... دماؤُهُمُ بِها أضحت هوامي

(١) هذا الشطر ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (وإن القول ما قالت حِذامُ). وهو من بيت قاله لجيم بن مصعب تصديقا لمقالة قالتها زوجته حِذامُ بنت الريان في قصة تاريخية حكتها كتب التاريخ والأدب القديم. ونص البيت:

إذا قالت حِذامُ فصدقوها ... فإن القول ما قالت حِذامُ

لكن قافية الميم المضموم في هذا الشطر لا تستقيم مع قافية الميم المكسور في قصيدة الشيخ المحقق.

(٢) الصَّابُ: شجرٌ مُرٌّ به عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة إذا أصابت العين أتلفتها. المُدام: الخمر.

(٣) الوَهْدَاتُ: المواضع المنخفضة. الهِضامُ: جمع الهَضْم والهِضْم وهي المواضع المستوية وقيل بطن الوادي. وتجمع على أهضام كما في لسان العرب.

(٤) ضامي: هكذا وَرَدَتْ في الديوان، ووردت في المخطوطة: ضامِ. وهي بهذا الرسم من ضامَ خصمه إذا قهره. وربما الأصح: ظامئ، من الظمأ وهو العطش.

(٥) في الديوان والمخطوطة: (ونفعاهم منى في...).

وكان الثَّجُّ خيرُ الْحَجِّ فيها ... وما عرفاتها غير اختِرام[1]
فكم قد ضاع مِنْ طفلٍ صغيرٍ ... ومِنْ شيخٍ ورَبَّاتِ اللِّثام
ولَم يُحص الذي قد حل فيهم ... سوى ربٍّ تنزه عن ملام
وسَلْ أرْجَا سمايل[2] عن فِعَالِ الْـ ... إمامِ تُجِبْ وبَحرُ الشرِّ طامي
أطاعَتْهُ العلاية والرواحي[3] ... فآبوا بالسلامة في اغتنام
وسَلْ حُجَرَ[4] السفالة ما دهاها ... وأبراجاً بِها مثل الْغمام
لقد جَرَّ البُغَاةُ لَها وبالا ... وكانت في جلالٍ واحترام
فعامَلَهَا الأمامُ بما استحقت ... لِنَقْضِ العهد منها والذمام[5]
فَغِيْلَةُ دَكِّهِمْ دُكَّتْ وفيها ... بِحُجْرَةِ غبرة[6] آيُ اهْتِضام
وأهل الدَّنّ[7] منها في اكتئاب ... على هدم القلاع وفي اهتمام

(١) الاخترام: الهلاك.

(٢) سمائل: مدينة عمانية تاريخية شهيرة، تقع في وسط عمان تبعد عن حد مدينة مسقط بمساقة ٣٥ كيلو مترا تقريبا. هي أول مدينة عربية دخلها الإسلام خارج نطاق المدينة المنورة. منها الصحابي مازن بن غضوبة السعدي الطائي الذي توجه إلى المدينة المنورة في السنوات الأولى من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه، وعاد داعيا للإسلام في عمان. اشتهرت سمائل كذلك بأنها معهد من معاهد العلم والادب. خرج منها عبر القرون عباهل الرجال وفطاحل العلماء وعباقرة الأدباء.

(٣) العلاية: موضع في مركز ولاية سمائل يضم عددا من القرى والحارات الواقعة عند منبع الماء ويقابلها موضع السفالة (ذكرها الشيخ في البيت التالي) الذي يضم عددا من القرى والحارات الواقعة عند نهايات سقي الماء. والرواحي: قصد به شمول قرى وادي بني رواحة الذين يتفيئون جانبا كبيرا من سمائل.

(٤) حُجَر: جمع حُجْرة وتعني الحارة تضم عددا من البيوت.

(٥) الشطر الثاني من هذا البيت ورد في الديوان والمخطوطة هكذا: (وما للغافرية من ذمام).

(٦) غيل الدَّك، والغبرة محلتان في سمائل.

(٧) الدَّنُ: محلة تقع في سفالة سمائل.

وأبـراج الْخوابير[1] اسْتَعَدَّت ... لِتَهْلُكَـةٍ فَـقِيْـدَتْ بالـزمـام
ولا يَحمى سِتَالاً[2] من تَحَامَتْ ... بـه مـن رب طيـش مُسْتَضَام
ومـا سَـرَّتْ سُـرُوْرٌ إذ دعـاها ... لِهدم بروجها فوق الـرجـام[3]
وكـم سَعَلَتْ سعالٌ[4] في بكاء ... لِهـدم الـبـرج مثـل الابتسـام
وبُـرجُ الْمُلْتقى[5] ماذا يلاقـى ... بِهم إذ خَـرَّبُـوْهُ من اغْتِمام
وما عيشُ اللُّجَيْلَةِ ذاقَ بَرْدا ... ولا أجفـانُ هِيْـلٍ في منـام[6]
غنائم نقمةٍ قُسِمَتْ عليهم ... فَعَـمَّتْ كـل شيـخ أو غُـلام
أَبَـوْا عـن حكم مولاهم فآبوا ... بسطوتِهِ أذَلّ من النّعَام[7]
غَـدَتْ رؤسـاؤُهـم من بعد عِزٍّ ... تَعَثّرُ في القيود ولا تُحامي
أرادوا أخْـذَ مسقط عُنْوةً قَبْـ ... ـبل أن دُهِمُوا بِذَا الْجيش اللهام[8]
فَحَلُّـوْا حيثما كانوا تَمَنَّوْا ... من الكيتان والصِّيَرِ الْحوامي[9]

(١) يعني الشيخ بأبراج الخوابير محلة الخوبار بسمائل، وقد أوردها بصيغة الجمع باعتبار القبائل التي تسكنها حيث تعرف حارة كل قبيلة فيها باسم القبيلة فيقال مثلا: خوبار بني حرَّاص، وخوبار المجالبة، وهكذا...

(٢) ستال: محلة تقع وسط سمائل وهي المدخل إلى منطقة السفالة .كان بها مسكن الأمير محمد بن ناصر الجبري أحد أمراء حلف الغافرية الذي نعته الشيخ بـ (رَبّ طيش مستضام). وعبارة (رَبّ طيش) وردت في الديوان والمخطوطة: (من غافري).

(٣) سرور: قرية من قرى سمائل تقع إلى الشرق منها. لفظة (لهدم) وردت في الديوان والمخطوطة: (لنقض).

(٤) سعال: قرية من قرى بدبد.

(٥) الملتقى: قرية من قرى سمائل.

(٦) اللُّجَيْلَة وهيل قريتان من قرى وسط سمائل.

(٧) ورد في الديوان والمخطوطة بعد هذا البيت بيت هو:

وأضـحـوا في حبـائـل ذي اقـتـدار ... أسـارى مـثـل أفـراخ الحـمـام

(٨) ورد في الديوان والمخطوطة بعد هذا البيت بيت هو:

فـجـاءوا مسـقـطـا وبـهـم وجـيـبٌ ... لأكـبـال وأغـلال جـسـام

(٩) الكيتان: جمع كوت، والمتعارف عليه أنه السجن. الصِّيَر: مفردُها صِيْر، وتعني المنزل، المكان. وبإضافتها إلى الحوامي يكون معناها الأماكن المنيعة.

فكانت منية وغَدَتْ نكالا ... وبعض الشّرّ يُطْفَأُ بالضّرام
كذاكَ اللّه يجزي من عصاه ... وَبَالَ البغي من خِزْيٍ وسَام[1]
أقول لكل ذي عقلٍ ولُبٍّ ... ودين في ربا الإخلاص نامي[2]
وأهلُ عمان أدعوهم جميعا ... وكلَّ مُوَحِّدٍ بَطَلٍ همام
إلى نصر الإله وأن يكونوا ... متى يُدْعَوْنَ أنْصَار الإمام
وإنْ لَم يسمعوا قولي ويَرْعَوْا ... فسوف يرونَ عاقبةَ الْملام
فما هذا هَنَاوِيٌّ بِمُغْنٍ ... ولا يشفى الغليل من الأوام[3]
لئن لَم تنصروا الرحمن صُبَّتْ ... عليكم نقمة من ذي انْتِقام
تصيروا عِبْرَةً في الأرض تَهْمِي ... بأنفسكم صَوَارِمَةُ الْهوامي[4]
فما أنتم بأمن العفو أولى ... ولا أنتم أحَقّ بالاحتشام
وإن تبتم إلى الْمولى وأُبْتُمْ ... تُلَقَّوْا بالتَّحِيَّة والسلام
فما في الدين هذا غافريٌّ ... ولا فيه هَنَاوِيٌّ يرامي
وما نقم الأِمامُ على مطيعٍ ... ولكنْ أهْلَ بَغْيٍ واجْتِرَام
أطَاعَ اللّه فيهم إذ عصوه ... وحُكْمُ اللّه ذاك على الدوام
وإنَّ الْخلق كلهم سواء ... لديه في انتقام واحْترام
ومن يطع الإله يُثِبْهُ فضلا ... وللعاصين أعظمَ الاخْترام
وينفذ حُكْمُ رب العرش فينا ... ويهدينا إلى دار السلام

---

(١) السَّامُ: الموت.

(٢) ربا الإخلاص: قد تكون رُبَا جمع رُبوة وهو ما ارتفع من الأرض فيكون معنى رُبَا الإخلاص أي أعلى درجاته. وقد تكون رَبَا بمعنى التربية، أي أن المتوجه إليه بالخطاب رَبَا في أسرة نَشَأته على الإخلاص التام في الدين.

(٣) الأوَامُ: حرارة العطش في الجوف.

(٤) صَوَارِمَةُ: سيوفه. الهوامي: من همى الماء إذا سال، وكذلك المقاتل يهمي على عدوه بالموت.

(٤) حماية الدين

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثالث عشر. وقُدّمَ لها في مخطوطة الديوان بالقول التالي: "وله أيضا رحمة الله عليه هذه القصيدة قصة مستوفاة في سيرة الإمام رحمه الله تعالى إلى جعلان بني بوعلي، وقد أجاد فيها".

أَظْهَـرَ اللّه العدلَ والإحسانا ... وأَعَـزَّ الإسـلامَ والإيْمـانا
وحَمَى الدين بالائمَّة إذ تَنْـ ... ـشُرُ فينا الأحـكام والأديانا
وأَذَلَّ العـداة إذ خالفوا الحـ ... ـق وأمُّـوا الضلال والعصيانا
كَبَني بوعلي[1] الغُلْب لما اسـ ... ـتكبروا في نفوسهم طغيانا
حسبوا أنَّ سَيْحَ جعلان يحمى ... ويُـوقـى مـذلـة وهـوانا

(١) بنو بو علي يقيمون في ولاية جعلان من المنطقة الشرقية بعمان. استقبلوا وناصروا الغزاة الوهابيين ثم اعتنقوا مذهبهم، ورفع شيخهم علم آل سعود في جعلان حسبما ذكره المؤرخون لتلك الحقبة مثل المؤرخ الأديب الأستاذ عبدالله الطائي في كتابه تاريخ عمان السياسي. وأدَّى تمردهم إلى التأثير على سيادة الدولة، فَعَرَّضوا أنفسهم وجماعتهم لغضبة سلاطين وأئمة الدولة العمانية كالسلطان ثويني بن سعيد (١٨٥٦-١٨٦٦م)، الذي جرَّد جيشا كبيرا بقيادته لقمع تمردهم وإيوائهم للغزاة الذين ولوا هاربين فور سماعهم نبأ تحرك الجيش العماني، وكذلك فعل الإمام عزان بن قيس البوسعيدي (١٢٨٥-١٢٨٧هـ/١٨٦٨-١٨٧١م)، الذي توثق هذه القصيدة وثبته عليهم لإخضاعهم لسلطة الدولة (لمزيد من تفاصيل تاريخ بني بوعلي مع الدولة العمانية أنظر كتاب: تاريخ عمان السياسي لعبدالله الطائي ص ١٢٩-١٦٩). وبنو بوعلي من صميم العرب العمانيين، وفيهم من الشمائل ما ذكرها الشيخ سعيد بن خلفان في قصيدته هذه بما لا مزيد على قوله فيهم رضي الله عنه وأرضاه. وسمعت شخصيا من العالم الفقيه الشيخ سعيد بن خلف الخروصي المساعد السابق للمفتي العام للسلطنة رحمه الله تعالى في إحدى زياراتي له بمنزله بالوادي الكبير أنَّ بيت المشيخة في بني بو علي هو من قبيلة الصلوت المنحدرين من صلب الإمام الصلت بن مالك الخروصي رضي الله عنه، وهذه المعرفة ذكرها كذلك العالم الفقيه المؤرخ النسابة الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص ١٥٧.

فَبَنَوْهُ مَصَانِعًا وحصونا ... وقلاعا وأحكموا السيرانا[1]
وبخُضْر السيوف من قبلها قد ... حصَّنوها وأتقنوا البنيانا[2]
وتنادوا لحربه في جموع ... عُوِّدَتْ أن تُشِبَّ حربا عَوَانا[3]
لهم في الوغى منازل صدق ... جعلوها لمجدهم أركانا
من يبارزهم يلاق الْمنايا ... يفترسن الكماة والشجعانا
زعموا أن ذاك دين وفرض ... وجهاد أرْضُوا به الرحمانا
لا يَفِرُّونَ والفرار حرام ... لا رَعَى اللّٰه من يَفِرُّ جبانا
ويرون القتيل منهم شهيدا ... في سبيل الإله يأوي الجنانا[4]
أثقل الأرض حمله فترى الأجْـ ... ـبالَ من خيفةٍ تخف وزانا
وعليه من القتام سماء ... أوليس السماء كانت دخانا

(١) السيرانُ: جمع سور وهو حائط يقام لصد هجوم الأعداء.

(٢) هكذا ورد هذا الشطر هنا وفي المخطوطة، أما في الديوان فقد ورد بسقوط كلمة (من) هكذا: (وبخضر السيوف قبلها قد).

(٣) حربٌ عَوَانٌ: قوتل فيها مرة بعد أخرى.

(٤) يوجد هنا سقط لـ ٢٨ بيتا موقعها بين هذا البيت والذي يليه، وهي مثبتة في الديوان والمخطوطة، وقد أثبتها هنا نقلا من المخطوطة، وهذه هي:

ولقد غرَّهم بأن ملوك الْـ ... أرض من قبلُ لم تَدُسْ جعلانا
فاتقوا الله يا بني بوعلي ... وأطيعوا إمامكم عزَّانا
وذروا عنكم الْمفاسدَ والبغيَ ... وذاك الإصرار والكُفرانا
قبل تغشاكم جيوش إمام ... دينُهُ الْحق يُبْطل الأديانا
وكراماته لقد ظهرت فيكم ... وشاهدتم سِرَّهُنَّ عيانا
إذ أردْتُم أن تنصروا سالِما أمس ... عليه في مسقطٍ عُدوانا
فرُمِيْتُم من الْمُهيمن بالطا ... عون فيكم من دون أهل عمانا
ثم ما زال الرجز فيكم إلى أن ... أُخِذَتْ مسقطٌ وذو الملك دانا
وبيوم افتتاحها ارتفع الرجـ ... ـز، ونلتم من الوبال أمانا
وكفى آية ومعجزة أن ... لو فقِهْتُمْ من شأنه ما كانا
آيةٌ أعجَزتْ ملوك البرايا ... وأرت للأئمة البرهانا

نَتَقَتْهُ عن الْجياد رياح النـ ـصر إذ هبَّت الرياحُ أوانا
فترى الْخيلَ منه حالكة الألْـ ـوان إذْ أُلبِسَتْ به ألوانا
في بياض من ذلك الزَّرَد المنْـ ـسوج يغشى الوجوه والأبدانا
زينتها مثل البروق مواض فوقها حين أشعلت نيرانا
بأكُفٍّ بسطن نفعا وضرا فتراهُنَّ فيهما طوفانا
لرجال شَنُّوا الإغارة في الأعـ ـداء تَحوي الْمُشاة والركبانا
عُوِّدُوا الحربَ واطمأنوا إليها وأعَدُّوا لهم بِها أوطانا

ضَبْطُهُ الجيشَ في الحروب من النهـ ـب وما كانوا عُوّدُا الحرمانا
دخلوا مسقطاً ومطرح من قبْـ ـل وبركا والحق فيهنَّ بانا
هل سمعتم بدرهم أو بدينا رٍ مع الجيش للرعية خانا
علموا عدله فخلوا بلا حا مٍ سواه اللجين والعقيانا
عفَّ عن قدرة وأمسك أيدي الجيش حتى لم يستطع من خانا
حميَّة المال في الجيوش من الصعب ولكن كلُّ صعب هانا
أم سمعتم لولا التقى بِجيوش يَحتمون الأموال والولدانا
لم يهابوا الْمَنونَ والْموت صابٌ ويهابون الظلم والعدوانا
يبذلون النفوس لله كلٌّ يلتقي حمامه جذلانا
قد أراكم ذو العرش في الأفق الآ يات نصرا لدينه وأرانا
ورأيتم إذلالَ كل عدوٍّ قد تمادى في غيه وتوانا
وافتتاح البلدان من غير حربٍ وانقياد الأملاك تلقى الهوانا
ثُم لَم تَرْعَوُوا إلى أن أراكم آية فيهم قضاها الآنا
بإمام وافى بجيش لهام من كرام كانوا له أعوانا
ملأ السهل والجبال وسد الْـ أفق شرقا ومغربا فرسانا
ينزل العصم من ذراها ولا تبـ ـلغ فيه وحوشها الكثبانا
لجبٌ كلما تَسَمَّعْت منه هرجا قلت اسمعوا كيوانا

نَكَبُوا الخيلَ عن بَـدِيَّـة[1] شرقا ... عـامـدات دار الـعـدى جعلانا
بشعار التوحيد في كل فَجٍّ ... سُـوِّمَتْ ثـم أعـلـنـت أعـلانا
هاديات إلى الرشاد إذ السنـ ... ـة قـد يَتَّبِعْـنَ والقـرآنـا
تنصر الله والرسـول ودين ... الله فيها وتبسط المِيزانا
وتـريـح العبـاد مـن كـل ظلم ... وتـزيـح الضـلال والبهتانا
بالإمـام الْمُـؤيـدِ العدلِ عَـزَّا ... نِ بن قيس الْمُنازل الأقرانا[2]
دهشـتـهـم جيـوشـه فتلقو ... هُـ أذلاَّءَ يطلبُـون الأمـانـا
خذلتهم قـواهـم رَهَـبـًا والـر ... عـبُ غشَّى على القلوب الرانا
فتناسوا أديانهم واعتقادا ... أتـقـنـوه مـن ديـنـهـم إتـقـانا

(١) ولاية بَـدِيَّـة تقع في المنطقة الشرقية من عمان. هي موطن قبيلة الحجريين، عرب أخيار أبرار، نسبهم الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ١٢٣ إلى الحجر بن عمران بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن الضمر بن مازن بن الأزد، في حين ذهب الشيخ العلامة ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي في قصيدته النونية إلى أنهم من كندة، وذلك في قوله رحمه الله تعالى:

وأيـن أولاد عيسى والحفاظ لهم ... نجـدٌ ضـراغـم أوَّاهـونَ رُهـبـانُ
صـميـم كنـدة حـي الملـك مـن يمن ... عهدي بهم للهدى حصنٌ وإيـوانُ

وقد وصفهم بأولاد عيسى، الوصفُ المعروف للحجريين. ولربما يكون رأي الشيخ السيابي رحمه الله هو الأشبه بالصواب وفق نظريته التي يستعين بها في الاهتداء إلى تحقيق النسب، إذ إنه ينسب القبيلة غير المحقق نسبها وفقا للعيص السائد في منطقة إقامة القبيلة، وبناء على هذا الأساس فإن ولاية بدية تجاورها من الشمال ولاية القابل وهي مركز شهير لليحمد بطن كبير من الأزد بعمان، مثلما هي مركز شهير للمساكرة الذين هم من أزد العتيك من سلالة الأسود بن عمران بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن الضمر بن مازن بن الأزد (إسعاف الأعيان ص ١٢٢). فعلى هذا النسب يكونون هم والمساكرة أبناء عم. ومع ذلك فلا يمكن الجزم بدقة نتائج نظرية العيص السائد. والله أعلم بالصواب. جدير بالذكر هنا أن الحجريين كانوا هدفا للغزو الوهابي، لكنهم كانوا من الشجاعة بحيث هزموا الغزاة وقتلوا قائدهم مطلق المطيري عام ١٨١٣م، وقبره معروف ببلدة الواصل من بدية.

(٢) لفظة المنازل وردت في مخطوطة الديوان: تنازل.

واستحبوا حياتهم ونسوا ما ... قد أعَـــدُّوهُ للجهاد زمانا
وتجافى الجَنَانُ عن وَقَعَاتٍ ... صوروها لكي ينالوا الْجِنَانا
لا يُلامون فالسيوف بعدلٍ ... حُكِّمَت قبل أن يذوقوا السنانا
قتلتهم رعبا وقادهم أسـ ... ـرى كموتى لم يلبسوا أكفانا
قد تَخلَّوْا عن دارهم لمليكٍ ... ذى اقتدارٍ وخلَّفُوا النسوانا
لم يُحاموا عن الْحقائق [1] عجزا ... وعَذِيْرِيْ ممن يُضَيِّعُ الحسانا
فحماها الإمام بالباتر العضب ... وأولاها الْمَنَّ والإحسانا
قد حماها عن السباء فما رَوّ ... عَ ذُرِّيَـــةً ولا عُبْـــدَانا
وقضى في حصونهم بِخراب ... بعدما كانت الْحصون حَصَانا
لا تسلْ عن قلاعهم كيف بالبا ... روت قد أصبحت تشق العنانا
فهي مثل الجبال سُيِّرْنَ تَسْيَا ... رَ غَمَامٍ ثم انْبَثَثْنَ دخانا
وتَحَلَّى بالقيد كل أميرٍ ... منهم مالياً بهم أسجانا
وبنو راسب وناس من الهشـ ... ـم جميعا قد أودِعُوا الكيتانا
ذاك حكم الإله فيكم وسرُّ الـ ... ـله لما لم يذعنوا إذعانا
علم الله عجزكم عن قتال ... لإمام أعْلى له الله شانا
حاكما داعيا إلى الله يدعو ... لرشاد ويُوضح التبيانا [2]
فأطيعوا إمامكم واتقوا الله ... وكونوا على الهدى أعوانا [3]
كان هذا والحمد لله في عا ... م غفور بالنصف من شعبانا
أنا لا أستطيع شعرا ولكن ... لَم أجد من أجاد هذا البيانا
فحكيت الذي جرى غيرة مني ... لِصِيت قد عطَّرَ الأزمانا
ما تعرضت للمديح ولاكنـ ... ـت بصيرا بمدحه أحيانا

(١) في لسان العرب، مادة حقق: حقيقة الرجل ما يلزمه حفظه ومَنْعُهُ ويحق عليه الدفاع عنه من أهل بيته، وجمعها الحقائق.

(٢) لفظة (حاكما) وردت في مخطوطة الديوان: جاءكم.

(٣) لفظة (أعوانا) وردت في مخطوطة الديوان: إخوانا.

ثالثا : قصائد إفتائية واجتماعية

(١) ضبط الصواع[١]

وردت في الديوان في الترتيب التاسع عشر. وفي المخطوطة قُدِّمَ لها بالقول: وله أيضا رحمه الله في وزن الصاع الشرعي.

من شاء تَحرير الصواع وضبطه ... بالقرش وزنا باعتبارٍ فاش[٢]
سبعون قرشا بعدهن ثلاثة ... منها ومثقال بحب الْمَاش[٣]
والفرض زده من قروش تسعة ... أيضا ومثقالا بلا اسْتِيْحَاش[٤]
فيتمِ مثقالان مع قرشين مُكَـ ... ـمِّلَةً ثمانين من الأقراش
والله فاشكره على نشر الهدى ... منه وكُنْ لله ربك خاشي[٥]

* * * * *

(١) الصواع والصاع واحد وهو هنا بمعنى المكيال.

(٢) القرش عملة فضية متداولة في عمان حتى عام ١٩٧٠م. فاش: منتشر، مشتهر، ظاهر، ذائع، شائع.

(٣) الماش: نبات له حُبيب أخضر مُدَوّر أصغر من الحمص ينبت بالشام والهند، وهو من المآكل المعروفة في عمان يطبخ غالبا مع الأرز.

(٤) استيحاش: مصدر استوحش.

(٥) خاشي: فاعل من خَشِيَ.

(٢) أحكام الطُّرُق

جاءت هذه النتفة في الترتيب العشرين في الديوان. وفي المخطوطة قُدِّمَ لها بالقول: وله أيضا رحمه الله في أحكام الطرق. وفيها يذكر الشيخ بأن حق الطريق التي تشق بين جنائن النخل أن تكون سعتها ثلاثة أذرع، وللطرق التي تكون بين البيوت أربعة أذرع، ومن ستة أذرع إلى ثمانية حق الطريق الموصل بين بلدة وأخرى وهو ما كان يعرف بالطريق الجايز.

طريقُ المال قد ذَرَعُوا ثلاثا ... وأربعُ أذرُعٍ طُرْقُ البيوتِ
وطُرْقُ التابعين كنصف هذي ... وبعضٌ بالثلاث لَهُنّ يؤتي
وسِتٌّ أو بسبعٍ أو ثَمانٍ ... جوايز طُرْقِهم فافْهَمْ نعوتي

* * * * *

(٣) الدعاء يرد القضاء

جواب الشيخ سعيد على سؤال ورد إليه من الشيخ خميس بن سليم الأزكوي حول الحديث النبوي "لا يرد القضاء إلا الدعاء" وأورده محقق الديوان في الترتيب ٢٢. أما السؤال فأورده دون رقم تسلسلي[١].

هذا جواب قصير الباع والقدم ... عن حل مشكل أسرار الحديث عمي
ما حلَّ سائلُهُ يوما بساحته ... إلا لفقدان أهل العلم والحِكَم
إذْ أصبحَ الناسُ من فرْط الغَباوَةِ قد ... يسْتَسْمِنُونَ بلا شَحْمٍ أخا وَرَمِ
إنَّ القضاءَ على ضَرْبين قدَّرَهُ ... رَبُّ السماوات مولى بارئُ النَّسَمِ
فمنه ما هو حَتْمٌ لا مَرَدَّ له ... كالْموت للأجل الْمعدود في القِدَمِ
ومنه هُوَ يقضيه ويعلَمُهُ ... أنْ لا يكون لأسباب بِهِنَّ حُمي
منها الدُّعَاءُ وسَمَّاهُ النبيُّ له ... رَدًّا مَجَازاً بحَسْبِ الظاهر الأَمَمِ
كقوم يونُسَ لَمَّا آمنوا كُشِفَ الْـ ... ـعذابُ وهْوَ قضاء كونُهُ بِهِمِ
لكنه رُدَّ بالإيمانِ حين دعوا ... من بعد ما عاينوه موضح النقمِ
ولا يُوَفَّقُ للبرِّ الْمُشار له ... إلا أخو العمر الْممدود في القسم
فهي الأمارة جاءت بالبشارة لـ ... ـمعنى يزيد ولا نقصٌ لِمُخترم
فافْهَمْ هُدِيتَ لأسرار الْحديث فلا ... إشكالَ في الحق عند الْحاذق الفَهِمِ

---

(١) قال الشيخ خميس بن سليم الأزكوي في سؤاله:

يا شيخيَ الزاكيَ الأفعال والشيم ... ومن غدا في الورى ناراً على علَمِ
غيرَ الْخليليَّ ما أعني بذا أحداً ... فهو القمين بمدحي يا أولي الكرمِ
فأوضحاً لي فحوى قول سيدنا ... محمدٍ قال وهو الصادق الكلم
ما إن يَرُدّ القضا إلا الدعاءُ ولا ... يزيدُ في العُمْر إلا البرُّ فانْتَظِم
هذا الحديثُ وأرجو كشْفَهُ لأرى ... كُنْهَ الْمُراد وتَمَّ الآن مُنْتَظَمِ

(٤) نية المؤمن

جوابٌ على سؤال من الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي[١] أورده محقق الديوان في الترتيب الثالث والعشرين

قُولا لجمعة إني قاصر الْهمم ... عن صوغ عقد قوافي الشعر والنَّغَم
لكن لي نية في الخير أجمَعِه ... قَدَّمْتُها قبلَ ما أبديه من خَدَمي
في العلم والحلم والتقوى وفي ورع ... الجهاد والحج معْ وصل لذي رحمِ
ونيتي كلُّ ما يُرْضي الإله عليّ ... أتَـمّ عهدٍ وفـيّ العهد والذمم
أنْ أملأ الأرضَ عدلا واللسانَ ثنا ... والقلبَ شُكراً لذي الآلاء والنعم
مستعملا كلَّ عضوٍ كلَّ آونَـةٍ ... فيما لتكليفه أُخْرِجْتُ من عَدَم
لكن طباعي عن هذا تضيق فلا ... تقوى على فعل ما في نيتي هِمَمي
والله يَجزي على النيات يشكرها ... كما يُجازي على الأعمال بالقيَم
قال النبيُّ : يَرَى العبدُ التقيُّ له ... يوم القيامة أعمالا بهن حُمِي
يقولُ يارَبُّ لَمْ أعملْ يُقَالُ له ... هذا الذي كنت قد تضنْويه فاغتنم
فنية الْمؤمنين الآن أوسع من ... أعمالهم فهْيَ خيرٌ فاسْتفِدْ حِكَمي
وثانيا فهْيَ روحُ الفعل أجْمعه ... وإنْ خلا عملٌ منها فلم يقُم
وربَّما جُـرّدَت عنه فكان لها ... حظٌّ يُثيبُ عليه بارئُ النَّسَم

---

(١) الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي أحد الفقهاء في عصر الشيخ سعيد بن خلفان، ونص سؤاله ورد في الديوان دون رقم تسلسلي:

ما قول سيدنا العلامة العلم ... بَحرُ الندى والْهدى والعلْم والكرم
الفيصل الممفضل اللَّدُ (كذا) البلاغة قد ... أتته منقادةٌ تسعى على قدم
سعيد خلفان من ريّا سجيته ... في الشرق والغرب مسكٌ غير مُكْتَتَم
فيما أتى عن رسول الله مستندا ... من نية المؤمنين الطاهري الشيم
خيرٌ لهم من لدى (كذا) يبدون من عمل ... أوضِحْ لنا لحنه كشفا بلا غمَم

وثالثا أنَّ أعمالَ القلوب لها ... فضلٌ على عمل الأجسام لَم يُرَمِ
ورابعا فهْيَ سرٌّ لا يُكَدّرُها ... ما كان يُحبِطُ أعمالَ الورى بِهِمِ
من أجل هذي الْمزايا في الحديث ... أتى تفصيلُها وكفى للناظر الفَهِمِ

* * * * *

(٥) إليك يا ربّ

القصيدة التالية وردت في الديوان في الترتيب الثامن والثلاثين

إليكَ يـاربُّ قد وجهت حاجـاتي ... وجـئتُ بـابَـكَ يـاربـي برغبـاتي
أنتَ العليمُ بما يضحْوي الضـميرُ به ... يا عالم السر علام الخفيات
سهّل أمـوري ويسّرها بِمُنْقَلَبٍ ... بعد الممات إلـى روضاتِ جناتِ
وسّعْ بفضلك لي رزقا أعيشُ به ... يا قاسم الرزق من فوق السماوات
لا تأخُذَنّي بذنبٍ أنـتَ تعلمُـهُ ... واغفـر بفضـلك ياربي خطيئاتي
اقض الحوائج لي ربي فلست أرى ... سـواكَ يا ربّ من قاضٍ لحاجـاتي
يا خالقَ الخلق يا من لا شريكَ له ... اسمَعْ دُعَـائي ويسّـرْ لي مهمّـاتي
يا من تعـالى فلا وصْفٌ يحيط به ... للواصفين ولا مـدحُ البريات
ثم الصلاة على المختار من مضرٍ ... محمدِ المصطفى نورُ الهداياتِ

* * * * *

(٦) أهل الدين

القصيدة التالية وردت في الديوان في الترتيب التاسع والثلاثين

أنحى الزمانُ على أهيل الدين ... وغـدى ضـلالاً فيهمُ يؤذيني
يا دهرُ عمداً كان ذلك أم خطأ ... أم ذاكَ فعل دعايةٍ ومُجون
أمْ كنتَ تطلبُ منهمُ دَخَلاً لما ... أحيوا من المفروض والمسنون
شُلّتْ يدُ الأيام تقطعُ حبل من ... أمِرَتْ له بالوصل والتّمكين
فاحكم بحق الرب وافتح بيننا ... فتحا وبين عِدَاةِ هذا الدين[1]

* * * * *

(١) عند هذه القصيدة تنتهي في هذا الديوان (الخيال الوافر) قصائد العلامة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان. على أنه لا يزال في ديوانه عدد من القصائد بعد هذه القصيدة واحدة في رقية الأفاعي، والثانية في تأليف أسماء الصرع، والثالثة في ترتيب استخراج الأسماء من الوفق الثلاثي وغيرها مما نقله محقق الديوان الأستاذ عادل المطاعني من غير المخطوطة الأم. وكلها تدور في فلك الأغراض الفقهية والتعليمية والعلاجية. وقد امتنعت عن نقلها اكتفاءً بما أثبته هنا من بعض المقطعات المتصلة بتلك الأغراض. ومعتذرا بمقصد أمير البيان الذي لم يورد في ديوانه هذا (الخيال الوافر) شيئا من شعر جده المتعلق بالأسئلة والأجوبة الفقهية والأشعار التعليمية والعلاجية وأمثالها، إذ كل القصائد التي أوردها ترتبط بالشعر في موضوعاته الشعرية والسلوكية والتاريخية، وهي قصائد لها قيمة أدبية وعلمية تحقق غايته من جمعها في ديوان واحد مع قصائد جده المباشر عبدالله بن سعيد وقصائد جده لأمه أحمد بن سعيد، وما أضافه من قصائده.

(٧) ناب الزمان[١]

النتفة التالية وردت في الديوان في الترتيب السادس والثلاثين

من خافَ ناب الزمان وعَضِّهِ فليدع رب العرش خالق أرضِه[٢]
في كل يوم منه تأتي رحمة تُغْنِيْكَ عن دَيْنِ البخيل وقرضِه

(٨) الدراهم[٣]

جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب السابع والثلاثين.

إن الدراهم في مَواطِنَ ربما تكسوا الْمَذَلَّةَ والصَّغَارَ رجالا
في فقر موسى ما تراه مهلكا أموال قارون فكانت آلا[٤]
فَلَكَمْ غنيّ قد غدت أمواله تجني عليه مذلةً ونكالا
ولكم فقيرٍ سالمٍ في فقره لَم يخش حادثةً ولا زلزالا
والحقُّ أن غصون مالٍ لم تكنْ لِلّهِ تُثْمرُ حسرة ووبالا

---

(١) اطلع الشيخ سعيد بن خلفان رحمه الله تعالى على البيتين التاليين:

من خاف من ناب الزمان وعضه فليزرع القت النضير بأرضه
في كل شهر منه تأتي غلة تغنيك عن دين البخيل وقرضه

فعقَّب عليهما بالبيتين أعلاه.

(٢) لفظة (ناب) وردت في مخطوطة الديوان: نُوَب.

(٣) قال الشيخ سعيد هذه الأبيات معارضا بها قول أحد الشعراء:

إن الدراهم في المواطن كلها تكسوا الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

(٤) آلا: آل الشيء مآلا نقص. وآيلٌ إلى الزوال: يوشك أن يزول.

(٩) أوفاق السعد للمسافر[١]

تَـوَقَّ إذا سافرتَ أنْ كنتَ تتقي ... جهـات بـأيـام أتـتْ عـن مُـنَـمّـقِ
فبالأحد احْـذر مغربا كَعَروبة ... وبالسبت والإثنين دَعْ كلّ مشرق
ومثل الثلثا الأربـعـا في شمالها ... وجانب جنوبا بالخميس تُوَفّقِ

(١٠) سعد الشهور ونحسها

في الشهر يومان نحسٌ رُتّبَتْ كَلِما ... خذها مُجارِيةً عدَّ الشهور معكْ
بأحْرُفٍ ضمنَ سَمْطٍ مُفْرَدٍ جُمِعَتْ ... للفصل في وسْطِهِنَّ الواوُ تظهرُ لكْ
د و هى و ديـوك و ١٥ وهـى ١ود ... ايوبى جودووطووح بوه ووك[٢]
في كل شهر رووا يوما به نحسا ... خـذهـا مفصلة والـواو فيصلها
بأحرفٍ ضمن سمطٍ مفردٍ جُمعت ... يُنبيكَ عن عدّها المعروف جُمّلُها
بي ووا ود و ح و دك وب وبي جك ... ودك وح وحـط وح تـمَّ مُجْمَلُها

* * * * *

(١) وردت هذه النتفة في الديوان في الترتيب الرابع والثلاثين.

(٢) أورد محقق الديوان هذه القطعة في الترتيب الخامس والثلاثين. ويوجد هناك شرح لدلالة هذه الحروف، وقد تعذر عليَّ نقله.

(١١) القهوة

القطعة التالية وردت في الديوان في الترتيب الحادي والعشرين، وهي جواب لسائل سأله عن القهوة

هاك الجواب بإيضاح وتبيان ... في قهوة البن قد وافى بإعلان
حِلٌّ لشاربِها لا إثْم يتبعها ... كمثل ماء قراح سلسل هاني
وافاك مني جوابٌ طيبٌ سلس ... أحكمتُ عُقدتَه صنْعاً بإتْقان
رويتُهُ عن شيوخٍ سادةٍ غُررٍ ... سادوا العبادَ بأحكامٍ وأدْيان

(١٢) السيل العرم[1]

لسيل مجتاحا لِمَكَّة طالبا ... فطهرها واجتاج منها الأباطيلا
قصد الضر الشنيع وإنَّما ... أراد من الركن المعظم تقبيلا
يقولون أرخ كَوْنَهُ قلتُ فاكتبوا ... سمعتُ بأن الْماء لاقى القناديلا

* * * * *

(١) هذه المقطعة لم ترد في الديوان. ويظهر نقص في الشطر الأول من البيت الأول ولعل الصواب: (أتى السيل...). وكذلك الشطر الأول من البيت الثاني، ولعل صوابه: (فما قصد...).

(١٣) العرمرم

هذه القصيدة وردت في الديوان في الترتيب ٢٨. وهي توثيق لسيل وقع بمكة، وتاريخ حدوثه ذكره الشيخ ضمنا في الشطر الثاني من البيت الأخير، واستخراجه يجتاج لعارف بحساب الجمل.

لقد حَجَّ بيت الله سيل عرمرم ... وطاف كما طاف الحجيج وسلموا
تشــوَّقَ للبيت العتيق ومكة ... فجاء كما يأتي المشوقُ الْمُتَيَّمُ
وقبّل منه الركن والْحجر الذي ... تسامى فحياه الْحطيم وزمزم
فلا تعجبوا إن عاد بَحرا فإنه ... تعاظم قــدرا مثل ما يتعظم
وما كان مُجتاحا ولا مفسدا لها ... ولكن به من رحمة الله أنعم
يطهر أوســاخ البقاع مقدسا ... لما مسَّه منها عَصِيٌّ ومُجرم
كما بفناء البيت والحجر اغتدت ... تُطَهِّرُ أوساخ الذنوب وتَحسم
فلله مــن أرضــن مقدسة به ... وتاريْخــه حــيًّا غمــام مسلم

* * * * *

(١٤) آية

وردت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب التاسع والعشرين. وهي توثق لسيل مكة أيضا.

قد سمعنا ما لم يكن مذكورا ... آيـة تَـمْـلأ الْـمَـسـامع نـورا
ذرفت أعين السحايب من خشـ ... ـية رب السماء دمعا غزيرا
سكبته مـاء ولـو أنـها اسْطَا ... عت لأجرت من الدماء بحورا[1]
عجبا هَـزَّ عِطْفَـهُ وهـو الرَّ ... جاف والْجفن منه أضحى يسيرا
أقلقـتـه مَخَافـة اللّٰه حتى ... حلَّ بطحاء مكة مستجيرا
أدْرَكَـتْـهُ عنـايـةٌ أوْرَدَتْـهُ ... حـرم اللّٰه بيته المعمورا
يطلب العفو والأمـان من اللّٰه ... وكـان الْـمولى سميعا بصيرا
عقد الـنـذر بـالـطواف فقل تا ... ريخه ناجى السيلُ، وفَّى النذورا

* * * * *

(١) أثبت محقق الديوان بعد هذا البيت بيتا قال إنه لم يرد في المخطوطة الأم، وهو كذلك، وإنما ورد في النسختين ١، و٣، والبيت هو:

فـأتـى سـيـلـهـا وفي الـقـلـب منه ... خـفـقـانُ تـظـنُّـه مـذعـورا

(١٥) حكمة دوائية

وردت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثالث والثلاثين، وقُدّمَ لها بالسطر التالي: "وله أيضا رحمه الله وجدناها عند شعره ولعلها عنه". وتتضمن وصفة لعلاج داء البواسير.

أيا باحثا عن حكمة فلسفية ... لقطع بواسير عضلن أساتها
فدونكها في سرها الفرد تسعة ... مركبة الأجزاء من مفرداتها
فأربعة من معدن قد تكونت ... وأربعة قد كونت من نباتها
وتاسعها من طائر ذات أربع ... ومنها حياة الكل بعد مماتها
وقد زدتَها من مفرد عشر فردها ... ليسعفها يوم على فَعَلاتها
تركب من فردين حي وهالك ... وما زال فردا في جميع لغاتها
فجيرٌ وزرنيخٌ وزاجٌ وبُوْرَقٌ ... وقليٌ وصابونٌ وروحُ ذواتِها[١]
أنو شادرا أعني بذاك واجررن ... لأربعة منهن ماء حياتها[٢]
ومنهن مسحوق الذرايح أنه ... الْحياة لها لا سيما في حياتها[٣]
ومن حطب التين الرماد وكلها ... بتذكرة طَالِعْهُ من صفحاتها[٤]

(١) الجير: مادة بيضاء، تُحَضَّرُ بتسخين الحجر الجيري. الزرنيخ: عنصر شبيه بالفلزات، مركباته سامة، يستخدم في الطب. الزاج: الخارصين، ومنه الزاج الأزرق وهو كبريتات النحاس، والزاج الأخضر وهو كبريتات الحديد. البُورَقُ: الملح الصوديومي لملح البوريك يذوب بسهولة في الماء الدافئ وبصعوبة في البارد. القلي: مواد مركبة من معدن وأكسجين كالكلس والبوتاسيوم والصوديوم.

(٢) النُّشادِر: غاز عديم اللون، نفَّاذُ الرائحة، أخفّ من الهواء، شديد الذوبان في الماء، يستخدم في الصناعة والطب والزراعة.

(٣) الذرايح: الذراريح من السموم القاتلة.

(٤) بتذكرة: إشارة إلى كتاب التذكرة لداود الأنطاكي الذي صرح الشيخ بذكره في البيت التالي..

لداود الانطاكي بقراط دهره ... فحسبك سرا منه في خزناتها
وأما علاج الداء فهو ثلاثة ... بآكلها المذكور في البدء تأتها
وضع لبخ التليين بعد نوائها ... ومرهمها المشهور بعد انبتاتِها[1]
وغذّ لطيفا للعليل وسَهِّلَن ... خفيفا وصنه البرد في شتواتها
وراع قوانين العلاج بنسبة ... موافقة حكما تكن من رعاتها

* * * * *

(١) لبخ: التلبيخ يكون على العضو الذي به ألم، يقال لَبَّخَ على العضو أي وضع عليه اللبخة وهي عجينة من مسحوق أو مجموعة مساحيق.

(١٦) كيفية ذكر الله باسمه العليم[١]

وردت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثاني والثلاثين، وهي إرشاد إلى كيفية ذكر الله باسمه: العليم.

أتاك الفتح في هذا الْمقامِ ... وقد برح الْخفاء فلا تَعامي
تصوم ثلاثة متتابعات ... وبالإثنين تبدأ بالصيام
وتترك كل ذي روح طعاما ... وما في حكم ذاك من الطعام
وفي يوم الْخميس الْهج بذكر ... بقلب حاضر كالْمستهام
تكرر (يا عليم) ولا تزد عن ... (هغظصط) إن بلغت إلى التمام[٢]
وعندك وفق (أجهرط بدوح) ... بأعداد وُضِعْنَ له سوامي[٣]
وبعد فلا تدعه كل يوم ... ورا صلوات فرض بالدوام
تكرره كذلك عَدَّ ذا الإسـ ... ـم فاحفظ من جواهر ذا الكلام
ففيه شفاء صدرك وانتفاء ... لجهلك واقتفا أثر الكرام
وإني أحمد الْمولى وأثني ... أحمد بالصلاة مع السلام

* * * * *

(١) جاءت هذه القصيدة في الديوان في الترتيب الثاني والثلاثين.

(٢) في هذا البيت إرشاد إلى عدد المرات التي يجب على الذاكر باسم الله العليم أن يلهج على قدرها، والعدد موجود ضمن كلمة: (هغظصط).

(٣) الوفق عبارة عن جدول توضع في خاناته أحرف كلمات الآيات القرآنية وأعدادها. لفظتا (أجهرط بدوح) اسم وفق من الأوفاق، وقد تكون مركبة من الأحرف الأولى لكلمات آية قرآنية يتم توزيع أحرفها على مربعات جدول الوفق.

رابعاً : قصائد على مسائل فقهية

(١) جواب الشيخ سعيد بن خلفان[١]

على سؤال من الشيخ حميد بن راشد الرشيدي[٢]

أتاني كتابٌ منه يَضَّوَّعُ العِطْرُ ... ولفظٌ نظيمٌ لا يُقاسُ به الدُّرُّ
فكان بما أودعت من كلماته ... علينا لزوما من لوازمها الشكرُ
لأن ابتداء الوصل فضلٌ ولو أتى ... بشطر مدادٍ من ودادٍ به سطرُ
وإنكارُ أهلَ الفضل فضلَهُمُ غدا ... قبيحا،فلايرضى به من له حِجْرُ[٣]
ولا بد أن يُوفى العبادُ حقوقَهُم ... مكافأة أو من ثناءٍ له نَشْرُ
وأعجزُ خلق اللّٰه من لا له يدٌ ... تكافئُ، ولا منه ثناءٌ ولا شكْرُ

(١)كتب الشيخ المحقق هذه القصيدة جوابا على قصيدة وردت إليه من الشيخ حميد بن راشد الرشيدي يسأله فيها عن مسالة دينية. أمير البيان لم يوردها في ديوان الخيال، وقد نقلتها مع قصيدة السؤال من ديوان الشيخ المحقق حيث أورد فيه عادل المطاعني قصيدة الجواب في الترتيب الخامس عشر ضمن قصائد الديوان. ولم يسعني إغفال قصيدة السؤال نظرا لتعلق مضمون جواب الشيخ بمحتواها. وقد طابقت نقل الديوان بنص القصيدة في المخطوطة الأم. وفيما يلي نص قصيدة الشيخ الرشيدي:

إليك سؤالا أيها العلم الْحبرُ ... سعيد بن خلفان التقي الفتى الذمْرُ
عنيتك يا من لابن شاذان قد سَمَا ... به حَسَبٌ قد زانه المجد والفخرُ
فما معنى قول المصطفى ليس شاكرا ... لرب السماء من لا له للورى شُكْرُ
وما قيل في إكرام شرارنا لكي ... يَقُونا من العار المدنّس إذ يَعْرُ
وأيضا فما معنى الْمقال بأنّ ذا ... النفاق إذا ما فاه ينتقض الطهرُ
أليس من الْمخصوص إن فاه بالذي ... يكون من المحجور ساعدك النصرُ
تفضل بإحلال المعاني لكي نرى ... عروس المعاني لا يَحْجُبُها سَترُ
فأنت بحمد الله أصبحت مشرقا ... تضيء لأهل الدين أنْجُمُكَ الزهرُ
وأوفر تسليم عليكَ تحية ... مُؤَبَّدة ما اعتاق إطلاقها حصرُ

(٢) الشيخ حميد بن راشد بن محمد بن سليمان بن خلفان بن علي بن سعيد الرشيدي؛ ناسخٌ وناظمٌ للشعر عاش في القرن الثالث عشر الهجري؛ من بلدة خضراء آل بورشيد بولاية السويق. أنظر ترجمته في كتاب: التاريخ السياسي والعلمي للسويق والمصنعة، تأليف فهد بن علي بن هاشل السعدي، الناشر: ذاكرة عمان، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، الجزء السادس، ص٣٢٦.

(٣) الحَجْرُ في الشرع: المَنْعُ من التصرُّف لموجبٍ مُحَتّم. والمراد به في البيت ضابط العقل الذي يحمي الإنسان من إتيان التصرفات المذمومة.

وقد مدَّ كفًّا يبتغي كل نعمةٍ ... إلى كل مَن معروفُ إنعامه غمْرُ
وفي الدين والدنيا تصور شكرِهِ ... وأوْجَبَهُ في الدين إذ تَرْكُهُ كُفْرُ
فَلِلْمُصطفى حقٌّ على شِرْعَة الْهدى ... ولِلْعُلَمَا حقٌّ كما صرَّح الذكْرُ
فنشكُرُ خير الْمرسلين بِما هدى ... ونشكرُ أهل العلم إذ منهمُ النَّشْرُ
وللأبوين الشكْرُ حقٌّ بِما جرى ... لهم من أَيَادٍ لن يُبَارِيَها القَطْرُ
ورُبَّ يَدٍ من غيرهم في خصوصها ... أتَتْ، أو عموما ليس يبلغها الحَصْرُ
فَنَوَّعَت الأحكامُ فيها إباحةً ... وندبا وحتما والكراهةُ والحَجْرُ[1]
فأجْرِ حديث الْمصطفى في عمومه ... على مقتضى التخصيص ينشرح الصدرُ
فرُبَّ مقامٍ في الوسايط شُكْرُهُ ... هو الشكْرُ للمولى وفي تركه الخُسْرُ
ورُبَّ أخي نُعْمَى عليكَ وشكره ... كمالٌ وإحسانٌ به عَظُمَ القدْرُ
فَمُبْطِلُ شكر الناس حال وجوبه ... عليه، مُحالٌ أن يتمَّ له الشكرُ
وفي تركِهِ للندبِ منه تَهاوناً ... قصورٌ شهيدٌ منه بالعجز يا عمْرو
وغيرُ بعيدٍ مِثْلُهُ في شكوره ... لخالقه ندبا به يُرْتجَى الأجرُ
فذلك ميزانٌ له في وجوبه ... فافزعْ إليه أيّها الرجلُ الْحَبْرُ
ومُحْتَمِلٌ لفظُ الحديث له وذا ... فهذا له فَسْرٌ وهذا له فَسْرُ
وإكرامُنا الأشرارَ ليس لشرّهم ... ولكن بِهم لا شك يندفع الشرُّ
وكم من أمورٍ قد كَفَوْا ومهمة ... قضوها لأهل الدين كان بِها عُسرُ
وفي كل هذا راحة وسلامة ... لنا وكفاياتٌ بها ظهر اليُسْرُ
وما قيل في نقض الطهارة إن يَفُه ... بقول أخوفسقٍ فخَصّصْهُ يا ذَمْرُ[2]
فلا وجه في دعوى العموم وإنَّما ... يُخَصُّ به من كان يَشْمَلُه الحَجْرُ
على أن أصلا في الْمعاصي غدا لَهم ... خلافٌ به هل منه يَنْتَقِضُ الطُّهْرُ
فهذا جوابٌ جاء لا عن رَوِيَّة ... فإن صحَّ ذا فالْحمد للّٰه والشكرُ
فَيَنْظُرْ فيه كل من كان قادرا ... على نَظَرٍ حقٍّ يُصَحِحُهُ الفكرُ

(١) الإباحةُ: (جواز الفعل). والنَّدْب: (الحث على الفعل). والحَتْم: (الفرض، الواجب). والكراهةُ: (كراهة فعل ما). والحَجْرُ: (المَنْع): أحكام فقهية.
(٢) يَفُهْ: يتكلم. الذِّمْرُ: اللبيب.

(٢) جواب الشيخ سعيد

على سؤال من الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي[١]

ألا قل لمن ألقى البحوث وأوْرَدَا ... إلى من بإعياءٍ وَعيٍّ تفرّدَا
وضاق بحل المشكلات ذراعه ... وفي واضح التأويل لم يَمْتَدِدْ يدا
ولكنَّ ذباً عن حمى الآي قادني ... لدفع دواعي الطعن ممن به اعتدى
لقد شاع فيما ذاع بين أئمة ... التفاسير في ذاكَ النزاع ممهدا
فقيل تَمَنَّيْهِ لإيمان قومه ... مُريداً له حرصا عليه مُؤكدا
وقيل تَمَنَّى دفع مسكنة به ... فأصبح مشغول الفؤاد مُبَددا
وفيه عن الله اشتغال بغيره ... فأضحى إلى الشيطان ذلك مُسندا

---

(١) كتب الشيخ سعيد هذه القصيدة جوابا على قصيدة وردت إليه من الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي فيما يلي نصها:

أيا من زكا فعلا وفرعا ومحتدا ... ومَن برداء النَّزه والورع ارتدا
وأشرقت الأرضون من نور علمه ... فلم يَدْجُ ليل الجهل مذ بدره بدا
وعطّرت الآفاق ريّا خصاله ... فلم تأت إلا وهي في أرج النَّدا
ومَن هو إنْ عوصاء وافته راضها ... وجلَّى معانيها فنارَ بها الهدى
سعيد بن خلفان المجلّي إلى العلى ... سما كرماً فخماً ومجداً وسؤددا
فَتِئْتَ فتى في النائبات مراغماً ... لكل صريح مُقْتَدَى بك مُهْتَدَى
أتَيْتُكَ رَوْمَ الحق لا مُتعنتاً ... ولا عابثا فيما به جئت في دَدَا
أيَثْبُتُ قول القائلين بأنه ... عليه الصلاة ما أجيب لها الندا
على جبتهم أثنى على خطإ أتى ... وأثْبَتَه سهواً شفيعا لهم غدا
فإن صحَّ ما قالوا فمن أين قد صفا ... وساغَ لهم هذا قبولا ومَوْرِدَا
وقد كان معصوما من السهو في الذي ... أتانا به من ديننا أمثل القدا
وكان عزيزا ذكرُ ربي لم يكن ... ليأتيه الشيطان قد ضل واعتدى
وإلا فما معنى تمنى نبينا ... وإخوانه إن كان في الذكر مُوْرَدَا
وإلقاء إبليس اللعين ونسخه ... أجبني جوابا شافيا يكشف الصَّدَا
ببسط وفصيل رحيقا متامه ... من المسك سلسالا صفا يقطع الصُّدا

كما قال في الشيطان أيوبُ مسّني ... بنصبٍ وتعذيبٍ عليَّ تجددا
فسلاّه ربُّ العرش أن كل مصطفى ... تَمَنَّى يلاقي ما لقيت ليحمدا
ولكن يزيلُ اللّه بالنسخ عنهمُ ... وساوسَ إبليس وما كان شَيَّدَا
ويحكم آيات الكتاب بعصمةِ ... النبيين إذ كان الإله مسددا
وقيل تَمَنَّى أيْ تلا أيَ ربه ... تَمَنِّيَ داود الزبور المؤيّدا
فخَلَّطَ فيه قومُهُ ما يَغُمُّهُ ... بنسبتهم إياه للوحي مُسندا
وما كان إلا إفكُهُم دون قوله ... وما نطقت منه لسان ولا اعتدا
فذلك ما ألقاه شيطانهم لهم ... كما قال والغَوْا فيه من كان مُلحدا
فينسخ عنه اللغوَ والإفك ربُّنا ... ويُحْكِمُ آيات بها النور والهدى
وقيل تلا والنجم في مجلس به ... يخاصم في الأصنام من كان أفسدا
فقال أهاتيك الغرانقة العلا ... وهل ترتجى منها الشفاعة والندا
كلاما له عن نفسه في احتجاجه ... عليهم به مستفهما تلكمُ العدا
كما قال إبراهيمُ هل يسمعونكم ... وهل منهمُ نفعٌ وضرٌّ تولَّدَا
وهمزة الاستفهام تقدير حذفها ... يصح ومن يفعل فليس مُفَنَّدَا
وإذ بَكَّتَ الأقوامُ خلَّى سبيلهم ... وعاد إلى القرآن يتلوه منجدا
فما رابه إلا متى خرَّ ساجدا ... مغالطة منهمُ يخرون سُجَّدا
وسَمَّوْا عنادا مدحة منه ما به ... على أنفها أمضى الحسامَ المجردا
فأخبره جبريل واللّه منزلٌ ... من الآي ما يبقى على الدهر سرمدا
فهذا الذي الشيطانُ ألقاه هاهنا ... وينسخه الرحمن نسخا مؤبدا
وما ضار كيدُ المشركين وإفكُهُم ... ولن يطفئوا من نوره ما توقَّدا
ومن قال إن المصطفى زلَّ أو هفا ... وفي الوحي بالوسواس قال وزَيَّدَا
فقول مخلٌّ بالوثوق بعصمةِ ... النبيين والقرآن والوحي إن بدا
وجَوَّزَ بعضٌ كونه من قبيل ما ... به يبتلي الرحمن من قد تعبَّدا
ليعلَمَ مَنْ إيمانُه راسخٌ ومن ... يزلزله شكٌّ ويزعجه الردى

ومن أعجب الأشياء شيء سمعته ... رسول أتى بالوحي من ربه هدى
يقول ولم ينطق هوى ثم أكدت ... بأنْ هو إلا الوحي[1] من رب أحمدا
ويتبعه بالسهو في إثر قوله ... وإلقاء شيطان عليه تمردا
أما في متون الآي ما رد نطقه ... بها زَللاً آمنتُ بالله فاشهدا
وما جعل الرحمن في الآي مدخلا ... لإلقاء شيطان وتلبيسه اعتدا
وظاهر ذي الآيات لم يأبَ كله ... تأوُّلَه والحق يُجْلَى به الصدا
أصابَ وجوه الحق فيه عصابة ... جَلَوْا منه للسارين بدراً مخلدا
فهذا جواب من ضعيف فإن يكن ... هدى فاشكر الله الذي عبدَه هدى

(٣) جواب على سؤال آخر من الشيخ جمعة بن خصيف[2]

ألا بلّغن رواة القصيد ... مقال شراة نحارير صيد
لقد خالفوا البُطْلَ إذ وافقوا ... على الحق آيَ الكتاب المجيد
فما لظلوم شفيعٌ يطاع ... نَفَتْ كَوْنَهَا لِغَويٍّ مريد
ولا يشفعون لمن لا ارْتِضى[3] ... بها ثَبَتَتْ لوليٍّ سعيد

(١) إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وما يَنْطِقُ عنِ الهَوَى. إنْ هوَ إلاَّ وَحْيٌ يوحى﴾، سورة النجم، الآيتان: ٣ و ٤.

(٢) كتب الشيخ سعيد هذه القصيدة جوابا على قصيدة وردت إليه من الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي فيما يلي نصها:

سؤال لشيخي الفقيه الرشيد ... سعيد بن خلفان غوث الطريد
لمن ذا تكون الشفاعة من ... أهلها يوم يبدُوا فعال العبيد
فما إن تجوز لأهل المعاصي ... الجديرين بالنار ذات الوقود
وأفلح أهل الفعال الجميل ... بغير شفيع بفضل المجيد
وفيم تكون من الإثم يا ذا ... البراعة يا ذا المقال السديد
فهات الجواب هديت الصوا ... بَ جُزيت الثوابَ لذا المستفيد

(٣) إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يعلمُ ما بينَ أيديهم وما خلْفَهُم ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وهُمْ مِنْ خشْيَتِهِ مُشْفِقُونْ﴾، سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

فلا تثبتن من الإثم جزما ... شفاعته من كبير شديد
ولكنه شافع للورى ... بيوم القيامة يوم الوعيد
إذا اشتد كرب لطول الوقوف ... وغصّتْ بذاك نفوس العبيد
فيأتون آدم يسْتَشْفِعُون ... به وخليل العزيز المجيد
وموسى وعيسى فلا يشفعون ... لخوف بهم من إله حميد
فيأتون أحمد يستشفعون ... لتفريج شدة كرب مديد
فينهض خاتمهم شافعا ... ويلهم كلَّ الثناء الحميد
فيأتي ويشفع فيهم ويعطى ... لوا[1] الحمد في يده والسعود لأهل
فهذا ومحتمل غيره ... التقى في جنان الخلود
كرفع محل وتقريبه ... وتعظيم منزلة للسعيد
وأما مقالهمُ إنها ... لأهل الكبائر غير الجحود
فهذا خلاف لما جاء عن ... إله السموات رب ودود
فخذ ما أتاك ودع غيره ... وربك فاشْكر تَفُزْ بالمزيد

* * * * *

(١) لفظة (لوا) رسمت في المخطوطة والديوان مقصورة هكذا: (لوى).

(٤) جواب على سؤال ثالث من الشيخ جمعة بن خصيف في الزكاة[١]

هاكَ مني الجواب كالعقيان ... مُحْكَم النسج واضح التبيان
من أحاطت بما حوته يداه ... زكوات من كل ذي أثمان
لا أرى ماله يصير زكاة ... بل له المال يا من استفتاني
وهو دَيْنٌ وليس يَبْرَأ إلا ... بوفاء الديون للديان
يستحب التعجيل فيه ولا يؤْ ... ثم تأخيره لوقت ثان
إن يكن ناوي الأداء وإن يَحْ ... ضُرْهُ موتٌ فليشهد العدلان
موصيا بالجميع في ماله أجْـ ... ـمَع فرضا عليه للديان
فبهذا أقول والحق فيه ... ما حكيناه عن أولي العرفان
غير أن الخلاف بالرأي قد سَوَّ ... غَ من بعدُ في وصايا الجاني
قيل من رأس ماله ومقال ... هي من ثلثه مع النقصان
فهي حق الإله والله أولى ... بعد هذا بالعفو والغفران

* * * * *

(١)هذا نص سؤال الشيخ جمعة:

ما تقولن يا عتاد عمان ... الطويل العماد غوث الزمان
من سقا دارس العلوم حيا ... أفكاره فاغتدى خصيب المغاني
وأتاه صعب المعاني ذليلا ... طائعا ساعيا بلا أرسان
الخضم الثَّبت الجنان سعيد ... نجل صافي الأحساب والأردان
في مَنُوع الزكاة مُذْ كُلّفَ الطا ... عةَ للواحد العظيم الشان
إن أراد النزوعَ عن غيّه للرشد ... كيما ينبو عن العصيان
ورآها تحريا أو يقينا ... مَاثَلَتْ ماله لدى الأثمان
أترى ماله يصير زكاة ... كلَّهُ أمْ لا هاتِ بالتبيان
وأمِطْ نقاب مسألتي عن ... وجه معناها الأبلج النوراني

(٥) جواب على سؤال ابن سلام[١]

أورد محقق الديوان هذا الجواب في الترتيب الحادي والثلاثين.

لَعَمْرُكَ إن كان الزناءُ مُسَتَّراً ... فلا حِجْرَ يغشاها ولا هي تحرُمُ
ولكنه قد نال إثما بوطئها ... فتوبته من ذاك لله تلزمُ
ويلزمُهُ غُرْم الصداق لربها ... إذا هي كانت بالبكارة توسمُ
وليس عليه أن يُقِرّ بأنني ... زنيتُ، فبالإقرار لا شك تَحْرُم
ولكن يؤديه مُقِراً لأنه ... ضمانٌ لها حقا عليَّ مُلَزَّمُ
ولا أَتْبَعُ الأقوال طُراً لأنني ... أردتُ اختصارا والسلامَ مُسَلّمُ
فَيَابْنَ سلامٍ هاك مني جوابها ... فكن عاذرا عوفيتَ والله أعلمُ

* * * * *

(١) هذا نص سؤال السائل:

فيا أيها الحبر الفقيه المعظم ... أفدني فإني للشريعة معدم
فبعل غشى مملوكة عند أهله ... فذاك حلال جايز أم مُحَرّمُ
فما الحكم في مولاتها عند وطئه ... تحل له أم في الشريعة تَحْرُمُ

هذا السؤال وجدته في المخطوطة من غير نسبة إلى قائله، لكنني وجدت أن الشيخ سعيد ذكر جزءا من اسم السائل في البيت الأخير من الجواب بأنه ابن سلام.

خامسا : قصيدة في الزكاة

لطايف الحكم في صدقات النعم

هذه القصيدة لم ترد في ديوان الخيال الوافر، وقد نقلتها من ديوان الشيخ سعيد بتحقيق عادل المطاعني وطابقت نصها على ما في المخطوطة الأم.

ساءلتُهُ عما بسائمة النّعَمْ ... من الصدقات الفرض في قول من حَكَمْ
فقال سَأُنْطِيْكَ[1] الجوابَ مُفَصّلا ... سُموطاً بهنَّ الدُّرُّ والشَّذْرُ مُنتظم
فدونكها آيات عقل تنوَّرَت ... بواضح نَقْلٍ لم يَحْكِها امرؤٌ غَشَم
حَوَتْ جُمَلُ الأسفار في ضمن لفظها ... البديع فسبحان الذي ألْهَمَ الحكم
إذا شئت تستجلي تراكيب وضعها ... بقاعدة تَهدي إلى واضح اللَّقَم
فما هي إلا العَدُّ فالفرضُ رُكّبا ... كذلك والأعدادُ بالجُمَلِ العَلَم
وحرفٌ من اسم الفرض كافٍ فخذه من ... أوائلها كالشين للشاة مُجْتَزم
وميمُ مَخاضٍ مثلُ لام لبُونِها ... وحَلْحِقَّةٌ كالجيم للجذع الأشم[2]
بذي الحيوانات التي لم تكن من ... الأناعيم لم تُشْرَع زكاةٌ فتُرْتسَم[3]
كعبدٍ وخيلٍ والبغالِ ونُخَّةٍ ... وظبيٍ ووعلٍ في شماريخها اعتصم[4]

---

(١) سَأُنْطِيْكَ: سأعطيك. من أنطى لغة في الإعطاء. جاء في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي الفلسطيني تميم الداري ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطى محمدٌ رسول الله لتميم الداري وإخوته حبرون والمرطون وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهن، نطيَّةَ بَتٍّ بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم، فمن آذاهم آذاه الله، فمن آذاهم لعنه لله"

(٢) المخاض: النوق التي أتى على حملها عشرة أشهر. اللبون: هي التي نزل اللبن في ضرعها. حَلْحِقَّة: هكذا مرسومة في مخطوطة الديوان وفي الديوان ولعل صوابها: وكالحقة، وهي من الإبل التي أتمت الثالثة من عمرها. الجذع: من الإبل ما استكمل أربعة أعوام ودخل في الخامسة. ومن الخيل ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة، ومن الضأن ما بلغ ثمانية أشهر أو تسعة.

(٣) الأناعيم جمع نَعَمْ، والنَّعَم المال السائم من غنم وماعز وبقر وحمير، وفي المعجم أن أكثر ما يقع هذا الإسم على الإبل.

(٤) النُّخَّةُ: البقر التي تستخدم في الحرث.

وما كان مقصودا به لتجارةٍ ... بأثْمانِها تَجري الزكاةُ أو القِيَم
إذا تَمَّ حولٌ بعد تَمٍّ نصابها ... ودونكَ في الأنعام قولا قد انسجم[1]
وأوقاصُها عفوٌ كأشناقها أو ... الزكاة بِها مع ما تلته على الأعم[2]
ويظهر سر الخلق إنْ واحدٌ من ... الخليطين فيما يحتويه النصابُ تَم
نِصَابٌ وحولٌ ثم سَوْمٌ والاكتفا ... عن الأم أشراطٌ بها الفرض يُلتزَم
ففي عَدّ صُغْرَى البُهْم خُلْفٌ ... وأكثروا إذا هي لم تستغن عن أمها البَهَم
وفي الأخذ من غير السوائم قرّروا ... خلافا لَهم عمَّ العوامل حين طم[3]
كما حدَّثوا في كُسْعَةٍ وقَتُوبَةٍ ... ولو حرثُها فيه من الصدقات جَم[4]
وما لم تحل من بعد تم نصابها ... فعفوٌ خلافا لابن عباسِ الخضم[5]
وإن يُنْتَقَص مما تزكى نصابُها ... فإن تم قبل الْحول فالفرض مُلْتزَم
وإن بُدّلَت من بعد حولٍ بمثلها ... ولو هربا فالخُلْفُ ليس بِمحتدم[6]

(١) النصاب والحول: تجب زكاة المال إذا بلغ النصاب المحدد شرعا وحال عليه الحول بعد بلوغه النصاب.
الأنعام: الإبل. بعد هذا البيت ثمانية أبيات لم يصل معناها إلى فهمي الكليل وأضع هنا واحدا منها كمثال:

مَشِ أكْقَشَشْ أرْجَش تدَشَ قَشْقَشَ ... وبَعْشَ أشْتَشْ في مكان تَدَشَ حزم

فمن يجد نفسه معنيا بها فلينظرها في الديوان في صفحتي ١٧٦،١٧٧ فإن المحقق أثبتها.

(٢) الأوقاص جمع الوَقَص، وهو مصطلح فقهي يوصف به ما بين الحدين في زكاة الأنعام نحو أن تبلغ الإبل خمسا فزكاتها شاة واحدة ولا شيء في الزيادة حتى تبلغ عشرا؛ فما بين الخمس إلى العشر وَقَصٌ، وبعض العلماء يجعل الوقص في البقر خاصة. الأشناق: جمع شَنَق. والأشناق المال المخلوط، يقال تشانق الرجلان: خَلَطَ كلٌّ منهما ماله بمال الآخر. وأشنق ماشيته إلى ماشية غيره: خلطها بها لتقليل الزكاة، كأن يكون لكل واحد منهما أربعون شاة فيجب عليهما شاتان، فإذا أشنق أحدهما غنمه إلى غنم الآخر فوجده المصدق في يده أخذ منها شاة فقط.

(٣) العوامل: البقر التي تستخدم في الحرث. طم الخلاف: اشتد وعظُم.

(٤) كُسْعَةُ: الكسعة الحمير. قَتُوبَةُ: القتوبة من الجمال التي توضع الأقتاب أي الرحال على ظهورها.
جَم: الكثير من كل شيء.

(٥) ابن عباس هو الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ويلقب بالبحر لسعة علمه. الخضم: البحر الواسع.

(٦) ليس بمحتدم: ليس بمشتد.

وهل يسألُ الساعي عن الحول إن أتى ... فخلفٌ لدى من يشرط الْحول من أَمَمْ
وفي تَبْعِهِ عامين ما زَكِيَتْ لهم ... خلاف الأصْلَين التشارك والذمم
وإن سائمات تقتنى لتجارة ... فقولان في الأصلين أيهما انحتم
فأيّما بأصل قل وأيّما تجارة ... ولو لَم تقصر عن نصاب فيُستَتَمْ
ولَم تستحل عن سومها لتجارة ... بقصدٍ ويكفي القصد في العكس إن تُسَم
وتجري اختلافات لهم في انحطاط ما ... عليه من الدين الذي حلَّ والسَّلَمْ[1]
لِعَالَتِهِ كان التَّدين أم لها ... بشرط القضا منها والشرط مُصْطَلِمْ[2]
وإن كان بعد الطرح يغشى نصابها ... اتّضَاعٌ ففي الباقي خلافٌ جلا الغَمَمْ[3]
ولا حمْل بين الإبْل والعِيْنِ إنَّما ... التحامل بين المعز والضأن مغتنم[4]
وتأخذ من كلٍّ بقسطٍ وخَيّروا ... إذا استويا والأخذ بالقسط لم يُذَمْ
وللأخذ شطرين اصْدَعَنَّهَا أو اقسما ... كذاك وخَيّرْ فيهما صاحب الغنم
ومن شطرها الثاني فتختار فَذَّةً ... ويختار أخرى واجْرِيا هكذا بِأَمْ[5]
وبعضٌ يرى تقديم ذي الْمال ولا ... بذا الشطر أيضا والتناسق ما انْخرم[6]
وقولٌ من الثُّلْث الْمُوَسَّط أخذُها ... وإن يأت رب الْمال بالفرض لم يُلَم
ويُجْزي ثَنِيُّ الشَّاء أو ما علا وفي ... جواز الجَذَاع الخُلْفُ قد شاع وارتكم[7]

---

(١) حَلَ الدينُ: حان أجل سداده. السَّلَم: التسليم.

(٢) العَالَةُ: الفقر. التدين: بمعنى احتمال الدين على النفس وهو الحق الواجب الوفاء. مُصْطَلِم: مُهْلِك.

(٣) اتّضاعٌ مصدر اتّضع وهنا بمعنى الوضع أي الحط.

(٤) العِيْنُ: البقر. الضأن: الغنم. المعز: ذوات الشعر والأذناب القصار من الغنم.

(٥) الفذّ: الفرد، وفذّة هنا بمعنى واحدة. بِأَمْ: بائتمام أيْ باتِّبَاع.

(٦) التناسق ما انخرم: أي لم يختل.

(٧) الثَّنِيُّ: التي وَلَدَتْ مرتين. الشاء: جمع شاة، والشاة الواحدة من ذوات الظلف وهي الضأن أو المعز أو البقر. الجَذَاعُ: جمع جَذَع للذكر، وللأنثى جذعة، وهي من الإبل ما استكمل أربعة أعوام ودخل في السنة الخامسة، ومن الخيل والبقر ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة، ومن الضأن ما بلغ ثمانية أشهر أو تسعة. ارتكم: اجتمع..

وفي شرطهم ضأنا سِمانا تنازُعٌ ... وأطلق بعضٌ إن يرى الأصلح الحكَم
ولا جَذَعٌ دون ابن ستة أشهر ... وفيه إلى الحولين للخُلْف مُرْتَكم[1]
ولا فرق لو كانت سَخَالا جميعها ... وقومٌ أجازوا السَّخْل إنْ كلُّها بَهَم[2]
وتُجْزي إناثُ النّعَم والخُلْفُ في ذكو ... رشَاءٍ تساوى أو تُفَضَّلُ في السّيَم[3]
وبنتُ مخاضٍ يخْلُفُ ابن اللبون مثـ ... ـل ما جَذَعٌ يُجْزي التّبَعيَّةِ للعدم
ولا ذَكَرٌ يُجْزي فَيُذْكَرُ فيهما ... سوى الماضيَيْن فالقياسُ قد انحسم
وإنْ عَزَّ مَشْروطٌ فتأخُذُ غيره ... بخُلْفٍ وأعط الفضلَ أوْ خُذْ أوِ القِيَم[4]
وما جاز منها في الأعالي فخذه في ... الأداني بخُلْفٍ إن يُشَارِبُها النعم[5]
وعن حَرَزَات المال فالنهيُ واردٌ ... وإن يَرْضَ ربُّ المال بالأخذ فَلْتَؤُمْ
ومن ذاك كَرَّارٌ ورُبِيّ[6] لبُونَةٍ ... وأولاتُ حِمْلِ الفحولة والتّيَم
كذا النَّهيُ عن ذات العَوَار وللأُلى ... سعوا لا عليهم ذات عيبٍ ولا هَرَم[7]
ومُخْتَلَفٌ في الأخذ منها يُجْتَزَى ... به حيث عمَّ العيبُ فيهنَّ والسَّقَم
وبالْخَلْطَةِ الْمجموع حَلْباً ومَرْبَضاً ... أو الماء والْمرْعى مع الْحَلَبِ اتَّسَم
أو الْماء والْمَرْعى أو الفحل مَعْهُمَا ... لدى الحلْب أو بالحلْب لوْ وحْدَه سَلَم
ومأوى عديم الحلْب في الخلط حكمه ... كما الْحلْب فيما رِسْلُها[8] مُرْسَلٌ دِيَم

(١) وفيه إلى الحولين للخُلْف مُرْتَكَم: أي يجتمع الخلاف عليه..
(٢) السَّخَالُ: مواليد المعز، ومفردها سَخْلة. بهم: جمع بَهْمَة وهي الصغير من الضأن.
(٣) السّيَم جمع سَوْمَة وهي تثمين الشيء أي تقدير قيمته النقدية. والسّيَم كذلك جمع سيمة والسيمة هي العلامة التي تفضل بها سلعة عن أخرى.
(٤) عَزَّ: امتنع وتعذّر تحققه. الفضل: الزيادة. القِيَم: جمع قيمة وهي ثمن الشيء.
(٥) يشارِبُها: يختلط بها.
(٦) رُبِيُّ لبونة: وليدها. واللبون التي نزل اللبن في ضرعها. التِّيَم جمع تيمة وهي الشاة غير السائمة أي التي يعلفها الرجل في منزله.
(٧) ذات العَوَار هي التي لحقها ضرر في جسمها كالعرجاء وغيرها. وذات العيب هي التي فيها ما يعيبها بحيث لا تصلح للزكاة، ومثلها كذلك الهرمة وهي التي طعنت في السن.
(٨) رِسْلُهَا: الرِّسْلُ القطيع من الإبل والغنم وغيرها.

وأبْعَدَ في التأويل مَن قال إنَّه ... بدون الْمشاع الخلْط قد بادَ وانْصَرَمْ[1]
وبين الْخليطين التراجُعُ بالسّوَا ... إذِ الخلْطُ حولاً تَمَّ لَم تَفْتَرِقْ زِيَم[2]
ولو أنَّها تأتي وتذهبُ تارةً ... بلا قصد تفريق فما الخلطُ مُجْتَلَمْ[3]
ولا يَثْبُتُ التخليطُ من غير مسلم ... وحُرٍّ عليه الحكمُ يُجْريه من حَكَمْ
وبعضٌ أجازَ الْخلطَ من أولياء مَنْ ... يُوَلَّى عليه كالصبيّ وذي البَكَمْ
وكلُّ خلاطٍ أو وِرَاطٍ[4] لأجلها ... فنهيُ رسول الله بالحَجْرِ فيه عَمْ
ودونَكَ في الأسنان من يوم وضعها ... لعامٍ فعام هكذا اعْدُدْ لَها وسَمْ[5]
ففي الشاء جديان جذاع ثَنِيَّة ... رَباع سديسٍ سالغ سِنُّهَا الأتَمْ[6]
وبعدُ فأعوام تُعَدُّ وسالغا ... وقُلْ حَمَلٌ في الضَّأن حيث الجداء ثَمْ[7]
وأَوَّلُ حَشْو الإبْل سَمْ بحوارها ... إلى يوم فصْلٍ والفصيلُ إذا انْفَطَمْ[8]
مخاضٌ لَبُونٌ حَقَّةٌ جَذَعٌ ثَنِيْ ... رَبَاعٌ سديسٌ بازِلٌ مُخْلِفٌ يُزَمْ[9]
وبعدُ فأعوام تُعَدُّ وبازلا ... وبالْخُلْفِ يَجري العدُّ والْمُخلف الضخم

---

(١) باد: انقرض، انقطع، هَلَك. انْصَرَمْ: انْقَضَى.

(٢) زِيَمْ: جمع زيمة وهي القطعة من الإبل أقلُّها اثنان أو ثلاثة وأكثرها خمسة عشر ونحوها.

(٣) مُجْتَلَم: جَلَمَ الشيءَ قطعه.

(٤) الوِراطُ في الزكاة: الجمع بين متفرق، أو عكسه؛ أو أن يُخَبِّئها في إبل غيره، أو في وَهْدَةٍ من الأرض لئلا يراها جابي الزكاة.

(٥) الأسنان: أسنان الشيء سني عمره. سَمْ: من سَمَّ النعمة إذا خصَّها، والمعنى في البيت أنك خُصَّ حيوانات الزكاة بمعرفة أعمارها لتعلق الأحكام الفقهية بذلك.

(٦) جَدْيان مثنى جَدْي، والجَدْيُ: الذكرُ من أولاد المعْز. سالغٌ: سَلَغَ ولدُ الشاة أو البقرة: اكتمل طلوع أسنانه. وسَلَغَ أيضا: أسْقَطَ السّن التي خلْفَ السَّديس.

(٧) الجَدَاءُ: النفع. ثَمَّ: هناك.

(٨) الحوار هو ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يُفْطَمْ، وبعد فطامه يُسَمَّى فصيلا.

(٩) المخاض واللبون والحقَّة والجذعة والثني سبق التعريف بها. الرَّبَاع جمع رُبَع وهو الفصيل الذي يكون أول النتاج في الربيع. السَّدِيسُ: الشاةُ أتت عليها السنة السادسة. البازل: البعير الذي انشق نابه ويكون ذلك في السنة التاسعة ذكرا كان أو أنثى. مُخَلَّفٌ يُزَمْ: الناقة رُبِطَ واحدٌ من أخلاف ضرعها.

عِجَالٌ تُباع بل جذاعٌ ثَنِيَّةٌ ... رَبَاعٌ سديسٌ سالغٌ للبقير تَمْ[1]
وتَجري بتركيب السنين وسالغا ... بِعَدٍّ يُضاهي ما تقدَّمَ في الغنم
وفي هذه والشاء خُلْفٌ وإنّما ... نَظَمْتُ لك المشهور فيهن كالعلَم
فدونكها من مُحكم الأُسِّ[2] متقنُ الـ ... ـبناء عمادا لَم تَرُمْ شأوَهَا إرَمْ
تضوَّعَ بالأسرار منها وشايعٌ[3] ... تَضَوَّأُ بالأنوار إمَّا الدُّجى ادْلَهَمْ
بأمثالها الأقلام تاهت فصدَّقَت ... مقالةَ قومٍ أثبتوا الفخرَ للقلم
ولله حَمدي والصلاة على الذي ... هدانا بأنوار الشريعة في الظُّلَم

* * * * *

(١) البقير: جماعة البقر.

(٢) الإسُّ: من أسَّ البناء: وضعَ أساسه.

(٣) الوشايع: جمع وشيعة وهي في معاجم اللغة: الخشبة التي يُلَف عليها الغَزَل. أراد بها قصيدته المنظومة بأسرار علم الشريعة وأنوارها.

سادسا : قصائد في علمي العروض والقوافي

(١) مُظْهِر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي

القصيدة التالية لم ترد في ديوان الخيال الوافر، لكنها مثبتة في ديوان الشيخ المحقق في الترتيب السابع عشر، وقُدِّمَ لها في مخطوطة الديوان بالقول التالي: "هذا كتاب المسمَّى بِمُظْهِر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي، قد ألَّفَه الشيخ رحمه الله تعالى في ميزان الشعر، أَتَيْتُ بالنظم دون الشرح". وهذا يفيد أن الشيخ يفيد أن الشيخ المحقق شرح القصيدة أيضا ولكن الناسخ اكتفى بنسخ النظم فقط. وأورد الناسخ كذلك مقدمة للشيخ رحمه الله تعالى قال فيها: "أما بعد فقد التمس مني بعض أصحابنا أن أنظم له كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي، وهو كتاب حجمه لطيف، مع أنه شريف، أنشأه أبوالعباس بن شعيب أحمد الشهير بالخوَّاص، فالتزمت إجابته وإن كان قد أعوص أيَّ الاعتياص، وكفى بأن وقع العزم وأسباب الأشغال مردوفه، وضروب الفراغ عن عروض القلب مصروفه، فنظمته له نظما مختصرا، وكنت على المهم منه مقتصرا، وزدت فيه ذكر مواضع لم يعوّل المصنف عليها، ونُكَتاً لم يقف لديها، فكان متشرفا بعوايد الفوايد، وزوايد الموايد، وقد سميتُ هذا النظم مظهر الخافي، بنظم الكافي، في علمي العروض والقوافي، والله أسأله الإعانة والتوفيق، والإرشاد في سلوك الطريق".

الحمد لله حمدا كاملا أمَلي ... من عروض الرضى العاري من العلل
ثم الصلاة وموفور السلام على ... النبيّ والآل والصحب الذُّرى النُّبُل[1]
ودونك المظهر الخافي المضمَّن لل ... ـكافي بعلم القوافي والعروض ملي
أحكيه مختصرا في النظم مقتصرا ... منه على خالص المعنى بلا دخَل
والله أسأله عونا يمنُّ به ... فإن يكن عونه لي مسعدا بِجلي

* * * * *

(١) ورد بعد هذا البيت بيتان تحت عنوان: لغيره، فحواهما توضح من هم آل بيت النبي. البيتان مجتزءان من مقطعة للشاعر حسن بن علي بن جابر الهبل (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م – ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)، شاعر يمني زيدي، يُعْرف بأمير شعراء اليمن:

آل النبي هم أتباع ملَّته ... من الأعاجم والسودان والعربِ
لو لم يكن آله إلا أقاربه ... صلى المصلي على الطاغي أبي لَهَب
آل النبي هم أتباع ملَّته ... من مؤمني رهطه الأدنون في النسب
هذا مقال ابن إدريس الذي ... رَوَتِ الأعلامُ عنه، فَمُلْ عن منهج الكذب
وعندنا أنهم أبناء فاطمة ... وهو الصحيح بلا شك ولا رِيَبِ

المرجع: الموقع الإلكتروني للموسوعة العالمية للشعر العربي، ووصلته هي: www.adab.com
تاريخ تصفح الموقع ٢٠١٥/٨/٣٠م.

المقدمة في بيان أشياء لا بد من معرفتها

مُحَرَّكٌ فسكونٌ قلْ هما سبب ... خِفٌّ وإن حُرِّكَ الثاني فذو الثقلِ[1]
وذا الثقيلُ فَسَكِّن بعده الوَتَدُ ال ... مجموع والضد ذا السَّكْنُ الأخيرُ يلي[2]
وعن فعولن مفاعيلن مُفَاعَلَتُنْ ... وفاعِ لاتن لذا التأصيل لا تَحُلِ[3]
مُسْتَفْعِلُن فاعلاتن فاعلن متفا ... علن ومُسْ تَفْعِ لُنْ بالافتراق بُلي[4]
تلك الفروع ومفعولاتُ سادسها ... فالبحرُ أُلِّفَ من فرع ومؤتصل

(١) السبب من أجزاء التفعيلة، وينقسم إلى سبب خفيف يتكون من حرفين متحرك فساكن، وسبب ثقيل ويتكون من حرفين متحركين.

(٢) الوتد من أجزاء التفعيلة وهو نوعان: مجموع وهو الذي يتكون من ثلاثة أحرف متحركين فساكن، ومفروق يتكون من متحركين بينهما ساكن.

(٣) يتم نظم القصائد في الشعر العربي على أوزان سُمّيَتْ بحورا وعددها ستة عشر بحرا، (سيأتي ذكرها في متن القصيدة)، وكل بحر له ميزانه الخاص يمثله عدد من التفعيلات لا تزيد في كل شطر من شطري البيت عن أربع في البحور رباعية التفعيلة كالمتقارب والمتدارك والطويل والبسيط، ولا تقل عن اثنتين في البحور ثنائية التفعيلة كبحر الهزج والمجتث والمضارع والمقتضب، وهناك بحور ثلاثية التفعيلة كالخفيف، والوافر، والكامل. وعند الوزن تُقَابَلُ حروف كلمات كل شطر من شطري بيت القصيدة بما يقابلها من حروف التفعيلات، فما كان حرفا متحركا قوبل بحرف متحرك، وما كان ساكنا قوبل بساكن. وعدد التفعيلات إجمالا في الشعر عشر تفعيلات هي: (فاعلن فعولن مفعولات متفاعلن مفاعلتن فاعلاتن، فاعِ لاتن، مفاعيلن مستفعلن، مُسْ تَفْعِ لن). ولاحظ الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤسس علم العروض أن التفعيلات تأتي على قسمين: خماسية الأحرف مثل: (فاعلن فعولن)، وسباعية الأحرف مثل: (مفاعلتن فاعلاتن مفاعيلن)، وأن ما عداها من التفعيلات منبثق عنها وإلى هذا يشير الشيخ بقوله: (لذا التأصيل لا تَحُلِ)، وقوله في البيت التالي: (تلك الفروع) أي ما عدا الأصول التي ذكرها في البيت السابق والتي لم تزد عنده عن أربع تفعيلات هي: (فعولن مفاعيلن مُفَاعَلَتُنْ وفاع لاتن). بقيَ أن أذكر أن الشعراء في العصر الحديث أهملوا استعمال التفعيلتين المقطعتين (فاعِ لاتن، مُسْ تَفْعِ لن) ليصبح عدد تفعيلات الشعر ثمان وليس عشرا كما كان سائدا في القديم.

(٤) الملاحظ هنا أن الشيخ المحقق رحمه الله اعتمد فاع لاتن المقطعة من أصول التفعيلات واعتبر مستفعلن في الفروع بصورتيها الموصولة والمقطعة، وذلك حسب ما وجدته في المخطوطة بخلاف الديوان الذي لم يميّز محققه بين فاعلاتن الموصولة وفاع لاتن المقطعة بل أوردهما برسم واحد هو الموصول.

الباب الأول في ألقاب الزحاف والعلل[1]

تغير الثاني من الأسباب مُطْلَقَة ... هو الزحافُ ولَم يلزمْ لذا العمل
ففي ثمانية فردا يَجيء فَخَبْنٌ ... حذفُ ساكن ثانيَ الْجزء فاختزل[2]
وإن يسكنْ فإضمارٌ وحَذْفُكَهُ ... لدى تَحَرُّكه اسْمُ الوقص فيه جلي[3]

(١) الزحاف يطرأ على التفعيلة فَيُحْدِثُ تغييرا عليها. وهو ينحصر في تسكين الحرف المتحرك، أو حذفه، أو حذف الساكن. ويطرأ على جميع التفعيلات: العَروض والضرب والحشو. والتغيير الناجم عنه لا يلزم تَكراره في بقية القصيدة على غرار العروض والضرب، إلا إذا جرى مجرى العلة، كقبض الطويل وخبن البسيط. ويأتي الزحاف على نوعين: مفرد ومزدوج، فالمفرد ويعرف أيضا بالبسيط، لا يُصيب التفعيلة بسببه سوى تغيير واحد فقط، وهو في هذه الحالة ثمانية أنواع: الإضمارُ، والخَبْنُ، والوقْصُ، والطيُّ، والعَصْبُ، والعَقْلُ، والقَبْضُ، والكَفُّ. وأما المزدوج، ويُعْرَفُ أيضا بالمُرَكّب، فَيُحْدِثُ تغييرين على التفعيلة، وهو أربعة أنواع: الْخَبْلُ، والْخَزْلُ، والشَّكْلُ، والنَّقْصُ. أما العلة فتطرأ على الأسباب والأوتاد في كل من تفعيلة العروض وتفعيلة الضرب، وإذا أصابت عروض البيت الأول مثلا أو ضربه وجب الالتزام بها في كل عروض أبيات القصيدة أو ضربها، أيهما أصابته. والعلة أيضا نوعان هما: علل بالزيادة وتكون بزيادة حرف أو حرفين في آخر تفعيلة الضرب المجزوء، وهي ثلاث علل: التَّرفيلُ، والتذييلُ، والتَّسْبيغُ. وعللٌ بالنقص، وتطرأ على العروض والضرب المجزوء والوافي، وتكون بنقصان حرف أو أكثر، وهي تسعة أنواع: الحَذْفُ، والقَطْعُ، والبَتْرُ، والقَصْرُ، والقَطْفُ، والحَذَذُ، الصَّلْمُ، الكَشْفُ، الوَقْفُ. وإلى جانب هذا هناك عللٌ تجري مجرى الزحاف من حيث عدم وجوب الالتزام به في كل أبيات القصيدة، وهي: التَّشْعِيْثُ، والحَذْفُ، والخَزْمُ والخَرْمُ.

(٢) الخبْنُ: حذفُ الثاني الساكن من: (مستفعلن) فتصبح (مُتَفْعِلُنْ)، و(فاعلن) تصبح: (فَعِلُنْ)، و(فاعلاتن) تصبح: (فَعِلاتُنْ)، و(مفعولاتُ) تصبح: (مَعُولاتُ). الخزْلُ: فيه عمليتان: إضمارٌ وطي، يؤدي إلى تسكين الثاني المتحرك وحذف الرابع الساكن من: (مُتَفَاعِلن) فتصير (مُتْفَعِلُنْ) وتُحَوَّل (مُفْتَعِلُن).

(٣) الإضمار: إسكان الحرف الثاني المتحرك، فتفعيلة: (مُتَفَاعلُنْ) في البحر الكامل فتصير: (مُتْفاعلن) فتنقل إلى (مُسْتَفْعِلن). الوَقْصُ: إسقاط الحرف الثاني المتحرك من تفعيلة (مُتَفَاعلن) فتصير: (مفاعلن).

والطيّ حذفُكَ سَكْناً رابعا ولِقَبْضِ خامس ذو سكون تَم مُختزل[١]
والقبضُ إسكانُه والعَقْلُ حذْفُكَه مُحَرَّكاً كَفُّ سَكْن السابع اقْتَصِل[٢]
الْخَبْلُ طيٌّ لدى خَبْنٍ وطيُّكَ والإضمار خَزْلٌ وكفُّ للْخَبْن يلي[٣]
شَكْلٌ للنّقْص كفٌّ عَصْبٌ اجتمعا وفي التقا السببين القول هاك حلي[٤]
إن واحدٌ وهُما ناج معاقبة والجزءُ[٥] ينحو بريئا سَمّ ثُمَّ قُلِ
إن زوحفا طرفان أو بأوله صدرٌ وللعجز منه الأخرَا ختزل[٦]
ومنع إحداهُما الأخرى مراقبة منها الْمُضارع مع ذي الاقتضاب ملي[٧]

(١) الطَّيُّ: حذف الرابع الساكن من: (مُسْتَفْعِلُنْ) تصبح: (مُسْتَعِلُنْ)، ومن: (مَفْعُولاتُ) تصبح: (مَفْعُلاتُ).
القَبْضُ: حذفُ الخامس الساكن، من: (فعولن) تصبح: (فَعُوْلُ)، ومن: (مفاعيلن) تصبح: (مَفَاعِلُنْ).

(٢) العقْلُ: حذف الخامس المتحرك، من: (مُفَاعَلَتُنْ) تصير (مُفَاعَتُنْ). حَذْفُكَه يريد الحَذْف وهو حذفُ السبب الخفيف من آخر التفعيلة: (فَعُولُنْ) تصبح: (فَعُوْ)، و(مَفَاعِيْلُنْ) تصبح: (مَفَاعي)، و(فاعِلاتُنْ) تصبح: (فاعِلا). الكفّ: حذف السابع الساكن من (مفاعيلن) فتصبح (مفاعيلُ). ومن (فاعلاتن) فتصبح (فاعلاتُ)، ومن (مُسْتَفْعِ لُنْ) فتصبح: (مُسْتَفْعِ لُ).

(٣) الخَبْلُ تجتمع فيه عمليتان هما: الخبنُ والطيُّ، ويؤدي إلى حذف الثاني والرابع الساكنين، فتفعيلة: (مُسْتفْعِلُنْ) تصبح: (مُتَعِلُنْ)، وتفعيلة: (مَفْعُولاتُ) تصبح: (مَعُلاتُ).

(٤) الشطر الأول غير مستقيم على وزن بحر القصيدة: البسيط، ويظهر أنَّ سقطا وقع منه أو إضافة طرأت عليه من الناسخين. وكذلك كلمة: حلي في آخر البيت إذ الأنسب أن تكون: جلي. الشكل: زحاف يؤدي إلى حذف الثاني والسابع الساكنين، وتجتمع في الشكل عمليتان: خبنٌ وكَف كما في (فاعلاتن) تصير (فَعِلاتُ)، و(مستفعلن) تصير (مُتَفْعِلُن). النقص: تجتمع فيه عمليتان هما: العَصْبُ والكَفُّ، ومؤداه حذف السابع الساكن من: (مُفَاعَلَتُنْ) فتصير: (مُفَاعَلْتُ)، وتنقل إلى (مفاعيلُ)، وهذا لا يكون إلا في الحشو.

(٥) المعاقبة: هي أن يتجاور في تفعيلة واحدة أو تفعيلتين متجاورتين سببان خفيفان، أحدهما يجوز أن يلحقه الزحاف، والآخر يجب أن يسلم؛ فحكمهما ألا يصيبهما الزحاف معا، ويصح أن يسلما معا. الجَزْءُ: حذف التفعيلة الأخيرة من شطري البيت، والبحر الذي تقع فيه يُعرف المجْزُوء.

(٦) يتكون البيت في القصيدة العربية من خمسة أجزاء هي: الصدر وهو الشطر الأول من البيت. العجز وهو الشطر الثاني. العروض وهي التفعيلة الأخيرة من الصدر. الضرب وهي التفعيلة الأخيرة من العجز. الحشو وهو كلمات الشطرين ما عدا العروض والضرب.

(٧) المراقبة: هي أن يتجاور في تفعيلة واحدة سببان خفيفان، أحدهما يجب أن يلحقه الزحاف، والآخر يجب أن يسلم؛ فحكمهما ألا يصيبهما الزحاف معا، وألا يسلما معا.

وللمُكاشفة والإطلاق في رجزٍ ... وفي البسيط السريع والانسراح تلي
وغير ذي الأبحُر اذكر في معاقبة ... مع ذي انسراح وحاوي الاقتضاب صِلِ
رَفِّلْ فزدْ سببا خِفاً بآخر ما ... مَجموعٍ وَتَدٍ ختامُ البيت منه ولي[1]
أو ساكنا فهْو تذييلٌ وسَبَّغَ ذا ... إن قبله سببٌ عارٍ من الثقَلِ[2]
والنقصُ إن سببا خِفًّا أزلْتَ فحذ ... فُبل لذي العصْب سَمْ بالقطْف إن يُزَلِ[3]
وحذفُ ساكنِ وتدٍ حيث سُكّنَ ما ... من قبله فإلى اسم القطع فيه ملي[4]
وذا مع الْحذف بَتْرٌ وانْوِ من سببٍ ... سَكْنًا لقصْرٍ وسَكّنْ قبل منخزِلِ[5]
والْحدُّ مجموعُ وَتَدٍ فيه مُطَّرَح ... وإنْ تَشَا الصَّلْمَ للمَفْروق فاعْتَزِلِ[6]
والوَقْفُ في سابعٍ سَكّنْ مُحَرَّكَهُ ... والكَشْفُ حَذْفُكَهُ إن شئت فاقْتَصِلِ[7]
ودون خمسٍ لدى صدرٍ تُزادُ كما ... لاثنين في الإبتدا اللخَزْم ذي العصَلِ[8]

---

(١) الترفيل: زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع وبه تتحول (متفاعلن) إلى (متفاعلاتن). الشطر الثاني مختل الوزن.

(٢) التَّذْييلُ: زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع، فتفعيلة: (متفاعلُنْ) تصبح: (متفاعلُنْ نْ)، و(فاعلُنْ) تصبح: (فاعلُنْ نْ) و(مُسْتَفْعِلُنْ) تصبح: (مُسْتَفْعِلُنْ نْ). التَّسْبيغُ: زيادة حرف ساكن على ما آخره سببٌ خفيف، فتفعيلة: (فاعلاتنْ) تصبح: (فاعلاتُنْ نْ).

(٣) العَصْبُ: تسكين الخامس المتحرك فتفعيلة: (مُفَاعَلَتُنْ) تصبح: (مُفَاعَلْتُنْ). القطف: حذف السبب الخفيف من آخر تفعيلة (مفاعَلَتُنْ) ثم تسكين الحرف الخامس فتصبح: (مُفَاعَلْ) فتُحَوّل إلى: (فعولن).

(٤) الشطر الأول مختل الوزن. القَطْعُ: حذفُ ساكن الوتد المجموع آخر التفعيلة وتسكين ما قبله: (فاعلُنْ) تصبح: (فاعِلْ)، و(مُتَفَاعِلُنْ) تصبح: (مُتَفَاعِلْ)، و(مُسْتَفْعِلُنْ) تصبح: (مُسْتَفْعِلْ).

(٥) البَتْرُ: فيه عمليتان: الحذف والقطع، ويؤدي إلى حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة، ثم حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله فتفعيلة: (فعولن) تصبح: (فَعْ)، وتفعيلة: (فاعلاتُنْ) تصبح: (فاعلْ). القصر: حذف ساكن السبب الخفيف آخر التفعيلة وتسكين ما قبله: (فعولُنْ) تصبح: (فَعُوْلْ)، و(فَاْعِلاتُنْ) تصبح: (فاعِلاتْ)، و(مُسْتَفْعِ لُنْ) تصبح: (مُسْتَفْعِ لْ).

(٦) الشطر الأول مختل الوزن. الصَّلْمُ: حذف الوتد المفروق آخر التفعيلة: (مَفْعُولاتُ) تصبح: (مَفْعُوْ).

(٧) الوقْفُ: إسكان السابع المتحرك: (مَفْعُولاتُ) تصبح: (مَفْعُولاتْ). الكشفُ: حذف السابع المتحرك: (مفعولاتُ) تصبح: (مَفْعُولا).

(٨) الخَزْمُ: زيادة حرف أو أكثر في أول صدر البيت، أو أول عجزه في بعض البحور، والخزمُ غير مُسْتَحْسَن.

ومن فعولن مفاعيلن مفاعلتن ... في الصدر خرْمٌ بحذف الاول اعْتَمِل[1]
أوفي ابْتِدا وهْيَ صَحَّتْ أومُزاحَفَةً ... في صورتين ثلاث أربع خَلَلِ[2]
رتبن ثلم ثرم خزم شتر خرب ... عضب وقصم جمم عقص فلا تهل[3]
وفاعلاتٌ لمفعولن تصير لتشْـ ... ـعيثِ الْخفيف وللمُجْتَثِّ ذا اكْتَفِلِ[4]
ذا البابُ منه عروض جازها متقا ... ربٌ لدى حذفها الْمذكور للعللِ

(١) الخَرْمُ: حذف أول الوتد المجموع في أول شطر من البيت، وموقعه التفاعيل الثلاث المبدوءة بوتد مجموع وهي: فَعُوْلُنْ، مُفَاْعَلَتُنْ، مَفَاْعِيْلُنْ، وقد يدخلها وحده، أو يجتمع مع غيره، وله في كل حالة اسم؛ فأسماؤه تختلف حسب التفعيلة، واختلافها من حيث سلامتها، وزحافها. فما دخله (الْخَرْمُ) يسمى مخرومًا، وما لم يدخله يسمى مَوْفورًا.

(٢) المُزَاحَفَةُ: لها ثلاثة أوجه. أولا: أن يُزَاحَف أول التفعيلة لتسلم التفعيلة التي قبلها، فتسمى التفعيلة المُزَاحَفَة (صدرا). ثانيا: أن يُزَاحَف آخر التفعيلة لتسلم التفعيلة التي بعدها، فتسمى التفعيلة المُزَاحَفَة (عجزا). ثالثا: أن يُزَاحَف أول التفعيلة وآخرها لتسلم التفعيلة التي قبلها والتي بعدها، فتسمى التفعيلة المُزَاحَفَة (الطرفين).

(٣) لم أتوصل إلى مطابقة تفعيلات هذا البيت على بحر القصيدة: البسيط، فكلماته وردت برسم التنوين المتوالي، ولم تستقم معي سوى التفعيلة الأولى من الشطر الأول: رُتِّبْنَ ثَلْ (مستفعلن). والتفعيلة الأولى من الشطر الثاني: عَضْبٌ وقَصْ (مستفعلن). يمكن على سبيل المثال إقامة الشطر الأول على البحر البسيط بإضافة حرف عطف (ف) على كلمة: ثرم، وتشكيل كلماته على الصورة التالية: رُتِّبْنَ ثَلْمٌ فَثَرْمُ خَزْم شَتْرٍ خَرِب، ولكن هذا يؤدي إلى تغيير العروض من: فَعِلُنْ إلى فاعلن مخالفة لقانون هذا العلم. الثَّلْمُ: يدخل على بحري الطويل والمتقارب بحذف أول الوتد المجموع من تفعيلة (فعولن) فتصبح: (عُولُنْ). الثَّرْمُ: يدخل على بحري الطويل والمتقارب ويؤدي باجتماعه مع القبض إلى حذف أول الوتد المجموع، وحذف الخامس الساكن من تفعيلة (فعولن) فتصبح: (عُوْلُ). الخزم: زيادة حرف أو أكثر في أول صدر البيت، أو أول عجزه في بعض البحور. الشَّتْرُ: باجتماعه مع القبض يدخل على بحري الهزج والمضارع في تفعيلة (مفاعيلن) فتصبح: (فاعلن). الخَرْبُ: باجتماعه مع الكف يدخل على بحري الهزج والمضارع في تفعيلة (مفاعيلن) فتصبح: (فاعيلُ). العَضْبُ: يدخل على البحر الوافر ويؤدي إلى حذف أول الوتد المجموع من (مفاعَلَتُنْ) فتصبح: (فاعَلَتُنْ). القَصْمُ: باجتماعه مع العَصْب يدخل على البحر الوافر في تفعيلة (مفاعَلَتُنْ) فتصبح: (فاعَلْتُنْ). الجَمَمُ: يدخل أيضا على البحر الوافر في تفعيلة (مفاعَلَتُنْ) فيؤدي باجتماعه مع العقل إلى حذف الوتد المجموع، وحذف الخامس المتحرك من التفعيلة فتصبح: (فاعَتُنْ). العَقْص: يدخل على البحر الوافر في تفعيلة (مفاعَلَتُنْ) فيؤدي باجتماعه مع النقص إلى حذف أول الوتد المجموع، وإسكان الخامس المتحرك، وحذف السابع الساكن فتصبح التفعيلة: (فاعَلْتُ).

(٤) التَّشْعِيْثُ: يدخل ضرب الخفيف والمجْتَثّ فيؤدي إلى حذف أول الوتد المجموع من تفعيلة: (فَاْعِلاتُنْ) فتصبح: (فَالاتُنْ).

الباب الثاني في أسماء البحور وأعاريضها وضروبها

البحر الأول: الطويل[1]

ومن فعولن مفاعيلن تُكَـرّرُ أر ... بعاً لبيت طويلٍ بَحرُه انتحلِ
عـروضه ذات قبض والضـربُ له ... صَحٌّ وقبضٌ كذاك الْحذْفُ فيه تُلي

البحر الثاني: المديد[2]

وقد حَكوْا فاعلاتن فاعلن لِمَديْ ... دِ إنْ هما أربعا كَـرَّرْتَ يكتمل
قد جَـزَّؤُوْهُ وجوبا والعروض له ... صحيحةٌ ولَها الضربُ الصحيح فلي
وأَنَّ حَـذَفْتَ عـروضا فاذْرِ إنَّ لَها ... بالقصر والحذف والبتر الضروب تلي
وذات خَبْنٍ وحذفٍ مثلُها انْـتِ بِضَرْ ... بٍ وابتُرِ الضربَ أيضا غير مُحْتَفِلِ

* * * * *

(١) بحرُ الطويل: سمي كذلك لمعنيين، أحدهما أنه أطول الشعر، لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه ثمانية وأربعين حرفا غيرُه، والثاني أن الطويل يقع في أوائل أبياته الأوتاد، والأسباب بعد ذلك، والوتد أطول من السبب، فسمي لذلك طويلا. وميزانه الافتراضي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

(٢) بحرُ المديد: سمي هذا البحر بالمديد لأن الأسباب امتدت في أجزائه السباعية فصار أحدهما في أول الجزء والآخر في آخره. وميزانه الافتراضي:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ... فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

البحر الثالث: البسيط[1]

مستفعلن فاعلن وزْنُ البسيط إذا ... كَرَّرْتَه أربَعاً لم تُخْطِ في السُّبُلِ
مَخبونةٌ ضربُها خبنٌ ومنقطع ... وللصحيحة إن جزَّأْتَها احْتَمِلِ
مع الإزالة تُجْزِئاً كذاكَ مع الـ ... ـتّصحيح والقطع بالتجزيئ لا تُبَلِ
وذاتُ قطع وتَجزيئٍ يُماثلها ... ضربٌ كما هَيَّجَ الأشواق من طلل

البحر الرابع: الوافر[2]

كرّرْ مفاعلتن ستا لوافرها ... فذاتُ قطفٍ حَوَتْ م الضرب للمثل
وذات صَحٍّ وتَجزيئ لها انْتِ مُمَا ... ثلا وتَجزئة مع عَصْبِها أنِلِ

البحر الخامس: الكامل[3]

لكامل ست مرات حكوا متفا ... علن لذات تَمام مثلها انْتَحِلِ
واقطعْ وحُذْمع إضمار ومُوثِلَتِ[4] الْـ ... ـحَذَا وحُذَّ مع الإضمار تَمْتَثِلِ
وذات صح وتجزي تجزؤ ضربا ... وهو رفل أزل صح اقطعا تئل[5]

(١) بحرُ البسيط: سمي بسيطا لانبساط الأسباب في أجزائه السباعية فحصل في أول كل جزء من أجزائه السباعية سببان. وميزانه الافتراضي:

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن ... مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

(٢) بحرُ الوافر: سمي بهذا الاسم لتوفر حركاته لأنه ليس في الأجزاء أكثرَ حركاتٍ من مُفَاعَلَتُن، وقيل لوفور أجزائه. وميزانه الافتراضي:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن ... مفاعلتن مفاعلتن فعولن

(٣) بحرُ الكامل: سمي كاملا لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة، ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره، والحركات وإن كانت في أصل الوافر مثل ما هي في الكامل فإن في الكامل زيادة ليست في الوافر وذلك أنه توفرت حركاته ولم يجئ على أصله، والكامل توفرت حركاته وجاء على أصله، فهو أكمل من الوافر فسمي لذلك كاملا. والميزان الافتراضي للبحر الكامل هو:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

(٤) موثلت: أقيمت على شكل، مثل غيرها.

(٥) هذا البيت كذا ورد. لم يتوصل فهمي إلى معنى واضح له.

البحر السادس: الهَزَج[1]

مَجْزُوء ستٍّ مفاعيلن لدى هزج فللصحيحة صحاً حذفها انْتَثِلِ

البحر السابع: الرَّجَز[2]

مستفعلن ستّ مراتٍ حوى رَجَزاً فذات تَمٍّ لِتَمٍّ قَطْعاً[3] انْتَحِلِ
وذات جزءٍ وصُحٍّ موثلت ولذا تالشطركالنّهكِهيالضربفيالنحلِ[4]

البحر الثامن: الرَّمَل[5]

للرَّمل من فاعلاتن ستة فلذا تالْحذف تَمٌّ وقصْرٌ والمثيلُ صِلِ
وذات جزءٍ وصُحٍّ فالْمُجَزَّأ من تسبيغِ أو صُحٍّ أو حَذْفٍ لَها اقتبلِ

---

(١) بحرُ الهَزَج: سمي بهذا الاسم لتردد الصوت فيه، والتَّهَزّج تردد الصوت، يقال هذا يهزج في نفسين، فلما كان الصوت يتردد في هذا النوع من الشعر سُمّيَ هَزَجًا، وبعبارة أخرى: لما كان التهزّجُ تَرَدُّدَ الصوتِ وكان كل جزءٌ منه يتردد في آخره سببان سُميَ هَزَجًا. والميزان الافتراضي لبحر الهَزَج هو:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

(٢) بحرُ الرَّجَز: سمي رَجَزاً لأنه يقعُ فيه ما يكونُ على ثلاثةِ أجزاء. وأصله مأخوذٌ من البعير إذا شُدَّتْ إحدى يديه فبقى على ثلاث قوائم. ويقال مأخوذ من قولهم ناقةٌ رَجْزَاء، إذا ارتعشت عند قيامها لضعفٍ يلحقها أو داء، فلما كان هذا الوزن فيه اضطرابٌ سُمّيَ رَجَزاً تشبيها بذلك. والميزان الافتراضي لبحر الرَّجَز:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(٣) نون التنوين في كلمة (قَطْعاً) يجب نطقه مُحَرَّكا بالكسر وموصولا بالألف الساكن أول كلمة: انتحل، هكذا: (قَطْعَنِ انْتحل) ليستقيم الوزن.

(٤) الشطر الثاني به خلل.

(٥) الرَّمَلُ: سُمّيَ بهذا الإسم لأن الرَّمَل نوعٌ من الغناء يخرج من هذا الوزن فيُسمَّى بذلك، وقيل سمي رَمَلاً لدخول الأوتاد بين الأسباب وانتظامه كرَمَل الحصير الذي نُسِج به. وميزانه الافتراضي هو:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

البحر التاسع: السريع[1]

وللسريع اثْـتِ مفعولات يسبقها ... مستفعلن مرتين مرتين قُلِ
فذات طيٍّ وكشْفٍ وَقْفاً[2] اطْوِ لَهَا ... أو مثلها اذْكُرْ أوِ اصْلِمْ غير منعذلِ
وذات خبل وكشف مثلها اثْـتِ وذا ... تالشطر مَعْ وَقْفٍ أَوْ كشفٍ لدى العملِ

البحر العاشر: المُنْسَرِح[3]

لِمُنْسَرِحٍ هو مفعولات يسبقها ... وبعد مستفعلن وارْدُدْهُ عن كَمَلِ
فذاتُ صُحّ لَها طيّ وصاحَبَتَا ... وَقْـفٍ ونَهْـكٍ كشفُهُ افْتَعِلِ

* * * * *

(١) السريع: سمي سريعا لسرعته في الذوق والتقطيع لأنه يحصل في كل ثلاثة أجزاء منه ما هو على لفظ سبعة أسبابٍ لأن الوتد المفروق أولُ لفظه سببٌ والسببُ أسرعُ في اللفظ من الوتد، فلهذا المعنى سمي سريعا. وميزانه الافتراضي هو:

مستفعلن مستفعلن مفعولات ... مستفعلن مستفعلن مفعولات

(٢) نون التنوين في كلمة (وقْفاً) يجب نطقه مُحَرَّكا بالكسر وموصولا بالألف الساكن أول كلمة: اطو، هكذا: (وَقْفَنِ اطْو) ليستقيم الوزن.

(٣) بحرُ المُنْسَرِح: سمي مُنْسَرِحاً لانسراحه مما يلزمُ أضرابَهُ وأجناسَهُ، وذلك أن مستفعلن متى وقعت ضَرْباً فلا مانع يمنعُ من مجيّها على أصلها، ومتى وقعت في ضَرْبِه لم تجئ على أصلها لكنها جاءت مَطْوِيَّةً، فلانسراحه مما يكون في أشكاله سُمي مُنْسَرِحاً. وميزانه الافتراضي:

مستفعلن مفعولات مستفعلن ... مستفعلن مفعولات مستفعلن

البحر الحادي عشر: الخفيف[1]

وبينما فاعلاتن مرتين حَكوْا ... مستفعلن لِخفيفٍ مرتين جُلي
فللصحيحة ذو صُحٍّ ومُنْحَذِفٌ ... وإن يُشَعَّثْ أخو التصحيح لَم يَهُلِ
واحْذف لمحذوفةٍ أوْلِ الصحيحة جُزْ ... ءَ مِثْلَ أَوْ قَصْرُ مخبونٍ يُجَزَّؤُلِ[2]

البحر الثاني عشر: المضارع[3]

مضارعُ فاعلاتن قبلها ائتِ مفا ... عيلن وبعْدُ وكلاً مرتين قُلِ
قد جَزَّؤوه وجوبا والعروض له ... صحيحة ولَها الضرب الصحيح يلي

البحر الثالث عشر: المقتضب[4]

الْمُقتضبُ هو مفعولات يتبعها ... مستفعلن مرتين مرتين تلي
قد جَزَّؤوه وجوبا والعروض له ... مطويّةٌ ولطيّ الضرب عُجْ ومِلِ

---

(١) بحرُ الخفيف: سمي خفيفا لأن الوتِدَ المفروق اتصلت حركتُه الأخيرة بحركات الأسباب فخَفَّتْ، وقيل سمي خفيفا في الذوق والتقطيع، لأنه يتوالى فيه لفظُ ثلاثة أسباب، والأسباب أخفُّ من الأوتاد. وميزانه الافتراضي:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ... فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

(٢) يُجَزَّؤِل: كذا رُسِمَت في الديوان وفي مخطوطته.

(٣) بحرُ المُضارع: سمي كذلك لأنه ضارع الهَزَج بتربيعه وتقديم أوتاده. ولم يُسْمَعِ المضارع من العرب، ولم يجيء فيه شعر معروف. وميزانه الافتراضي:

مفاعيلن فاعلاتن ... مفاعيلن فاعلاتن

(١) بحرُ المُقْتَضَب: سمي مقتضَباً لأن الاقتضاب في اللغة هو الاقتطاع، ومنه سُمي القضيبُ قضيباً. وميزانه الافتراضي:

مفعولات مستفعلن ... مفعولات مستفعلن

البحر الرابع عشر: المجتث[1]

مُجتثها فاعلاتن مرتين تلت مستفعلن مرتين كلها ارْتَسِلِ
قد جَزَّؤوه وجوبا والعروض له والضرب صحًّا وبالتشعيث لَم يُبَلِ

البحر الخامس عشر: المتقارب[2]

ثَمانيا من فعولن جازها متقا ربٌ لذات الصحاح الْمثل خُذْ تَطُلِ
واقصُرْ أواحْذف أوابْتُرْهُ وإنْ حذفت مُجَزَّأة مثْلا أو بَتْراً يُجَزَّؤُلِ[3]

* * * * *

(١) بحرُ المجتث: سمي مجتثا لأن الاجتثاث في اللغة الاقتطاع كالاقتضاب. وميزانه الافتراضي:

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

(٢) بحرُ المتقارب: سمي كذلك لتقارب أوتاده بعضها من بعض لأنه يصل بين كل وتدين سببٌ واحدٌ فتتقاربُ الأوتاد فسمي لذلك متقارباً. وميزانه الافتراضي:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

(٣) هذا البيت ورد مختلا في شطريه فقد وردت عروضه ملحقة ببداية الشطر الثاني فرددتها إلى موقعها في الشطر الأول فاستقام وزنه. أما الشطر الثاني فمختل بها وبدونها.

البحر السادس عشر: المتدارك[1]

ومن ثَمانية من فاعلن متداركٌ ... فـذاتُ تَمـامٍ ذو التمـام يلي
وذاتَ جَزْءٍ وصُحّ صِلْ بتجزيئهم ... تَرْفيلَ خبْنٍ لا صِحَّةً تَصِلِ
والخبنُ قُلْ خَبَبٌ يعلو ويقطعُ حشْـ ... ـواً ثم ذيْنك في بيت به اسْتَحِلِ

* * * * *

(١) بحرُ المتدارك: يقال تدارك به الأخفش (ت ٢١٠هـ تقريبا) على البحور التي اكتشفها شيخه الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ). وقيل سمي بالمتدارك لتداركه المتقارب، لأنه خرج منه بتقديم السبب على الوتد. أنظر: كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي، لأحمد بن عبَّاد القنائي (ت ٨٥٨هـ)، تحقيق الدكتور عبدالمقصود محمد عبدالمقصود، مكتبة الثقافة الدينة، بورسعيد، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الحاشية رقم ١، ص١٠٠. لم يعترف بهذا البحر عدد من علماء العروض مثل التبريزي يحي بن علي الخطيب الشيباني (ت ٥٠٢هـ) في كتابه: علم العروض والقوافي، وكذلك ابن القطّاع أبي القاسم علي بن جعفر (ت ٥١٥هـ)، في كتابه: البارع في علم العروض، وغيرهما. وميزانه الافتراضي:

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن ... فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

الخاتمة

البيتُ تَـمَّ إذا استوفى لدائرةٍ ... أوْ لا عروضا وضَرْبا للوفا امْتَثِلِ[1]
والبَأْوُ ما استكمل الأجزا بغير سِنَا ... دٍ ثُمَّ نصبٌ خلا من قبحه الخطلِ[2]
جزءٌ وشطرٌ ونَهْكٌ للعروض وضَرْ ... بٌ زال والنصف والثُّلثَين إن تَزُلِ[3]
وإن يخالف عروضا ضربه بِرَوِ ... يٍّ مُصْمَتٌ حيث لا تصريعاً انْتَهلِ[4]
لكن إذا غُيّرَت شرطا ليستويا ... كذا المُقَفَّى سوى التغيير عنه جُلِ[5]
عروضها أخرُ الْمصراع الأول واسْـ ... ـمُ العَلَم ذا ولها التأنيث خذه جُلي[6]

---

(١) البيت التام: ما استوفى أجزاء دائرته من عروض وضرب بلا نقص. الوافي: ما استوفاها منهما بنقص كالطويل. الدائرة: في علم العروض ينتظم في إطارها عدد من البحور، وهي ليست واحدة بل خمس دوائر هي: دائرة المختلف، ودائرة المؤتلف، ودائرة المُجْتلب، ودائرة المُشْتبه، ودائرة المتفق. وسيأتي مزيد بيان حول الدوائر في صفحة تالية.

(٢) البأو: اسمٌ لِتَجَنُّبِ المُسْتَحْسَن من السناد دون المستقيح، فالمستحسن وقوع الضم مع الكسر، والمستقبح وقوع الفتح مع الضم أو الكسر. الخطيب الشيباني ص١٦٨.

(٣) الجَزْءُ بفتح الجيم هو إسقاط العروض أو الضرب من البيت. والبيت المجزوء هو ما حُذفت عروضه وضربه، وحكمه الوجوب في خمسة أبحر هي: المديد، والهزج، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، وجايز وقوعه في البسيط والوافر والكامل والخفيف والرجز والمتدارك والمتقارب، ويمتنع في الطويل والمنسرح والسريع. الشطرُ بفتح الشين المشدد وهو حذف شطر بأكمله من البيت وتصبح عروضه ضربه. النهك: بفتح النون المشدد هو البيت الذي سقط ثلثاه وبقي ثلثه، ويقع في الرجز والمنسرح. والجَزْءُ والشطرُ والنهكُ من علل النقص.

(٤) المُصْمَت: هو البيت من الشعر الذي اختلفت عروضه عن ضربه في القافية ويكون في مطلع القصيدة حصرا.

(٥) قول الشيخ المحقق: "لكن إذا غُيّرَت شرطا ليستويا" يريد البيت المُصَرَّع وهو ما غُيّرَتْ عَروضُه لتستوي بضربه. المُقَفَّى: هو البيت الذي وافقت عروضه ضربَه في الوزن والرَّوي دون لجوء إلى تغيير في العروض.

(٦) قوله لها التأنيث: أي أن لفظة العروض مؤنثة، وموقعها آخر المصراع الأول من البيت. وأصل كلمة العروض في اللغة الناحية، من ذلك قولهم: أنت معي في عروض لا تلائمني. أي في ناحية.

ومنتهى عَدّها في البحر أربعة ... ومنتهى عدها في الكل عَدُّوَلِ[1]
والضربُ في العجز يأتي كالعروض لدى ... صدر يُقَدّمُ والتذكير فيه عَلي[2]
وغاية البحر منه تسعةٌ وعلى ... ستينَ معْ سَبْعَةٍ في الكل لم يَعُلِ
وإن تَنَوَّعَ فالتجريد عيبٌ وفي ... العروض الإقْعَادُ قد ضاهاه في السُّبُلِ[3]
الابْتِدَا الْجَزْءُ إنْ يُجْزَمْ ورُبَّ زحا ... فٍ لا يخص بحشْوِ الإعتماد صِلِ[4]
وإنْ عروضٌ وضَرْبٌ خالفاه بِصُحٍّ ... واعتلالٍ بفصل غاية يُقَلِ[5]
موفور الجزء لَم يُجْزَم وسالِمها ... ما لَم يُزَاحَف وكلٌّ غير منحضلِ[6]
وللصحيح اعْزُما ضربا خلا وعرو ... ضا من سوى واقعٍ في الْحشو مُدَّخَلِ[7]
وبالمُعَرَّى يسمَّى الْجزْء حيث خلا ... مِمَّا عليه جوازاً زِيْدَ في العِلَلِ[8]

* * * * *

(١) عَدُّوَلِ: كذا رُسِمَتْ في الديوان وفي مخطوطته.
(٢) الضرب مذكر بخلاف العروض وموقعها آخر المصراع الثاني.
(٣) هذا البيت لا يستقيم برسمه الوارد به. والأشبه بالصواب أن يكون بالرسم التالي:
وإن تنوع فالتجريد عيب وفي الْـ ... عروض إقعاد قد ضاهاه في السبل
التجريد: هو اختلاف ضروب القصيدة الواحدة. الإقعاد: اختلاف العروض في القصيدة من غير تصريع. والتجريد والإقعاد هما من عيوب الشعر.
(٤) الابتداءُ: كل جزءٍ أوَّلَ بيت أُعِلَّ بعلة ممتنعة في حشوه كالخرْم. الاعتماد في تعريف الخوَّاص هو: كل جزءٍ حشوي زوحِفَ بزحافٍ غير مختص. وهناك تعريفات أخرى لغيره. وسمي اعتمادا لأن زحافه يعتمد على حالة الوتد قبله وبعده.
(٥) الفَصْلُ: كلُّ عروضٍ مخالفةٍ للحشو صحةً وإعلالا. الغايةُ: في الضربِ كالفَصْلِ في العروض.
(٦) الموفور: كلُّ جزءٍ سَلِمَ من الخَرْم مع جوازه فيه. السالمُ: كلُّ جزءٍ سَلِمَ من الزحاف مع جوازه فيه.
(٧) الصحيح: كلُّ جزءٍ لعروضٍ وضربٍ سَلِمَ مما لا يقع حشواً كالقصرِ والتذييل.
(٨) المُعَرَّى: كلُّ جزءٍ سَلِمَ من علل الزيادة مع جوازها فيه كالتذييل.

العلم الثاني: علم القوافي[1]

واذْكُـرْ لقافـيةٍ مِنْ آخِرٍ لِمُحـرْ ... رِكٍ بِسَكْنٍ وسيطٍ بين ذين تُلي[2]
ثم الرّوِيّ اسمُ حـرفٍ في القصيد له ... تُعْزَى وتُبْنى عليـه غير مُنْتَقِلِ[3]
وما عن إشباع تَحريك الرّوِيّ نَشَا ... فالوصلُ والهَا كذا إنْ للرّوِيّ تلي[4]
وعن تَحرُّكِ ذي الْهاء الخروج نَشَا ... والرَّدْفُ قبلَ رويٍّ مدُّهُ ابْتَدِلِ[5]

(١) علم القوافي هو العلم الذي يدرس قواعد وأحكام قافية القصيدة العربية، ويحددها صحة وفسادا، ويصنف نوعها، وما يجوز فيها وما لا يجوز. والقافية مأخوذة من القفو بمعنى الاتباع، ويُنقل عن ابن دريد قوله: "سُمّيَتْ قوافي لأن بعضها يتلو بعضا". (كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب الشيباني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: الحسَّاني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، الحاشية رقم ١، ص١١٩). و"القوافي تسعٌ، ثلاثٌ مُقَيَّدَة، وستٌّ مُطْلَقَة، فالمقيد ما كان غيرَ موصولٍ، والمطلقُ ما كان موصولاً، ثم المقيد على ثلاثة أضْرُب: مُطْلَقٌ مُجَرَّدٌ، ومطلق بخروج، ومطلق بِرِدْفٍ، ومطلقٌ بردْفٍ وخروج، ومطلق بتأسيس، ومطلق بتأسيس وخروج". الخطيب الشيباني ص١٤٦. "والقافية قد اختلفوا فيها، فقال الخليل: هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، وقال الأخفش: هي آخر كلمة في البيت أجمع، وإنما سميت قافية لأنها تقفو الكلام، أي تجئ في آخره، ومنهم من يسمى البيت قافية، ومنهم من يسمي القصيدة قافية، ومنهم من يحعل حرف الروي هو القافية. والجيد المعروف من هذه الوجوه قول الخليل والأخفش". الخطيب الشيباني ص١٤٩.

(٢) اختار الخوَّاصُ تحديد الخليل للقافية فقال في كتابه الكافي ص١١٩: "وهي من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما".

(٣) للقافية ستة حروف، أولُها: الرَّوِيُّ: وهو الحرفُ الذي تُبْنَى عليه القصيدة وتُنْسَبُ إليه، فيُقَال: قصيدة نونية أو رائية أو ميمية. الكافي للخوَّاص ص١٢٢-١٢٤.

(٤) الإشْبَاعُ: يعني إشباع حركة الرَّوِيّ أو هاءِ تليه. والإشباعُ يندرج في الوصل وهو ثاني أحرف القافية.

(٥) الخرُوجُ: هو ثالث حروف القافية، وهو حرف ناشئ عن حركة هاء الوصل ويكون ألفا مثل: (يوافقها) فالقاف في يوافقها هو حرف الرَّوِيّ، والهاء وَصْلٌ، والألف خروج، وقس على ذلك: (يُحْسِنُونَهُ) فالنون روي، والهاء وصل، والواو خروج، وكذلك: (نَعْلِهِ) فاللام روي، والهاء وصل، والياء خروج. الرّدْفُ: هو رابع الحروف وهو حرف مَدٍّ قبل الرَّوِيّ.

أو حـرف لين وللتأسيس ضع ألفاً ... قبل الـرَّويّ بحرْفٍ غير مُنْفَصلِ[1]
وسَبْقُهُ كِلْمَةٌ فيها الرويّ أُجِرْ ... إنْ مُضْمَراً كان أو بعض الضمير جلي
وإنْ رويّ خلا من ذَيْن حيث عَرَا ... ذا الانفصال فمِن قولين غيرُ خلي
ثُمّ الدخيلُ اسمُ ما يتلو المؤسس من ... حَرْفٍ وفي حركات القول هاكَ يلي[2]
فَسِمْ بِمُجْزَى لتحريك الرويّ وبا ... لنّفَاذ تَحْريك هاءٍ بعد مُتّصلِ[3]
والحذوُ ما بِـرَوِيٍّ مُطْلَقٍ تُلِيَتْ ... وَسَمّ الاشباع ذا، إن في الدخيل كُلي[4]
والرَّسّ ما قَبْل تأسيسٍ وقَبْل رَوِيْ ... يِ قُيِّدَ انْسبْ لتوجيهٍ عن الأُوَلِ[5]
جَرّدْ لمُطْلَقِها أرْدِفْ وأسِّسِ ثُمْ ... مَ الكلّ باللين أو بِالْهَا لديه صِلِ[6]
وإنْ مُقَيّدَةً وافَتْكَ قافية ... جَرّدْ وأرْدِفْ أَوَاسِّسْ دون ما جَدَلِ[7]

(١) التأسيس: هو خامس حروف القافية، وهو ألف بينه وبين الروي حرف، ويكون من كلمة الروي مثل: كلمة: سالم في قول الشاعر: وليس على الأيام والدهرُ سالمُ، فالألف تأسيس، والميم دخيل، واللام روي. ومن غيرها إن كان الرويّ ضميرا مثل: كلمة: ولا ليا، في قول الشاعر: فما لكما في اللوم خير ولا ليا، فالألف تأسيس، والام دخيل، والياء روي.

(٢) الدخيل: هو سادس الحروف، وهو حرفٌ متحركٌ بعد التأسيس مثل (لام) كلمة سالم.

(٣) قوله التحريك يريد حركات القافية وهي ستٌّ. المُجْزَى: هي حركة الرَّويّ المُطْلَق. النَّفَاذُ: حركة هاء الوصل كما في: يوافقها، ويحسنونهُ، ونعلِهِ.

(٤) الأشبه بالصواب في رسم كلمتي: (وسَمّ الاشباع ذا) ليستقيم وزن الشطر الثاني أن يكون بالصورة التالية: (وسَمِّ إشْبَاعَ ذا). الْحَذْوُ: ثالث الحركات، وهو حركة ما قبل الرِّدْف كحركة الباء في كلمة (البالي)، والشين في (مشيب)، والحاء في (سرحوب). الإشباع: هو حركة الدخيل ككسرة لام (سالم)، وضمَّة الفاء في (تدافُع)، وفتحة الواو في (تَطَاوَلي). كلي: رسمت في المخطوطة بضم حرف الكاف وفي الديوان بفتحه. لم أجد لها معنى مقاربا في المعجم.

(٥) الرَّسُ: هو خامس الحركات، وهو فتحة ما قبل التأسيس كفتحة سين (سَالم). التَّوْجيه: سادس الحركات، وهو حركة ما قبل الروي المُقَيَّد.

(٦) مُطْلَقِهَا: المُطْلَقُ أحد نوعي القافية التسعة. وتندرج تحت المطلق ستة أنواع أوَّلُهَا: مُجَرَّدَة موصولة باللين، وثانيها مطلقة مجردة موصولة بالهاء، وثالثها مطلقة مردوفة موصولة باللين. ورابعها مطلقة مردوقة موصولة بالهاء. وخامسها مطلقة مؤسسة موصولة باللين. وسادسها مطلقة مؤسسة موصولة بالهاء.

(٧) المُقَيَّدَةُ: النوع الثاني لحركة القافية وهي ثلاث حركات: مُجَرَّدَة، ومردوفة، ومُؤسسة.

وادْعُ التي بين سَكْنَيْها الحروف مِنَ ارْ ... بَع إلى ملتقى السَّكْنَيْنِ في الجُمَلِ
كاوِسْ وراكِبْ ورادِفْ وأْتَرِن ... فَاقْضِ فيها على الترتيب تَنْفَعِلِ[1]
وإن أتى الوَتَدُ المجموعُ آخِرَ جُزْ ... ءٍ جائز الطيّ أو خَبْنٍ أو الْخَزَلِ[2]
راكِبْ ودَارِكْ إذاً جَمْعًا أُجِيْزَ وكا ... وِسْ مَعْهُمَا إنْ تَشَا في الْجايز الخبلِ
والعيبُ إنْ كِلْمَةً فيها الرويّ تعد ... لفظا ومعنى هو الإيطاء عنه جلي[3]

(١) كاوس: مصطلح عروضي وهو أن تتوالى أربع حركات بتَرَكُّب السببين مثل: سَمَكَة، ضَرَبَني، ويسمى الفاصلة الكبرى. والتكاوس في معاجم اللغة معناه: التراكم والتزاحم، ومعان أخرى. وأْتَرِنْ: أَتَرَ الشيْ: أبْعَدَه، وأَتَرَ يده: قَطَعَها. هذا الشطر نقله محقق الديوان بالرسم التالي: (كاوِسْ وراكِبْ وادْرَاكْ واترن ورادِفْ). وبالرجوع إلى المخطوطة يظهر أن كلمة (وادْرَاكْ) أصلها: (ودَارِكْ) ولكن المحقق أخطأ في نقلها بسبب خطأ الناسخ حيث داخَلَ أحرفها في أحرف كلمة: (ورادِفْ) التي عاد فكتبها فوق كلمة: (وأْتَرِنّ) بما يُفْهم منه استدراكه الخطأ الذي وقع منه في مداخلة أحرف كلمتي (رادف ودارك) التي نقلها محقق الديوان مخطئا كذلك في رسمها حيث كتبها: (وادْرَاكْ). للقوافي في أسماء فيما يلي شرحها: المتكاوس: أربعة أحرف متحركة بين ساكنين في آخر البيت. سمي متكاوسا للاضطراب ومخالفة المعتاد. الخطيب الشيباني ص١٤٧. المتراكب: ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين. وسمي متراكبا لأن الحركات توالتْ فركبَ بعضها بعضا. وهو دون المتكاوس، لأن مجيء الشيء بعضه على إثْر بعض دون الاضطراب. الخطيب الشيباني ص١٤٨. المتدارك: حرفان متحركان بين ساكنين، وسمي متداركا لتوالي حرفين متحركين بين ساكنين. والتدارك دون التراكب، لأن الخيل وغيرها إذا جاءت متداركة كان أحسن من أن يركب بعضها بعضا. الخطيب الشيباني ص١٤٨. المتواتر: حرفٌ متحركٌ بين ساكنين، وسمي متواترا لأن المتحرك يليه الساكنُ، وليس هناك من تتابع الحركات ما في المتدارك وما فوقه. الخطيب الشيباني ص١٤٨. المترادف: اجتماع ساكنين في القافية، وسمي مترادفا لأن أحد الساكنين رَدَفَ الآخر. الخطيب الشيباني ص١٤٨.

(٢) الوتدُ المجموعُ إذا كان آخر الجزء وجاز طيُّه كالبسيط والرَّجَز أو خَزْلُه كالكامل، أو خَبْنُه كالرَّمَل والخفيف والْمُجْتَثّ جاز اجتماعُ الْمُتَرَاكِبِ والْمُتَدَارِكِ، أو خَبْلُه كالبسيط والرَّجَزِ اجتمعَ الْمُتَكَاوِسُ مع الأوَّلَيْن.

(٣) الإيطاء: من عيوب القافية وهو أن تتكرر الكلمة لفظا ومعنى مثل أن لو قال الشاعر: (الرجُل والرجُل). أما إذا تكررت نفس الكلمة لمعنيين لم يكن إيطاءً نحو: رجُل (نكرة) والرجُل (معرفة)، ونحو: (ذهب) بمعنى معدن الذهب، وكلمة: (ذَهَبَ) بمعنى فعل الذهاب، أي سار ومضى، فذلك لا يعد إيطاءً. وبجانب ذلك نقل الخطيب الشيباني عن الخليل بن أحمد أمثلة شبيهة لكنه عدها من

وإنْ تعلَّقْ ببيتٍ بعد قافية ... لم تُغْنِ معنىً فَذَا التضمينُ فاحْتَظِلِ[1]
وسَمْ بالاقْوَا والانْصِرَافِ مُخْتلفَ الْـ ... ـمَجْرَى بِقُرْبٍ وبُعْدٍ كلُّه اقْتَصِلِ[2]
وسمّ الاكفاءَ تَخليفَ الرّوِيّ بأحْرُ ... فٍ لَها مخرجٌ بالاقتراب ذَلِلِ[3]

الإيطاء مثل أن لو أورد الشاعر كلمة: (ثَغْر) بمعنى الفم وأتبعها بكلمة (ثَغْر) بمعنى الحرب، وكذلك أن لو ذكر الشاعرُ كلمة: (كلب) بمعنى إسم قبيلة كلب، وأردفها بذكر كلمة (كلب) إسم الحيوان، فرغم اختلاف المعنى في السياقين إلاَّ أن تكرارهما عَدَّه الخليلُ إيطاءً. وقال الخطيب الشياني (ص١٦٣): "وهذا هو الصحيح". ونقل عن الأخفش (تلميذ الخليل، ويُعْرَف بالأخفش الأوسط، واسمه سعيد بن مسعدة، تُوفي سنة ٢٢١هـ) أنه يُجْرِي "الرجُل" إذا كان اسما علما و"الرجل" إذا كان من الرجولية مجرى (ذهب) من التبر، و(ذهب) من الذهاب، أي أنه يوافق قول الخليل. ثم قال الخطيب الشيباني: "وأما غير الخليل كمُؤَرِّج والأخفش (علي بن سليمان بن الفضل، تُوفي سنة ٣١٥هـ، ويُعْرَف بالأخفش الأصغر تمييزاً له عن الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبدالحميد بن عبدالمجيد من قدماء علماء العربية، توفي سنة ١٧٧هـ) والنَّضْر بن شُمَيْل والجَرْمِيّ وغيرُهم فإنهم يقولون: إذا اختلف المعنى واتفق اللفظُ فليس بإيطاء".

(١) التضمين: هو أن تتعلق قافية البيت الأول بقافية البيت الثاني، وسمي كذلك لأن البيت الثاني تضمن معنى الأول فصار الأول لا يتم إلا بالثاني. الخطيب الشيباني ص١٦٦.

(٢) عيوب الشعر ثمانية: الإقواء والإكفاء والإيطاء، والسناد والتضمين والإجازة، والرمل والتجريد. والإقواء: هو اختلافُ حركة الرَّوي في قصيدةٍ واحدة، وهو أن يجيْ بيتٌ مرفوعاً وآخرُ مجروراً. والإقواءُ من قولك فَتَلَ الفاتِلُ الحبْلَ فأقواه إذا نَبَتْ قوَّة من قُوَاه. فلما خالفت القافيةُ سائرَ قوافي القصيدةِ معها باختلاف حركاتِ المجرى قيل أقْوَى أيْ خالفَ بين قوافيه. الخطيب الشيباني ص١٦٠. المَجْرَى: إحدى الحركات الست للقافية، وهي حركة الرَّوِيّ المُطْلَق مثل ضمة الميم في قول الشاعر: سُقِيتِ الغيثَ أيتُها الخيامُ. الكافي الوافي بعلم القوافي للعصامي (ت ١٠٣٧هـ)، تحقيق عدنان عمر الخطيب، دار التقوى للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٦١. الإصراف: اختلاف المَجْرَى بفتح وغيرها.

(٣) الإكفاء: اختلافُ حرفِ الروي في قصيدة واحدة وأكثرُ ما يقعُ ذلك في الحروف المتقاربة المخارج. وأصله من كفأتُ الإناءَ إذا قلبتُهُ فالمُكْفَأُ المُخَالَفُ به عن جهة العادة، فكذلك لما اختلف حرفُ الروي، أو لما اختلفت حركاتُهُ سُمّيَ ذلك العيب إكفاءً. الخطيب الشيباني ص١٦١.

وللإجازة إن تبْعُد وسِمْ بسنا ... دٍ إن تُخالف ما قبل الرَّويّ جلي[1]
سنادِ رِدْفٍ وتأسيسٍ لأحْرُفِها ... وفي التَّحَرُّكِ للإشباع ذا اعْتَمِلِ[2]
والجزء من قبل رِدْفٍ في التباعد ... والتوجيه قبل رَوِيّ قُيِّدَ احْتَمِلِ
تمت ولله حمدي والصلاة على ... النبيّ والآل والصحب الرّضى الكُمُلِ

* * * * *

(١) الإجازة: اختلافٌ بحروفٍ متباعدة المخارج. السناد: اختلاف مايُراعى قبل الرّويّ من الحروف والحركات. الخوّاص ص١٤٩-١٥٠. والسناد خمسة أنواع تم توضيحها في الحاشية رقم ٦٢٢ أدناه.

(٢) السناد: أصله من قولك أسندتُ الشيء إلى الشيء إذا حملته عليه وأضفته. وهو خمسة أنواع: الأول سناد التأسيس وهو أن يجيء بيتٌ مؤسسا، وبيتٌ غير مؤسس. والثاني سناد الْحَذْو، وهو الحركة التي تكونُ قبلَ الردْفِ، فإن كانت ضمةً مع كسرةٍ لم يكن عيبا. وإن جاءت الفتحةُ مع الضمة أو الكسرة فذلك سناد. والثالث سناد التوجيه وهو أن يكون قبل حرف الروي المقيد فتحةٌ مع ضمّةٍ أو كسرة، فإن كانت الضمة مع الكسرة لم يكن سناداً، وإن جاءت الفتحةُ مع إحداهما فهو سنادٌ عند الخليل، وليس سنادا عند تلميذه الأخفش لكثرته في أشعار العرب. الرابع سناد الإشباع وهو تغيير حركة الدخيل، فالضمة مع الكسرة غير معيب، والفتحة مع واحدةٍ منهما معيب. الخامس سناد الرِّدْف وهو أن يجيء بيتٌ مردُوفاً وبيتٌ غيرُ مردُوف. الخطيب الشيباني ص١٦٤-١٦٥.

(٢) أسنى الذخاير في فك الدوايـر
في علم العروض في أوزان الشعر

يظهر أن الشيخ المحقق رحمه الله تعالى أراد أن يضيف إلى نظمه المتقدم للعروض والقوافي نظما شعريا آخر يشرح فيه دوائر العروض التي ابتكرها الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) رحمه الله تعالى. وبذلك يبسط لقارئ ديوانه معرفة عروضية لها صفة الشمول. لكنه في نظمه للدوائر العروضية ينطلق من قريحته المعرفية وليس نظما لكتاب ألفه غيره كما فعل آنفا مع كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي للخوَّاص. والقصيدة التالية لم يتضمنها ديوان الخيال الوافر لكنني وجدتها في المخطوطة الأم. وأوردها محقق ديوان الشيخ في الترتيب الثامن عشر بين قصائد الديوان. والقصيدةُ في المخطوطة قُدِّمَ لها بالسطر التالي: "وله أيضا هذه القصيدة المُسَمَّاة أسنى الذخاير في فك الدوايـر في علم العروض في أوزان الشعر". وهي في المخطوطة والديوان بلا عنوان فوضعتُ لها العنوان أعلاه أخذا من السطر الذي قُدِّمَ به لها.

الْحمد للّٰه حمداً منه أحْتسِبُ ... ترجيحَ وزنيَ يوم الفضل يُكْتَتَبُ
ثم الصلاةُ على الهادي وأشرفَ تسْـ ... ـليم على آله والصحبِ يَنْسَحِبُ
وبعدُ فاحفظ أخي في الوزن وافيةً ... وافَتْكَ بالكشف للتصريح قد تَهَبُ
تأتي بتصريح أجْزَا كلَّ دائرةٍ ... وما تضمَّنَ من بَحرٍ له شُعَبُ
إذ كان ذلك مما في مظاهرِهِ ... عن نظم مَظْهَرِ خافي العِلْم مُجْتَنَبُ

ذكرُ الدوائرِ، مجموعُ الدوائرِ خَمْـ ... سٌ جَمْعُها خَفْشَلَقْ، ترتيبها عجب[1]
فالْخاءُ مُختلفٌ والفاءُ مؤتلفٌ ... والشينُ مُشْتَبِهٌ واللامُ مُجْتَلَبُ
والقافُ مُتَّفِقٌ جُزْآن قد جُمِعَا ... في كل دائرة أو واحدٍ غَرَبُ
ففي سوى ذاتِ تأليفٍ ومُشْتَبِهٍ ... أيضا ومتفق جُزْأيْنِ تُرْتَقَبُ
وكلُّ جُزْءٍ سُبَاعِيًّا يُعَدّ سوى ... ما فَاعِلُنْ أو فعولُنْ خَمسةٌ حَسَبُوا
واجْمَعْ ثمانيةً أجْزَاءَ مُختلفٍ ... تَمَّتْ لمُتَّفِقٍ ذا الحُكْمُ قد نَسَبُوا
وما سوى تَيْنِ من مَجموعِ دائرةٍ ... فالكلُّ ستةُ أجزاءٍ لها رُتَبُ
وَصْفُ الدوائرِ قُمْ فارْسِمْ لدائرةٍ ... إن شئت من حولها الأوزانُ تُكْتَتَبُ
فَلِلْمُحَرَّكِ عُرْفاً حلْقَةٌ ولَدَى ... ذي السَّكْنِ خطٌّ وقُمْ للوزْنِ تَعْتَقِبُ

* * * * *

(١) قول الشيخ: جَمْعُهَا خَفْشَلَقْ، فَسَّرَهُ في البيت التالي الذي أوضح فيه أن الأحرف الخمسة لهذي اللفظة مأخوذة من أحرف أسماء الدوائر الخمس، فالخاء من: دائرة المختلف، والفاء من: دائرة المؤتلف، والشين من: دائرة المشتبه، واللام من: دائرة المجتلب، والقاف من: دائرة المتفق. وعَرَّفَ العروضيون الدائرة بأنها خطٌّ محيطٌ تُرْسَمُ فوقه علاماتٌ مُتَحَرّكاتٌ وسَوَاكِن، هي شطرُ البحر الأول من جملة أبحرٍ يُفَكُّ بعضُها من بعض، وفي داخله تحت علامة كل بحر اسم ذلك البحر.

ذِكْرُ معرفة التّفْكيك

وإنْ تُرِدْ عُـرْفَ تفكيكٍ فتبدأ بالـ ... أُولى إلى المنتهى للأول ارْتَكَبُوا[1]
يثنى تبالى[2] سُكُون بعده وإليه ... المنتهى ثم تُجري هكذا النسبُ
حتى إذا ما استكمَلَ التفكيكُ عاد إلى ... مَا أَوَّلاً حاصلٌ فالدورُ مُنْقَضِبُ
والكلُّ منهُنَّ بالتفكيكِ منه بَدَا ... مُسْتَعْمِلٌ أبحُراً أو مُهْمَلٌ عَضِبُ
إلا لِمُشتبهٍ منها ومُتّفِقٍ ... فالكلُّ مُسْتَعْمَلٌ لا شيءَ يَنْسَلِبُ

* * * * *

(١) لمعرفة فك الدائرة العروضية سأضع هنا طريقة فك الدائرة الأولى كمثال يُقاس عليه فك الدوائر الأخرى: يُبْتَدَأُ في الأولى من الوتد الأول في الدائرة وصولا إلى منتهاها فيخرج: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، وهو شطر بحر الطويل. ثم تبتدئ من السبب الخفيف الأول فتقول: (لَنْ مفاعي لَنْ فعو لَنْ مفاعي لَنْ) وتضيف إليه ما فات وهو: (فعو) ووزن ذلك: (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) وهو شطر بحر المديد. ثم تبتدئ من الوتد، فتقول: (مفاعيلن فعولن مفاعيلن) وتضيف إليه ما فات وهو: (فعولن)، وهذا شطر البحر المهمل الأول ويُسمى المستطيل وهو ليس بعربي. ثم تبتدئ من السبب الأول بعد هذا الوتد الثاني، فتقول: (عيلن فعو لن مفا عيلن) وتضيف إليه ما فات وهو: (فعُو لن مفا) ووزن ذلك: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) وهو شطر بحر البسيط. ثم تبتدئ من السبب الثاني بعده فتقول: (لن فعو لن مفاعي لن)، وتضيف إليه ما فات وهو: (فعو لن مفاعي) ووزن ذلك: (فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) وهو شطر البحر المهمل الثاني (الممتد) وهو ليس بعربي.

(٢) (يثنى تبالى) هكذا في المخطوطة والديوان.

ذكرُ الدوائر مفصلة

فمن فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ لِمُخْتَلِفٍ ... إنَّ الطويلَ مديدٌ، بَسْطُهُ كُتُبُ
والْمُهملانِ بِها بحرانِ يَكْتَنِفانِ ... للبسيط فلا ترويهما العرَبُ
فالكلُّ خَمسةُ أوزانٍ ثلاثتُها ... حالٌ واثْنَانِ عُطْلٌ عُزَّلٌ سُلُبُ
ومن مفاعلتن تأليفُ مؤتلفٍ ... يا وافرَ الفضلِ هذا كاملٌ حسَبُ
بحرانِ مُسْتعمَلان ثُم ثالثُها ... وهْوَ الأخيرُ سليبٌ مُهْمَلٌ خَرِبُ
وقد أتوا بِمفاعيلن لِمشتبهٍ ... للْهَزْج معْ رَجَزٍ والرَّمْل تَنْتَسِبُ
وقد يُجاءُ بِمفْعُولاتِ يسبقُها ... مستفعلن مرتين للتي سلَبُوا
سارِعْ لِمنْسَرِحٍ خفّفْ مضارِعَه ... من قبل مُجْتَثّها في الذكْر مُقتضَبُ
ها ستةٌ كلُّها تسعٌ فأخرُها ... والثانِ والثالثَ اطْرَحْ إنها عُزُبُ
ومن فعولنْ لذات الاتفاق وقد ... تقارَبُوا إذْ تدَارَكْنا الذي سَلَبُوا
بحرانِ قد أودعاها مثلَ مشتبهٍ ... ثلاثةٌ لا سواها قطُّ تُكْتَسَبُ
فالكل ستة عشْرٍ أبْحُراً وسوا ... ها ستةٌ مُهْمَلاتٌ أبْحُرٌ جُنُبُ
وما سواهُنَّ من وزْنٍ يُعَدُّ سوى ... ما بالزحافات والتغيير يَضْطَرِبُ
جاء الْخليل بِها جمعا سوى مُتَدَا ... رِكٍ تُدُورِكَ من مَخبونه الْخَبَبُ

* * * * *

ذكرُ تفصيل التغيّر اللازم في كل بحر حتى يتلخص أوفى بيت منه

وإنَّ بعضا من الأوزان يلزمُها التْـ ... تَغْييرُ حتما كجزءٍ لازم رَكِبُوا
والكلُّ نذكرُه حتى يصحَّ لنا ... في البحر أوْفَرَ بيتٍ منهُ يُصْطَحَبُ
حتى يكونَ له أصلا يُمَهِّدُهُ ... وإنْ أتى بَعْدَهُ التغييرُ لا عَجَبُ
فالأصلُ يَحتملُ التفريعَ حيثُ أتى ... والفرْعُ حَتْماً إلى تأصيله يَثِبُ
أو في الطويل له قبضُ العروض ... إلى مفاعلن من مفاعيلن به نُكِبُوا
ثُمَّ البسيطُ له خبْنُ العروض ... وضَرْبٍ فلْيَقُلْ فَعِلُنْ إذ فاعلُنْ نَهَبُوا
وقد كفاك فعولن عن مفاعَلَتُنْ ... لوافرٍ فيهما إذْ جُزْؤُهُ خَرِبُ
والرَّمْلُ من فاعلاتُنْ في العَرُوض بحَذْ ... فٍ فاعِلُنْ قُلْ وَتَمَّ الضَّرْبُ لَم يَهَبوا
وفاعلن في سريع قام يَخْلفُ مَفْـ ... ـعُولاتٍ والضربُ سَكْناً زِدْ فلا وَصَبُ
والضَّرْبُ بالطّيّ يُبْلى حيث منسرح ... مستفعلن حذْفُ فا منهُ لهُ نُصُبُ[1]
فهذه ستةٌ تغييرُها عِلَلٌ ... والجزءُ في خمسةٍ أُخرى قد اكْتَسَبُوا
وهْيَ الْمديدُ وهَزْجٌ والْمضارع والْـ ... ـمُجْتَثُّ تَجْزِئةٌ في كلّها تَجِبُ
كذا لِمقتضبٍ لكن بطي عروضٍ ... منه كالضرب للتصحيح يُجْتَنَبُ
وما سواهُنَّ مِنْ بَحْرٍ فذلكَ بالتْـ ... ـصْحِيحِ يُحْمَلُ وهْيَ الْخمسَةُ القُطُبُ
فكاملٌ وخفيفٌ قبلهُ رَجَزٌ ... واثنين دائرةُ التوفيق تُصْطَحَبُ
والكلُّ في حشوها التصحيحُ جاء سوى ... بَحرينِ قدْ رَاقَبَا التزْحيفِ إذْ يَجِبُ
ففي المضارع مَحتوماً مراقبة ... كالجزءِ الأوَّلِ إذ يَحويه مُقْتَضَبُ
معنى الْمراقبة التصحيح في سببٍ ... حتماً له سببٌ حتماً له العَطَبُ
لمأَّهُما اجْتَمَعَا فادْعُ الزحافَ لِفَرْ ... دٍ منهما أبَداً ما عنه مُنْتَكَبُ

(١) يوجد استدراكٌ من الناسخ على الشطر الثاني من هذا البيت، فقد كتب بخط رفيع فوق كلمة (فا): "لعله ما".

ذكرُ التجزئة الغير اللازمة

وقد مضى أنَّهُ التّجْزِيءُ مُلْتَزَمٌ ... في خَمْسةٍ وسواها الآنَ أعْتَقِبُ
فالكلُّ فيها أجِزْ إلا الطويلَ معَ السْـ ... ـسَرِيعِ معْ ذي انْسِرَاحٍ عنهُ يَحْتَجِبُ
فالحَتْمُ في خمْسِها وامْنَعْ ثلاثتها ... وفي ثمانيةٍ تَجْوِيزُهُ ضَرَبُ
وفي السريع اشْطُراً، وانْهَكْ لِمُنْسَرِحٍ ... والكلُّ في رَجَزٍ يُرْوَى ويُرْتَكَبُ[1]

خاتمة

ولم أُطِلْ بسوى ما قد ذكرتُ هنا ... مِمَّا لأبْحُرِها تستودعُ الكُتُبُ
إذ ما قصدتُ بها إلا الدوائرَ حَتْـ ... ـتَى ينْقَضي بانْقِضا توصيفها الطلَبُ
لكنه صحّ أنْ ما كلّ دائرةٍ ... بِمُجْمَلِ الوزن منها يُدْرَكُ الأَرَبُ
من ذاكَ جئتُ بتوصيفٍ لأسْبَقِ بَيْـ ... ـتٍ للتَّمام، لايٍّ كان يَنْتَسِبُ
وما عدا ذاك مِمَّا دون مبْلَغِهِ ... فالكلُّ في مظهر الخافي له رُتَبُ
وافَتْ مُكَمَّلَةً أسْنَى الذخائرِ في ... فَكِّ الدوائرِ مثلَ الغيثِ تَنْسَكِبُ
أبياتُها عدداً كاسْم الجلالِ به ... تَيَامُناً إنَّهُ لليُمْنِ قد يَهَبُ
إني لإصلاح سعْيٍ من مَوَاهِبِهِ ... أرجو سداداً وللتوفيق أطَّلِبُ
واللّه أسألُهُ من بَحْرِ مِنَّتِهِ ... عفواً ولطفاً به أنْجو وأقْتَرِبُ
والْحمدُ للّه ربي والسلامُ على ... خير الورى معَ أهليهِ ومنْ صحِبوا

* * * * *

(١) اشْطُرَاً: فعلُ أمرٍ مؤكدٍ بنون التوكيد في آخره، تقول: إذهب واذْهَبَنّ، أُكْتُبْ واكتُبَنّ، ومثل ذلك أُشْطُرْ واشْطُرَنّ بمعنى طبّق علة التشطير على البيت. ولا أدري لم كتب في المخطوطة والديوان بهذا الرسم الذي أثبتُّه كما وجدتُّه ففوق كلُّ ذي علمٍ عليمْ.

المجال الثاني

شعر الشيخ

أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي

(١) تقديم بقلم أمير البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

إن جدنا الرضي، العلامة الكبير، جدنا الوالد أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي[١] رضي الله عنه وأرضاه. كان علامة جليلا لا يُشَقُّ له غبار، ولا يُلْحَقُ له مضمار، وكان أمَّاراً بالمعروف نَهَّاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يشغله حطام الدنيا، ولا يؤثر به متاعها، بل إنَّه

(١) ولد الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي في سمائل، ونشأ بها، وتأدب على أدبائها، وتفقه اجتهادا، ووافقه علماء سمائل في اجتهاده. كان له في الأدب أياد كريمة، يقول الشعر ويجيب به. ابتلي رحمه الله بعلة الصرع، وما زالت به حتى كانت سبب وفاته. كان أبيض اللون، أزهر الوجه، أنور المحيا، طويلٌ معتدل، تلوح على وجهه سمات الفضل، وتتجلى على محياه لوامع الشرف، عالما تقيا، زاهدا وليا. قال فيه الإمام السالمي: "كان عالما فاضلا، بهي الطلعة، يقر له بالفضل كل من رآه أو جالسه، أو حادثه، أو باحثه". بتصرف من كتاب: مقاصد الأبرار على مطالع الأنوار، للشيخ سالم بن حمود السيابي، طبع ونشر وزارة التراث القومي والثقافة سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٢، و٣. لم تكن للشيخ أحمد من المؤلفات المهمة غير منظومة مطالع الأنوار. وقد وضع الشيخ سالم بن حمود السيابي رحمه الله كتابه مقاصد الأبرار على مطالع الأنوار في شرح هذه القصيدة وهي في فقه الوصايا وأحكامها. توفي الشيخ أحمد بن سعيد رحمه الله ليلة إحدى عشرة من ذي الحجة سنة ١٣٢٤هـ، وكان عمره وقت وفاته نيفا وأربعين سنة. ورثاه عند وفاته أكابر الشعراء منهم الشيخ أبوالوسيم خميس بن سليِّم المنذري من أهل سمائل. وكذلك الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي. ومما قاله الشيخ أبو الوسيم المنذري في رثائيته العالية:

فجع البسيطة حادثٌ لا يُدْرَأ ... ولَرُبَّ خطْبٍ للخلائق يَفْجَأُ
هل كان أرْسَى الأرْضَ إلا شَمّها ... دُكَّ الأشَمُّ فأصبحت تَتَكَفّأُ
عَظُمَ المُصابُ فلا حياةَ هنيَّة ... أَوَبَعْدَ أحمد في حياةٍ مَهْنَأُ
أَوَبَعْدَ أحمد يرتضي خَرَزاً له ... أحَدٌ تساقطَ من يديه اللؤلؤُ
دَفَنَ المكارمَ دافِنُوكَ فأشرَقَتْ ... عجبا لمدفونٍ سناً يتلألأُ
وأضاءَ علمُكَ فانْمَحَى بضيائه ... ضوء النجوم فلم تكد تتضوَّأُ
نظرَ الأئمةُ في اجتهادِكَ مفتيا ... فإذا اجتهادُكَ صارمٌ لا يصدأُ
مِلْءَ البسيطة وحده واليوم قد ... فرغ الوعاءُ وما له مَنْ يَمْلأُ

شديدا على من خالف أوامر الله، رحيما بمن أطاع الله، فهو مُتَقَفٍّ آثار العلم وأهل العلم، يبذل الخير للخير، ويركب الصعب لينال المراد، فلا تجده مشغولا عن معلومة، ولا متخطيا عنق مفهومة، وهو يقول الشعر ولا تقول إنَّه مقل منه، إذ أننا نجده في حواشي الكتب التي في بيته، ولكنه لا يقول القصيدة عن دائرة العلم، فهو يطرق المعنى والمعنيين والثلاثة في انسجام غريب وتراص عجيب وأسلوب ساحر، فلذلك لم نجد أثرا للشعر لأنه لا يدونه ولا يسوده أكثر من مرة في حاشية كتاب قد لا يقرأ طوال العمر. وذلك كان بسبب التضييع الذي نأسف عليه، ولكننا ما استطعنا تلافيه لكثرة الأيدي التي امتدت على كتبه من بعده، وكان الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي بعيدا عنها، والوالد علي بن عبدالله بن سعيد في بوشر والكتب بسمائل:

لا يأبهون بسمعة أو قولة ... معسولة من مطرب فنّان
وهم على عرنين مجد باذخ ... مستمسكين بواحد ديان

فرحم الله تلك العظام، وأرسل إليها مواكب الغفران، وأسكنها فسيح الجنان، وصلى الله على صفيه ونبيه ورسوله الذي تضلع بالأمانة، فأدى الرسالة وعلى آله وصحابته موفين بالعهود، وآخر دعواهم إن الحمد الله رب العالمين.

وقال الشيخ أبومسلم الرواحي:

أغارت شعوب على خيرنا ... وكانت لميقاتها راصده
تخطف أحمد ريب الردى ... فيا حَرَبَ الحمد والحامده
وما بَيْدُ أحمد بَيْدَ امْرِئٍ ... ولكن نفوس الورى بائده
لقد كان يرجح ميزانه ... وذات الكمال به شاهده
يُجلي بأبْلَج ذي فرجة ... من العلم مشكلة عانِدَه
شداد العوارض آراؤه ... إذا اعتزمت خطة ناهده
فيا للمعارف حسن العزا ... لقد أصبحت سوقها راكده
لقد كان نَيّر أفلاكها فَخَرَّ ... إلى حفرة رامِدَه

(٢) المرتهن[١]

أعـــــرف نـفـســي إنـــنـــي ... مُـقَـصّـرٌ فـي حَـــقِّـــهِ
بـــل لـيـســن لـــي مـــن عـمـل ... يـقـبـلـه لـصـــدقـه
إلا لـمـحـض فـضـلـه ... ولـطـفـه بـخـلـقـه
مـــولايَ عـبـــدٌ آبـــقٌ ... آبَ فـجـد بـعـتـقـه[٢]
مُـــرْتَـــهَـــنٌ بـذنـبـه ... فاحْكُـــمْ بِفَكِّ غَلْقِهِ
واجـعـلـه مـمـن بـاع فاشْـ ... ـتـريـت ذات طـوقـه
إن كـنـتَ لا تـقـبـلـه ... فـي خـدمـة لـخـلـقـه
فانْـظُـرْ إليـه نَـظْـرَةً ... جـذبـه[٣] ونَـقِّـــهِ
إن لـم يَـلُـحْ إسـعـادُه ... فـمـن لـه إنْ يُـشْـقِـهِ
عَـوَّدتَـه الإحـسـان في ... بَـدْءٍ فَـعُـدْ وأبْـقِـه
وأغْـنِـه فـضـلا بـمـا ... خـوَّلْـتَـه مـن رزقـه
يـشـهـده مـنـك عـلـى ... تـعَـنُّـنَـاتِ طُـرْقِـهِ[٤]
مـا مـطـمـح الأبـصـار في ... أي غـنـى مـن خـلـقـه
إلا كـرائـي الآلَ[٥] مَـا ... ءَ مـن لِـبَـلِّ حلقه

(١) راجعتُ قصائد الشيخ أحمد على ورقات من مخطوطة ديوان الخيال الوافر أعطانيها الشيخ أحمد بن عبدالله الخليلي.

(٢) العبد الآبق: الهارب من قبضة سيده.

(٣) القصيدة على مجزوء الرجز (مستفعلن مستفعلن ... مستفعلن مستفعلن) لكن التفعلية الأولى في الشطر الثاني مختلة، ولعل صوابها: تَـجْـذِبُـهُ (مفتعلن).

(٤) تعنُّنَات: أُعِنَّ، أَعِنَّ، مصدر إعْنَانٌ. أعَنَّ اللِّجَامَ: جَعَلَ لَهُ عِنَاناً. ومعنى تعننات طُـرْقِـهِ في البيت أي تشعبات سبل السلوك أمام الإنسان في الدنيا.

(٥) الآلُ: السَّـرَابُ.

أو كالمزجي[1] قلما ... من كاتب لحمقه
لا يعرف النفع لما ... يجزيه حسب وفقه
يا رب نَوّر بصري ... فيك وهمي رَقِّهِ
حتى أرى عالَمَ مُلْـ ... ـكٍ وأنا من فوقه
في حضرة من نورها ... في الكون نور أُفْقِه
تحت لواء المصطفى ... مستغرقا في شوقه
ربي صلاة وسلا ... ما منك عني لَقّه
ما ناطق أثنى عليـ ... ـك باختلاف نطقه

* * * * *

(١) كالمزجي: كذا وردت، ولعل صوابها: كالمُـرَجِّيْ.

(٣) المسكنة لله

قف على الباب خاضعا مستكينا ... سائلا من مولاك فتحا مبينا
لابسا زينة افتقار وذل ... خائفا طامعا عفيفا مصونا
وتزود زاد التقى وابتذل في ... قصد مهجة به مستعينا
وابتهل في دعائه كغريق ... لم يجد منقذا سواه معينا
فإذا ما صدتك منك صفات ... فتضرع ودم كئيبا حزينا
فلعل الكريم أن يتجلى ... لك يوما يا أرحم الراحمينا
فَتُزَكَّى مِن سوءِ وَصْفٍ وتُهْدَى ... وتكون المرضي نفسا ودينا
لا ترى نافعا وتشهد إلاَّ ... مالك الملك واترك العالمينا
فهم بين إصبعيه بهم ما ... بك ضعفا وحاجة وشؤونا
فإذا ما أتاك منهم نَوَالٌ ... فاعتقده منه أتاك يقينا
واعتقدهم وسيطة وعليهم ... شكره إذ سَمَّاهُمُ محسنينا
ما ملوك الورى وهل من عَبِيْدٍ ... رَوْمَ سُؤْلٍ في حضرة المالكينا
فله الحمد ليس ينسى ضعيفا ... أو قويا بما قضاه رضينا
رَبِّ إنَّ الهدى هداك فهبني ... منك لطفا أكن من المهتدينا
شاكرا ما أوليتني يا شكورا ... ما إليه وفقتنا أن هُدينا
رب إني ظلمت نفسي وإن لم ... تعفُ عني أكنْ من الخاسرينا
فتجاوز عني وهبنيَ علما ... هاديا لي يا أكرم الأكرمينا
يا محيطا بكل شيء عليما ... من جميع الوجوه ربا متينا
من لعبد خلقتَ من كل وجه ... جاهلا ما بكل ذمٍّ قمينا
رب لا تُبْقِ ذَرَّةً منه إلاّ ... بك عرفانُها من الجهل صينا
وبأخلاقك الحسان فبدِّل ... سوء وصف قد كان فيه شينا
وعلى حمل ما سماء وأرض ... أبَيَاه اجعله قويا أمينا

أنت أهل الجميل ربي فعد لي ... بجميل عودتنيه جنينا
وبي افعل ما أهله أنت إذ لو ... لاك ما قُدِّرَ مَنْ خلقت فينا
بشرا صغتني لترفع قدري ... بعد كوني في عالم الغيب طينا
قاهري آمري بإيفاء عهدي ... حين أخذي كالذر في الشاهدينا
كيف عزمي على امتثالٍ وتَرْكٍ ... بين قهر وبين أمر أُبِيْنَا
فاهدني واهد بي عبادك حتى ... أملأ الأرض دينك المتينا
قاطعا دابر الفساد بسيف الـ ... ـحق يصري من البغاة الوتينا
لا أخاف الملام فيك وعزمي ... ليس يثنيه صولة الجاهلينا
اقتفي أثر رُسْلَ ربي عليهم ... صلواتٌ من ربهم أجمعينا

* * * * *

المجال الثالث

شعر الشيخ

عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي

(١) تقديم بقلم: أمير البيان

الجد عبدالله بن سعيد الخليلي فحل جواد لا تهزه الصدمات ولا تسيطر عليه النكسات، وهو على حد قول الشاعر:

شديد الخُنْزُوانة لا يبالي أصابَ إذا تنمَّرَ أم أُصيبا[١]

جيد الرأي كأنما يخمره في إناء من نورٍ يَبْتَلِجُ له في صفاء، فيقذفه في بوتقة من العدل، فيهيمن عليه في سيطرة تامة، وهو رجل الدنيا والآخرة، ممن يقولون (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)، وهو علاَّمة في العربية، يأتيها من أي طريق شاء، يحفظ من متونها الكثير، ويجيد الشعر في غير تكلف، كأنما ينزل على ضميره وحيا من لدن اللّه، فهو ألمعيٌّ عَصَرَتْهُ النوائب، وهَصَرَتْ عوده التجارب، فبدا في العالم كالحجر الكريم، كلما توقدت به النار تلألأ جوهره، مستمدا من الفيوض الإلهية، وباركته آياته، فهو عالِمٌ على عِلْم تَتَسَامَى به أَوَّلِيَّتُه، وتَتَفَاخَرُ به آخِرِيَّتُه، تلك هبة اللّه، وقد أوتيَ فَصْل الخطاب، وبديهة الجواب، قضى عمره في بذل وسخاء، حتى قُبِضَ رحمه اللّه، وبلطفه تولاه، وإني لم أذكر كل مناقبه، إذ لا أراني أستطيع حصرا لها، ولكني أكتفي بهذا المقدار، تنويها على شخصه الكريم، ومقامه الرفيع، هذا وختام القول: الصلاة والسلام على المصطفى، وعلى آله وصحابته أجمعين. ﴿وعلى اللّه قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين﴾[٢] ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي. الخُنْزُوَانَةُ: الكِبْرُ.

(٢) سورة النحل: الآية ٩.

(٢) قوس حاجب

رَمَتْكَ في القلب بسهمٍ صائبِ ... مُدْيَةٌ تُزْهَى بقوسٍ حاجبِ
ما رمتُ أُدْمِي خدها بنظرة ... إلا وراعَتْنِي بطرفٍ غالب
أَقْرَرْتُ أنَّ العينَ حقٌّ إذ غدت ... تطلبني اليوم بحقٍّ واجب
نَمْ يا غيور آمنا فإنها ... منها احْتَمَتْ بطاعن وضارب
ما زرتُ ذاك الخدر إلا والردى ... يطلبني فكنت عين الطالب
لو لم أكن حتفا ولكني على ... أعدائها ما فزت بالحبائب
كأنَّ رمحي قدّها وصارمي ... لحاظها والقوس مثل الحاجب
كأنَّ ناقتي خيالٌ قد سرى ... في نَفَسِيْ لكثرة المعاطب
كأنَّ وادي اللِّوَى يوم النَّوَى ... أتى على الذَّرْوَةِ حتى الغارب[١]
كأنَّ كل حَرَّةٍ قَطَعْتُها ... عاذلةٌ تعرَّضَتْ في لاحب[٢]
كأنَّ كثبان النَّقَى أعجازها ... لا حرتَ فيها حيرة الركائب[٣]
من لم يُسَلِّمْ عن رضى مُهْجَتَه ... للحَتْفِ لمْ يُتْحَفْ بِنَهْدٍ كاعب
من لم يُطهّر بالهوى أوزاره ... والله ما صلى على الترائب[٤]
أَحْسِنْ بها قَدًّا ووجها وفَمَا ... وكم لها في الحسن من غرائب
لو لم يكن في وجهها شمس لما ... هدا في[٥] الفرق بفجر كاذب
آهٍ لذاك الريق ما أعْذَبَهُ ... ودون ذاك العذب كمْ مِنْ غالب
لو لم يكن والله شهدا ريقها ... ما منعته إبر اليعاسب

(١) اللِّوَى: ما التوى من الرمل. النَّوَى: الفراق. الغارب: الكاهل، ما بين الظهر والعنُق.
(٢) الحرة: أرضٌ ذات حجارة سُود نَخِرَات كأَنَّها أُحْرِقَتْ. اللاحب: الطريق الواضح.
(٣) النَّقَى: القطعة المُحْدَوْدِبَةُ من الرمل. أعْجازُها: أصُولُها. الحَرْتُ: الدَّلْكُ الشَّديدُ، والقَطْعُ المُسْتَديرُ.
(٤) الترائب: جمع تَريبة، وهي عظام الصّدر ممّا يلي الترقوتَيْن، وهي موضع القلادة.
(٥) الشطر الثاني مختل في تفعيلته الأولى عند كلمتي: هدا في. وجاءتا بنفس الرسم في مخطوطة الخيال الوافر. وصوابهما حسبما أرى: هَدَانِيَ.

كـــأنَّ قلبي قَـرْطُـها ومهجتي ... خلخالُها والخط كالذوائب[1]
كـــأنَّ عـقـد جـيـدهـا سلسلة ... بـها تـقاد الأُسْـدُ كالجنائب[2]
كـأنَّ سقم خصرها سـرى إلـى ... جـوارحـي فـأفـرغـا فـي قـالـب
كـــأنَّ نـور وجـهـها فـي شعرها ... رأيَ أبـي الوسيـم في النوائب[3]
كـأنَّ نـار البين في حشاشتي ... حسامه الـصـارم فـي الكتائب
كـأنَّ دمعي حين سـارت عيسُها ... بِـمَيْنَةٍ تـفيض بـالمواهب[4]
وكم وكـم من صاحب فاكهتـه ... يفديك بـالنفس وكل صاحب[5]

(١) الخطّ: امتداد الشعر على الخدين. الذوائبُ: جمع ذؤابة، وهي شعر مقدَّم الرأس.

(٢) الجنائبُ: واحدتها جنيبة وهي الدَّابة تُقاد.

(٣) في البيت مديح للشيخ أبي وسيم، حيث شبه الشيخ عبدالله انعكاس نور وجه المتغنى بها كلمعان رأي أبي الوسيم في الأحداث والأزمات. أبو وسيم: هو الشاعر الفقيه اللغوي خميس بن سليِّم بن خميس الأزكوي (١٢٨٧- ١٣٥٤هـ/١٨٧٠- ١٩٣٥م). من مجايلي الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي رحمة الله عليهم جميعا. ولد في سمائل وتوفي فيها. تلقى تعليمه في المساجد. كوّن ثقافته بنفسه عن طريق الاطلاع. له منزلته في الشعر العماني. طرق في شعره أغراض الشعر المختلفة. عبارته سلسة، ولغته واضحة، ومعانيه قريبة. كان له ديوان لكن لم يُعْثَرْ له على أثر. تمكن الشيخ محمد بن راشد الخصيبي من جمع بعض قصائده المتناثرة وأثبتها في كتابه: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عُمان. توجد له ترجمة في كتاب معجم شعراء الإباضية، قسم المشرق، لفهد بن علي بن هاشل السعدي، مطبعة الجيل الواعد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، قسم المشرق، الترجمة رقم ٨٧، ص٩٤. وجدتُ في مخطوطة الديوان مكتوبا على يسار هذا البيت بيتا آخر هو:

كـــأنَّ لـيـلـى حـين طـال شـعـرهـا ... والـفـرقـديـن مـقـلـتـا مـراقـبِ

(٤) مَيْنَةُ: قد تكون من مَانَهُ يَمُونُهُ مَوْناً إذا احتمل مؤونته. مانَ الرجلُ أهله يَمُونُهُمْ مَوناً ومَؤُوْنَةً: كفاهم وأنفق عليهم وعالهم. فكأن الشيخ عبدالله يشبه دمعه المدرار على فراق من يحب كالرجل يهمي على أهله بما يملك من نفيس الفضل، ولا شك أن الدمع هو أعزُّ وأقصى ما يملكه المرء عند فراق الأحبة. فوصف السخاء بالدمع العزيز كالسخاء بالفضل النفيس ملمح من ملامح الشاعرية البديعة لهذا الشيخ الأديب الكبير.

(٥) فاكَهَ صديقَه: مازَحَه.

(٣) عارض الشوق [١]

عارض الشوق على قلبي يَسِحّ ... ولريح العذل في الآذان لَفْحُ[٢]
ليت من يعذلني يعذرني ... أكره الخصم إلى النفس المُلِحُّ[٣]
لو رأيت الفرع أرخى جُنْحَهُ[٤] ... ومن الوجه تجلّى لك صبح
إنما يعذرني مثلي ومن ... ذا الذي أشواقه مثلي تصح
عنكمُ نصحي ضلالا أو هدى ... إن مثلي لم يُفِدْهُ قطُّ نصح
لو بعيني رأيتم حسنه ... ما أتاني منكم لوم وقدح
أشعاع الوجه أعشى عاذلي ... أم بعينيه كمثل القلب قَرْحُ[٥]
كيف أسلوه وقد تَيَّمَني ... من معالي لَهْوِهِ جدّ ومزح[٦]
ما شممت الريح إلا فاح لي ... حيثما وجهت من ريّاه نفح[٧]
كم بماء الورد قد طيبنى ... ما اعتنقنا ولورد الخد رشح[٨]
كم وكم بادرت أسفي نحوه ... ولخيل القوم حول الدار ضبح[٩]

---

(١) هذه القصيدة في حب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والثناء عليه. أقامها على النمط التام لبحر الرمل ووزنه المعياري: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن. يتكرر ذلك في شطري البيت. لكن يجوز في نظام هذا البحر أن تأتي العروض محذوفة السبب الأخير، ولهذا سيلحظ القارئ العارف مراوحة الشيخ عبدالله للعروض بين الصحيحة والمحذوفة في عدد من الأشطر الأولى لأبيات هذه القصيدة حيث تجيء حينا (فاعلاتن) وحينا (فاعلا).

(٢) العارضُ: السحاب. يَسِحُّ: يسيل. اللفحُ: شدّةُ اللَّهَب.

(٣) المُلِحُّ في الخصومة: الدائمُ عليها.

(٤) الفَرْعُ: الشَّعْرُ. يوضح بقوله: أرخى جنحه شدة سواد شعر المتغنى بها.

(٥) أعشى هنا بمعنى خطف بصره لشدة نور وجهه. القَرْحُ: الجُرْحُ، وهي هنا بمعنى الحزن.

(٦) تَيَّمَ مصدرُ تامَ. وتامَهُ الحبُّ: استعبده وذهب بعقله.

(٧) الرَّيَّا: الريحُ الطيبة. النَّفْحُ: انتشار رائحة الطيب.

(٨) رشَحَ الخدُّ بماء الورد: أي نضحَ وسال.

(٩) ضَبَحَتِ الخيلُ صَوَّتَتْ أنفاسُها في جوفها عند العدو.

لم ترعني بِيْضُهُم أمثال ما ... راعني من سرحهم سيف ورمح[1]
فلأمر ما سباني ذا الرشا ... آه هل يعقب هذا الحرب صلح[2]
أو عفا عني ولم أذنب فما ... ضره لكنه ما فيه صفح
ليته يرضى ومن لي بالرضا ... يا لَدَهْرٍ أيّ لوم فيك سمح
طال ليلي فيه واسْوَدَّ فَلَوْ ... طلعت شمس به ما انجاب جُنْحُ[3]
أيها المُتْلِف جسمي بالهوى ... كل عضو فيه من وجدك بَرْحُ[4]
أَبْقِ قلبي لا يُمَزِّقْهُ الجوى ... إن ما بين ضلوعي لك صرح[5]
هَبْكَ يومافي الكرى ألْمَحْتَنِيْ[6] ... هل لعيني منك في اليقظة لَمْحُ
أَغْرَقَتْ إنسان عيني[7] أدمُعي ... يَالَهُ ما لغريق الدمع سَبْحُ
ذهبت نفسي عليه حسرة ... وقليلٌ حسرةٌ فيه وذبْحُ
زعموا أنى ببخس بعته ... مهجتي والخسر للبائع ربح
حسبكم من ذكره أني به ... لو درى من قلبه القاسي أَشِحُّ
واستميحوني فاني مثلما ... قد عهدتم لسوى الأحباب سمح[8]
لو ضربتم بقداح للعلا ... لم يطرْ غير الْمُعَلَّى ليَ قدح[9]

(١) بِيْضُهُم: سيوفهم، ويكثر في الشعر وصف السيف بالأبيض، ومنه يقال السلاح الأبيض: للسيوف والخناجر . الشاعر يقول لم أخف من شجعانهم قدر ما راعني جمال امرأة منهم.

(٢) سباني: أسرني. الرشأ: الظبية في مستهل عمرها.

(٣) انجابَ: انكشف. الْجُنْحُ: مِنَ الليلِ ظلامُه.

(٤) الْبَرْحُ شدة العناء من الحب.

(٥) أَبْقِ: فعل أمر من الإبقاء مصدر أبقَى. وتصريفه: يُبقي، إبقاءً، فهو مُبْقٍ. الجَوَى: شدةُ العشق المورّث للحزن.

(٦) هَبْكَ: الكاف للمخاطب، وهَبْ فِعْلَ أَمْرٍ جَامِدٍ (لاَ مَاضِيَ لَهُ) بِمَعْنَى الظَّنِّ. الكَرَى: النومُ. ألْمَحْتني: أرَيْتَنِي نظرة خاطفة إليك.

(٧) إنسان العين: بصيرها. الحدقة التي يمرّ فيها الضَّوء إلى داخل العين.

(٨) استميحوني: التمسوا لي العذر.

(٩) الضرب بالقداح: كان القرشيون في جاهليتهم يحسمون مصائر شؤونهم الهامة بقرعة يضربونها عند صنمهم (هُبَل) حيث يتقدمون إليه بالشخص الذي يريدون حسم مصيره وبمئة درهم وناقة،

هيَّجَتْني نَخوةٌ عن سلف ... ولِمِثْلي نَخوةٌ فيهم ومدح
رسموا خطاً بأقلام العلا ... يثبت الحق وللباطل يمحو
أُيِّدُوا بالرعب في غاراتهم ... كل أيامهم نصر وفتح[1]
ذكرهم للدهر حِلْيٌ كم به ... شُنِّفَتْ أُذْنٌ وكم تُوِّجَ صرح
ربح نفسي اليوم هلا أقتفي ... رسم أسلافي ولي في العمر فَسْحُ
من لِيَ اليوم ومن ذا أرتجي ... وزماني كله جبن وشح
ما لأيام دهتني بعدما ... عَلِمَتْ أَنِّيَ للإسلام جِنْحُ[2]

ويقولون: يا إلهنا، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحق فيه. وقد جعلوا للصنم سادنا معه قداح يضرب بها بين الفدية والشخص المُفْتَدى. وكان عبدالمطلب بن هاشم جد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم نذر لئن ولد له عشرة من الأولاد ثم بلغوا معه من العمر حتى يمنعوه من أذى الناس لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة، فلما تحقق له ذلك جمع أبناءه وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه، ففعلوا، فدخل بهم على الصنم (هبل) في جوف الكعبة، فأخبر صاحب القداح بنذره وقال له: اضرب على بَنِيَّ هؤلاء بقداحهم، فضرب فخرج القدح على عبدالله بن عبدالمطلب والد رسول الله، وكان أحب أولاده إليه، كما يذكر المؤرخون، فطلب عبدالمطلب أن يعيد صاحب القداح الضرب بها فخرج القدح أيضا على عبدالله، فأخذ عبدالمطلب ولده عبدالله لينحره عند الصنم فقام له بعض قومه من قريش وقالوا له لا تفعل ونصحوه بطلب المخرج لدى عرافة في الحجاز فتوجه إليها فسألته كم دية المقتول عندكم قال لها عشر من الإبل، فقالت خذ ولدك وعشر من الإبل واضرب عليهما القداح عند آلهتكم فإن خرج القدح على الإبل نحرتها وإلا فزد على الإبل عشرا غيرها واضرب القداح حتى يخرج القدح على الإبل، ففعل عبدالمطلب ذلك وكان القدح يخرج على عبدالله، وعبدالمطلب يزيد عدد الإبل حتى خرج القدح على الإبل بعد أن بلغت مئة. أنظر كتاب السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، بيروت، بدون تاريخ نشر، مج١، ص ١٥١-١٥٥.

(١) قوله أُيِّدُوا بالرعب أخذا من الحديث النبوي المرفوع الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٧٦٨٩) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أعطيتُ آياتٍ من بيتِ كنزٍ تحتَ العرش، لم يُعْطَهُنّ نبيٌّ قبلي، ولا يُعْطاها أحدٌ بعدي، وجُعِلَت ليَ الأرضُ مسجدا وطهورا، وجُعِلَت صفوفُنا مثل صفوف الملائكة، وأُيِّدْتُ بالرعب من مسيرة شهر".

(٢) الجِنْحُ: الكَنَفُ.

هل إلى غيري سعت حيَّاتُها ... ما أنا غَيَّرَنِيْ قتل وجرح
غير قلبي روعته بالردى ... وسوى عيني لها في المال لمح
رُبَّ قوم غرهم آمالهم ... إنما الآمال للأحرار ذبح
غلب الطبع عليهم فانتشوا ... ولهم في دهرهم ذم ومدح

(٤) الحاسد

لعمرك إني لا أبالي بِحاسد ... ولو كثروا ما هم لَدَيَّ كواحد
فلا ظفرت مني الأعادي بعورة ... وإني على عوراتهم خير شاهد
وكيف أعادي من إذا ازددت رفعة ... يَموت ويأتي كل يوم بزائد
رَمَتْه قِسِيُّ الْمجد عني بِأَسْهُمٍ ... أصابت مراميها ولست بقاصد
ألا مُتَّ، قد صادَفْتَ مِنِّيَ ماجداً ... وهل قَتَلَ الحسادَ مثل الأماجد
ألستُ بنجم يُهْتَدَى بي في الدجى ... وغيثٌ يُرَوّي سيلُه كل وارد
فلا قدمي تسعى لغير جمائل ... ولا قلمي يَجري بغير فوائد
ولا حَمَّلَتْني ظُلْمَ قوم عشيرتي ... ولا عُذْتُ من ظلم الزمان بحاشد
ولا قلّتِ الانصار واللّه ناصري ... ولا وَهَتِ الأعضاد واللّه عاضدي
فليس لغير الْمجد أمري بنافذ ... وليس لغير الجود مالي بنافد
إذا اعتد قوم للنوائب بالغنى ... حملت لنفسي عدة من محامدي
رعيتُ الورى طُرًّا على قدر حالهم ... وأصبحت للإخوان كابْنٍ ووالد
أبَحْتُ لهم مالي وَوَفَّرْتُ عرضهم ... وحاميتُ عنهم غائبا مثل شاهد

* * * * *

(٥) شقاء الهوى

عشق فقلبي لكمود ... ناره ذات الوقود
إن دنا من جنَّة الخلد ... صُلي نار الوعيد
أَحَيَاةٌ لِرَهين ... فدية غير مفيد
لا ورب البيت ذرني ... علَّ في قتلي سعودي
أتُرى أُهْدَى سلاما ... من قريب أو بعيد
إنني أحسست بردا ... في الْحشا بين الْجلود
أفتدي يومي مُحبي ... من شقي أو سعيد
من وداع فيه حتفي ... وقدوم فيه عيدي
أفتدي من بِشره ... بشَّر قلبي بالوجود
أفتدي من لفظه ... شنَّف أذني بالفريد
أفتدي من طرفه ... أومأ قلبي بالسجود
أفتدي من خده ... أشعل نيران الكمود
أفتدي ظبي ولكن ... صيده غلب الأسود
أفتدي شمس تَجلَّت ... من سماء في برود
أفتدي غصنا تثنى ... بأزاهير العقود
غصنُ بانٍ فوق دِعصٍ ... وهلالٌ فوق عود[1]
دمية تاهت دلالا ... وتَمادت بالوعيد[2]
عاتَبَتْنِي أي عَتْبٍ ... وهي أدرى بالعميد
كل شيء مِنْكِ حُلْوٌ ... يا منى قلبي فزيدي
كم بصبح الوصل أضحى ... ينجلي ليل الصدود
كم تَمتعنا بوصلٍ ... الغيد والعيش الرغيد

(١) الدّعْصُ: قطعة أو تلٌّ من الرمل مجتمعٌ ومستدير.

(٢) دمية: امرأة جميلة.

كم شقّقنا من رداء ... ونقاب لِخرود
كم أمطنا من لثام ... وضممنا من قدود
كم طلبنا غور خصر ... فاختفى بين النجود
كم على الْحب وردنا ... نَجْتَنِيْ ورد الخدود
كم شربنا من مدام ... شِيْبَ من ريق البرود
طَوَّقَتْنِيْ ساعديها ... يالَه طوقا بِجيدي
ولَها مني نطاق ... ووشاح من زنود
يا رعى الله زمانا ... مر كالظبي الطريد
كلما مَرَّ بقلبي ... ذكره أبلى جديدي
يا لُيَيْلات التهاني ... لك عادات فعودي[1]

* * * * *

(١) لُيَيْلات: تصغير ليلات، وليلات جمع ليلة.

(٦) زَجْرُ الشباب

زَجَرْتُ شبابي والشبيبة تُزْجَرُ ... وَوَقَّرْتُ شيبي والمشيبُ يُوَقَّرُ
سوايَ بنيران الغرام مُعَذَّبٌ ... وغيري بأذيال الصبا متعثر
فَأَلْبَسْتُ دهري كلَّه حللَ التقى ... فذيليَ من كل العيوب مُطَهَّرُ
ونافستُ في العلياء كل منافس ... فقصَّرَ كسرى عن مرامي وقيصر
على أنني لم أرض بالشمس خُلَّةً[1] ... صبياً فكيف الآن والعُوْدُ مثمر
فماليَ والدنيا تروم مكيدتي ... بِفَخِّ التصابي وهو جفن مُكَسّرُ[2]
أمثلي يعطي الغانيات زمامه ... وهل صاد ليثُ الغاب قبليَ جُؤْذُرُ[3]
أَلَمْ تَدْرِ أني ما أحركُ ناظري ... لما لم يكن لي فيه عِزٌّ ومَفْخَرُ

* * * * *

(١) الْخُلَّةُ: الصداقةُ والمحبَّة. خُلَّةُ الإنسان: أهلُ مودته.

(٢) الْفَخُّ: أداة تُصاد بها الطيور وغيرها. وكذلك ما قد يعرض للإنسان في الحياة من خُدَعْ وطرائق ملتوية تضعه في خطر. الْجَفْنُ: غِطاء العين من أَعلاها وأَسفلها. وتَكَسُّرُهُ حركة إغضائه، وهو في النساء مظهر من مظاهر الجمال الفتَّان.

(٣) الجُؤْذُرُ: ولد البقرة الوحشية، واللفظة هنا في محل الكناية عن المرأة الفاتنة بجمالها.

(٧) الجاهل

أَجَاهِلَ قدري إنما أنت لي عذر ... فما أنت تدري بي وما الخَبَرُ الخُبْرُ[١]
أتنظرُ عين الشمس عينٌ عَمِيَّةٌ ... وتسمع قول الرشد أذن بها وقر
فهل عايَنَتْ عيناكَ ما بِي ومَنْ لَهُ ... بإدراكه والمرءُ في طيِّه نشر
أغرك ما أبديتُهُ من تَبَسُّمٍ ... فذاك لأهل المكر من جانبي مكر
تغافلتُ عنهم كي نشاهدَ أمرَهم ... ويُعْلَم أني ليس من شيمي الغدر
ألستُ من القوم الذين تظاهروا ... على طاعة المولى له الخلق والأمرُ
أولئك قوم يعلم الله أنهم ... بهم يعرف المجد المؤثل والفخر
لهم قصبات السبق في حرمة العلا ... لنعم على من تحت أخمصها الفقر[٢]
فأمثالهم لا تستقل لريبة ... فَسَلْ عنهمُ يُخْبِرْكُمُ السهل والوعر
فكم قد سَبَتْ أسيافهم من مدينة ... من الكفر حتى صار لا يُعْرَفُ الكفر
إذا دَعَتِ الرحمنَ أرضٌ أقامهم ... إليها فلن يُكْشَفْ لأثوابها ستر
هم زملوني بالعلا وملامحي ... لديَّ يُسَدِّيها ويُلْحِمُها النصر
هَدَمْتُ الذي شادَتْهُ أهلي وشِدْتُه ... من المجد إن لم يشبع الذئبُ والنسر
إذا أنا لم أكشط عن الحق جهلهم ... فلا حمَلَتْني للوغى الضُّمَّرُ الشُّقْرُ[٣]
فَبَشِّرْهُمُ ما دمتَ حيا بزائر ... يرى فيهمُ ما تحكم البيض والسُّمْرُ[٤]
ألستُ على وقع النوائب ثابتا ... صبورا تساوى عندَيَ الخير والشر
فكم عَاقَ هذا الدهر غيري عن الندى ... فلله عزم لا يُعَوِّقُهُ الدهر

---

(١) أَجَاهِلَ قدري: يا من تجهل مكانتي.

(٢) ظهر لي أن بهذا البيت خطأ في كلمة: حرمة العلا: كذا وردت ولعل صوابها: حَوْمَةُ العلا.

(٣) الكَشْطُ بمعنى الكشف، يقال: لأَكشِطَنَّ عن أَسرارك: أي لأَكشفَنَّها. الضُّمَّرُ الشُّقْرُ: الخيول. ورد فيها بيت لأبي فراس الحمداني: فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه وتلك القنا والبيض و الضُمر الشقر

(٤) البِيْضُ والسُّمْرُ: السيوف والرماح.

وكم أطمع الأعداء فيَّ بعودة ... ولي حلل الإحسان من دونها ستر
وكيف يروم الدهر مِنِّيَ غرة ... وفضلي فيه غرة (لا)[1] لها نكر
ألم يدعون الليل لي فأجبته ... بآي الضحى حتى استضاء به الفجر
ومالي ذنب غير نفس غنية ... لها البدء في أبنائه ويدي صفر
شكور على حال من الفقر والغنى ... فلم يُثْنِنِيْ فقر ولم يُطْغِنِيْ وفر
وإنَّ كِلاَ بُرديَّ أطهر حلة ... ومن أبْحر المعروف بينهما بَحر[2]
وإني لنفس الجوهر الفرد في الورى ... وبي تنجلي غمَّاتهم أيها الذِّمْرُ[3]

* * * * *

(١) الغِرَّةُ: بكسر الخاء: غفلةٌ في اليقظة. الغُرَّةُ بضم الغين: أول الشيء وأكرمه. كلمة: (لا) إضافة من المحقق ليستقيم الوزن.

(٢) بُرْدَيَّ: مثنى بُرْدَة، وهي كساء مخطط يُلْتَحَفُ به. وتستعمل اللفظة للكناية عن النسب الخالص العريق والشرف الأثيل. والشاعر هنا يشير إلى نقاء نسبه من ناحية أبيه وأمه.

(٣) الذِّمْرُ: اللبيب.

(٨) الإنبيق[١]

هذا الذي نيران قلبي سعّرا ... ودمي بإنبيق المدامع قطّرا
هذا المعيد إليّ أيام الصبا ... من بعد ما أضحى قذالي أزهرا[٢]
هذا المدير عليّ كاسات الهوى ... حتى سكرت وما شربت المسكرا
أترى غَوَى في ليل طُرَّتِهِ امْرُؤٌ ... وصباح غُرَّتِه البهية أسفرا[٣]
نسج الجمال على غلالة خده ... بحرير عارضه طرازا أخضرا[٤]
أبدا أحذّره عقارب صدغه ... فَنَجَا وَصَوَّبَ سمَّها من حَذَّرَا[٥]
آهٍ له إنْ رام قتلي خلته ... من وجنتيه يهز بندا أحمرا
ويصدني عن ثغره بلواحظ ... لو شام شمر برقها ما شمرا
هذا هو الماء الذي من دونه ... ضرب يشبّ على النواصي مُجمرا
يا سيدي رفقا فهذي مهجتي ... وبِحسب عبدك أن يَموت فيعذرا
كن كيف شئت فقد ظفرت بصابر ... لو لاك ما لبس الخلاعة وانبرى
والله يا شمسَ الملاحة إنَّ لي ... قلبا بنيران الغرام تَنَوَّرَا
فأنا الذي شَهِدَتْ بفضلي عفتي ... هيهات ليس يعفّ من لم يصبرا
لو لم تكن لي شيمة إلا الهوى ... لكفاك مني في المعالي مفخرا

---

(١) الإنبيقُ: جهازٌ تُقَطَّرُ به السوائل.

(٢) القَذَالُ: جماعُ مُؤخَر الرأس، والشاعر يشير هنا إلى شيب شعر رأسه.

(٣) الطُّرَةُ: ما تُرْسِلُهُ المرأةُ من شعرها. الغُرَّةُ: غُرَّةُ الشيء: طَلْعَتُه.

(٤) غِلالة الخد: رِقَّتُه. العارضُ: جانبُ الوجه.

(٥) الصدغ: جزء من الوجه يقع بين العين والأذن. وعقرب الصدغ: الشعر. وفي هذا يؤثر عن الشاعر الأندلسي ابن شكيل قوله:

أرى عقرب الصدغ في خده ... وفي كبدى حمة العقرب
وفي وُجنتيه شعاع اللهيب ... وفي أضْلُعي قَبَسَ المُلْهِبِ

وكذلك قال أبو الوأواء الدمشقي:

وعقرب الصدغ قد بانت زبانته ... وناعس الطرف يقظان على رصدي

(٩) الأماني

ولو كنت بالرزق المقدر أقنع ... ما كنت في عمري لِخلق أخضعُ
أتْعبت نفسي في لعل وفي عسى ... وجميع أفراس الأماني ظلّعُ
ما كنت أحسب أن أصاحب معشرا ... أبدا إلى مرضاتهم أتَصَنَّعُ
هيهات لا يرضى بصحبة مثلهم ... إلا الذي عن غَيِّه لا يرجع
هلا اعْتبرت بِما مضى وبِما أتى ... والدهر يصدع كل شمل يجمع
يا صاحبي إليّ هيا إنني ... أبصرتُ أنوار الهداية تسطع
حتَّامَ نَتْبَعُ أمر كل مضلل ... وإلى متى حوض الضلالة نكرع[١]
فخذا من الأيام ما أعطتكما ... الموت حتمٌ والمعاش موزع
والعمر فضَّاحٌ لآمال الفتى ... والنفس تأمر والحوادث تردع
قولا لِمن غرتهمُ آمالهم ... فسدت زراعتكم فبئس المزرع
إن تقصدوا باب الملوك فمقصدي ... باب الذي يعطي الملوك ويَمنع
وإذا طمعتم في نفائس نَيْلِهم ... فأنا الذي فيما لديه أطمع[٢]
وإذا دُفِعْتُم عن قليلِ عطائهم ... فهو الذي عن فضله لا يَدْفَع
أأُريد مِمَّن ليس ينفع نفسه ... نفعا واترك من يضر وينفع
إني إذاً ضيَّعتُ عمري باطلا ... غَرَرٌ عليَّ بأن أراه يُضَيَّعُ
لا يركب العشواء من كانت له ... عين ترى الحسنى وأذن تسمع[٣]
يا رب عبدك قد أتى متنصلا ... مما جنى وإلى جلالك يضرع[٤]
خلَّفْتُ خلفي باب كل مُؤَمِّل ... وأتيتُ مفتقرا لبابك أقرع
فانظر إليّ وأغنني يا واسع ... عن كل خلق إنَّ فضلك أوسع
مالي سوى فقري إليك ذريعة ... فهو الشفيع وفي نداك مشفع

(١) كَرَعَ في الماء: مَدَّ عنقه وتناول الماء بفمه..
(٢) نفائس نَيْلِهم: عطاياهم الثمينة.
(٣) ركِبَ العشواء: سار في أمره على غير هدى ولا بصيرة.
(٤) تَنَصَّلَ من الذنب: تَبَرَّأ منه.

(١٠) مَيَّة

لعمرك لو شئت أن نلتقي ... ركبت على الفرس الأبلقِ[١]
وجبت الفيافي مَجهولة ... وطرف الدجنة كالْمُطرِقِ
ترى النجم حيران في سيره ... يصوب عينيه كالْمُحنق[٢]
يهز السماك به رمحه ... ويرمي الكواكب بالبندق[٣]
فكم دون مية من فدفد ... وكم دون مية من فيلق[٤]
إلاَمَ أكابد فيك النَّوى[٥] ... وحتَّامَ نفسيَ لَم تشفق
إليك خرقت صفوف العدى ... ولَم أخش من صارم أزرق[٦]
إلى كل مُسْبِعَةٍ مغربي ... ومن كل مَلْحَمَةٍ[٧] مشرقي
ولو أن غيري سعى لَم يصل ... ولو أن غيرك لَم أشفق
إلى غير وجهك لَم ألتفت ... ومن غير طرفك لم أتَّقِ
لعمرك لولا الهوى لَم أُضَمْ ... ولولا محياك لم أعشق
وكيف أُضَامُ وكل الورى ... إلى كل مجدٍ بنا ترتقي
ومن نور مشكاتنا تستضيء ... ومن ماء أبْحرنا تستقي
فمن يبلغ اليوم عليائنا ... ومن دوننا الفلك المشرقي
متى ندع للحرب لَم نعتذر ... وإن نزل الضيف لم نسبق
فهل ليَ في الْحب من مسعد ... وهل لك يا مَيُّ من مُشفق

---

(١) الفرسُ الأبلق: في لونه سوادٌ وبياض.

(٢) مُحْنَق: إسم المفعول من أحنق بمعنى مغتاظ غيظا شديدا.

(٣) السَمَاك: نجم. البُنْدُقُ: السلاح الذي يطلق الرصاص، يُذَكَّر ويُؤَنَّث فيقال: بُنْدُقية. والجمع البنادق.

(٤) مَيَّة: اسم امرأة. ومَيُّ أيضا. الْفَدْفَدُ: الأرضُ الواسعة المستوية لا شيء بها. الفيلقُ: الكتيبةُ العظيمة من الجيش.

(٥) النَّوَى: البعد والفراق.

(٦) الصارمُ السيف، لكن اقترانه بالأزرق يعني العدو الشديد العداوة.

(٧) المُسْبِعَةُ: الأرضُ الكثيرة السِّباع. الملحمة: الحرب الشديدة.

(١١) الجد

الأمـرُ جـدٌّ والْمُعـادي هـازلُ ... فتشمروا للنائبات وقاتلوا
وسلوا الإله النصر يا أهل التقى ... فـالله ما بين الـبرايا فاصل
وذروا مضاجعة الغواني فالعلى ... ما نالَها إلا الصبورُ الباسل
هذي جيوش الخصم عدْوًا أقبلت ... بِمدافـع مـن ذا لَـهـن يقابل
وأسود ذبيان تنادي في الوغى ... من ذا الذي للجابريِّ[1] ينازل
فوقفت في الهيجاء وقفة عارف ... يـدري بـأنَّ العمر شيء زائل
لله ستـة أشـهـر كابـدتـها ... والجو من صبغ العجاجة حائل[2]
نبني ومن ذا يستقر له البنا ... وعلى رؤوس القوم مزن هاطل
النقعُ رعـدٌ والدخان سحابة ... والنارُ برقٌ والرصاص الوابل[3]
ودم الكماة لدى الثغور كأنه ... سيل ببحطاء الأباطح سائل[4]

---

(١) الحابري: من بني جابر من ذبيان الغطفانية. وفي القصيدة ذكر جليٌّ لمنازلة كان بنوجابر وبنو فزارة وبنو مزروع (المزاريع) وبنو وائل أحد طرفيها. وكان الطرف الآخر بنو رواحة الذين كانوا رجال دولة الإمام عزَّان في ذلك الوقت. وقد مرَّ في أشعار الشيخ سعيد بن خلفان ذكر القبائل الغافرية التي عارضت إمامة الإمام عزان. وكان النصر في هذه المنازلة التي شارك فيها الشيخ عبدالله لقومه بني رواحة كما قد قال:

هـذي جيوش الخصم عـدْوًا أقبلت ... بِمدافـع مَـنْ ذا لَـهُـنَّ يُقابل
فوقفتُ في الهيجاء وقفة عارف ... يـدري بـأنَّ العمـر شيء زائل
لله سـتـة أشـهـر كابدتـها ... والجَـوّ من صبغ العجاجة حائل
عَمَّ الفخارُ بني رواحة كلهم ... لكنه وسْـط العـلاية نازل
هم جاهدوا بنفوسهم وبِمالهم ... وبرأيهم وبِحزمهم قد قاتلوا

(٢) العجاج: الغبار، الدخان.

(٣) النقعُ صوت انطلاق الرصاص من البنادق.الوابلُ: ما يتساقط بغزارة.

(٤) الأباطحُ: جمعُ بطحاء وهو السهل المنبسط الفسيح يسيل فيه الماء تاركا فيه الرمل وصغار الحصى.

والـجابـري دعـا فـزار لنصره ... فأجـاب مـزروع دعـاه ووائـل[1]
وقبـائـل شتى أطـاعـت أمـره ... ظلما وعـدوانـا لديه تقاتل
عمدوا إلـى هـدم البناء وأملوا ... أن يبلغوا بِجموعهم ما حاولو
حتى إذا حميَ الوطيس تَخاذلوا ... وتنصلوا بئس النصير الخاذل
أنَّـى تـروم جموعهم هدما له ... وجـداره فـي كـل يـوم طـائـل
فبدت لَهم شهباء تلمع في الدجى ... فكـأنـهـا مقبـاس نـار شاعل
غـارت جيوش المسلمين عليهم ... فتخلفوا عـن دارهـم وتَجافلوا
وتـوالـت الغـارات فـي آثارهـم ... إن زايـلـوا سهما دهاهم عامل
لا عن رضى تركوا الديار وإنَّما ... قـد هالَهم ذاك المقام الهائل
النهب والتخريب في أموالهم ... والقتل والإنـكـاء فيهم شامل
واللّه مـا كـانـت عـوائـد جابر ... هـذي ولـكـن ذا قـضـاء نـازل
قد شاهدوا الأمر الذي لَم يعهدو ... ووقـائـع الحرب العقيم حوامل
ظنت ريـام بـأن ستدرك فرصة ... منـا لأنَّ الـجـابـريَّ مـنـازل[2]
جَمَعَتْ إلى إزكي العصائب بغتة ... وتقدمت فيمن حماها الحاصل[3]
فسـرت إلـيـهـم فتية فسقتهم ... كأس الندامة وهـو سم قاتل
للّه مـن أمنـيـة عـرضـت لَهم ... من دونِها كأس المنية حائل

(١) الجابري نسبة إلى بني جابر من قبائل بني ذبيان الغطفانية. فزارة: قبيلة من النسب الذبياني الغطفاني فهم بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. مزروع: هذه إشارة إلى قبيلة المزاريع التي ينسبها البعض إلى تغلب وينسبها البعض إلى تميم. وائل: قبيلة من وائل بن قاسط بن هنب. وهذه القبائل من الجناح النزاري العدناني في عمان. وبنو جابر والمزاريع مقيمون في سمائل وفي ولايات أخرى. أما فرزارة ففي شرقية عمان والباطنة، ووائل في الظاهرة. لمعرفة أنساب تلك القبائل أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ السيابي: بنو جابر ص ٤٠، بنوفزارة ص٧٠، بنو مزروع ص٧٩، بنو وائل ص ٤٠.

(٢) ريام قبيلة من قبائل حمير في عمان. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ السيابي ص١٣٣-١٣٥.

(٣) إزكي: ولاية من ولايات محافظة الداخلية، تبعد عن العاصمة مسقط بمسافة ١٢٠كم.

فليأخذوا ضعف الذي قد أمَّلوا ... وليشهدوا فوق الذي قد حاولوا
والحضرميُّ أراد نصرة قومه ... فدهاه وسط الدار أمر شاغل[1]
خربت بلادهم فأمست عبرة ... حتى لَهم رَقَّ العدو الجاهل
ورأى العزور فعالَنا في غيرهم ... فتخوفوا من بأسنا وتَخاذلوا[2]
والوائليُّ أراد يَخفر ذمة الشـ ... ـيخ السيابي[3] والنفوس قواتل
فأتتهم غاراته مبثوثة ... ترديهمُ والقتل حكم فاصل
فدعا لنصرته فلبى صوته ... منا أسود في الحروب أفاضل
نزلوا إلى صيا[4] فقرت عينُها ... لكنه قلب السفالة واجل
وشيوخ هَمدان وآل مُسَيَّبٍ ... وبنو نداب[5] للخصيم تطاولوا

(١) الحضرمي: قبيلة من قبائل حمير في عمان. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ السيابي ص١٦١.

(٢) العزور: وردت (الغرور) في نسخة مخطوطة الديوان. وقد جعلتها: العزور لمقتضى السياق الذي يعرض فيه الشيخ حال بعض القبائل. والعزور قبيلة من قبائل عمان الشهيرة وهم بنو عزرة بن سامة بن لؤي. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ السيابي ص٢٢.

(٣) الوائليون: من وائل بن قاسط بن هنب بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. السيابيون نسبهم الشيخ سالم بن حمود السيابي إلى وائل فهم عنده أبناء مسيّب بن شهاب بن النويرة المنحدر من تغلب بن وائل بن قاسط. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ٤٠-٤٥. أما العلامة أبومسلم الرواحي فقد نسبهم في قصيدته المشهورة النونية إلى قضاعة فقال:

وأينَ نارُ الوغى آلُ المُسَيَّبِ من ... قَضاعةٍ وزعيم القوم زهرانُ

وتابعه على هذا النسب الشيخ عبدالله الخليلي في قصيدة له في ديوان: الموعظة، بعنوان: تَعْلامة العصر، يرثي فيها الشيخ العلامة سالم بن حمود السيابي، فقال:

لكم قضاعة عيصٌ زانه شَرَفٌ ... وفي الحُوَلة ما قد شَرَّفَ النسبا

(٤) صَيًّا: قرية تقع في منطقة سفالة ولاية سمائل على مدخلها من جهة وادي العق. وتوجد بلدة في ولاية قريات بنفس الإسم لكنها بالتخفيف: صَيَا. وفي المعجم: صَيَّأَ النخلُ: ظَهَرَتْ أَلوانُ بُسْرِه.

(٥) همدان: قبيلة الرحبيين. منسوبون إلى همدان القحطانية. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص١٤٥. الندابيون منسوبون إلى النَّدْب بن شمس من الأزد. إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص١٣٠.

خلعوا ثياب العار عن أعراضهم ... فلهم على الناس الفخار الكامل
برئت بنو حراص[1] من قتلاهم ... وتراجعوا عن غيهم وتساهلوا
هذا هو الفخر الذي لا يدعى ... بل تدعي هذا الفخار سمائل
عم الفخار بني رواحة[2] كلهم ... لكنه وسْط العلاية نازل
هم جاهدوا بنفوسهم وبِمالهم ... وبرأيهم وبِحزمهم قد قاتلوا
وبنو على هام السماك منازلا ... شرفت بهنَّ أواخرٌ وأوائلُ

* * * * *

(١) بنوحراص قبيلة منسوبة إلى وائل بن قاسط. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص٤٦.
(٢) بنو رواحة ينحدرون من رواحة بن ربيعة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أنظر كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ السيابي ص٣٢.

(١٢) أنياب المنايا

هي تلك أنياب المنايا لم تزلْ ... تأتيك كالحة فَتَعْلَقُ بالأجلْ
ما صاحب الدنيا الدنية من فتى ... إلا وقصَّرَ لو درى طول الأمل
هل سَالَمَتْ دار امْرئٍ مملؤة ... كرما ولم تهجم عليه بالعلل
لو أنها ترعى ذمام مُوَحِّدٍ ... لرعتْ ذمام العدل عزَّان البطل[1]
وعماد دولته وحجته التي ... قد أفحمت بالله أرباب الجدل
ذاك ابن خلفان الخليلي النقي ... الجيب قطب الدين مولانا الأجل[2]

(١) الذِّمَامُ: العهدُ والحق والحرمة. عزَّان: هو الإمام عزَّان بن قيس (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م-١٢٨٧هـ/١٨٧١م) بن عزَّان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي. قام بثورة على حكم أسرته تمثلت أهدافها في السعي لتخليص عمان من النفوذ البريطاني، وتوحيد إقليمها، وإجلاء الوهابية السعودية الغازية، ومحاولة استرجاع ملك عمان في شرق إفريقيا. بويع إماما لعمان يوم ٢٢ جمادى الآخر سنة ١٢٨٥هـ. وفي فترة قياسية لم تزد عن سنتين تمكن من تحقيق تلك الأهداف. وقد استشهد ليلة ٨/١١/١٢٨٧هـ/١٨٧١م، إثناء المواجهة التي دارت بينه وبين السلطان تركي بن سعيد الذي خرج عليه بمساعدة الإنجليز ليسترد نظام السلطنة لأسرته. وقبره رحمه الله تعالى في موضع جبروه بولاية مطرح. أنظر كتاب تاريخ عمان السياسي لعبدالله الطائي، ص ١٦٥-١٦٩.

(٢) التعريف بالشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي محله عند أول ذكر له في المقدمة الأولى التي كتبها أمير البيان عن جده في بداية هذا الديوان. أما وقد فاتني التنبه لذلك الموضع فإنني أورد التعريف به هنا: الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن أبي سالم بن أحمد الخليلي الخروصي، جاءه النسب الخليلي من جده الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي. نشأت أسرة آل الخليل في ولاية بهلا. أهدت لعمان عددا من كبار العلماء والأئمة الذين نذروا أنفسهم لله ولدينه ولنصرة الحق وقمع الظلم. ولهذا السبب غدت هدف الذين تأثر نفوذهم بحركتها الدائبة لبسط العدل. فحوصرت وضويقت وشُدِّدَ عليها حتى اضطر القادة فيها من العلماء إلى التفرق في أماكن أخرى فنزلت الأسرة الخليلية التي انحدر منها العلامة الرباني الشيخ جاعد بن خميس الخليلي الخروصي بوادي بني خروص، ونزلت الأسرة التي انحدر منها الشيخ العلامة الرباني المحقق سعيد بن خلفان ببلدة بوشر بمسقط. الشيخ جاعد وذريته بقوا على النسب الخروصي الذي هو نسب جدهم الأبعد الإمام الصلت. أما الشيخ سعيد بن خلفان فالتزم الانتساب إلى جده الأقرب الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت. ولد الشيخ المحقق سعيد بن خلفان في سنة ١٢٣٠هـ في بلدة بوشر من ضواحي مسقط. توفي عنه

والده وهو لا يزال صغيرا. فكفله جده أحمد بن صالح ونشَّأَهُ نشْأةً طيبة. درس علوم الفقه والحديث وعلم الأسرار على يد شيخه ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي. اهتمَّ الشيخ سعيد بعلم السر اهتماما بالغا، وعكف يلازم الخلوات الإلهية. نظّم في ذلك قصيدتين طويلتين إحداهما بعنوان التعريج يقول في مطلعها:

عـرّج علـى بـاب الكـريـم الْمُفْضِـلِ ... والْثَـمْ ثـراه سـاعـة وتَـذَلَّلِ
فلئن رزقـت لـدى حمـاه وقفـة ... تربـت يـداك بنيل مـا لـم تأمـل
ولـئـن تـرى ذاك الجـمـال ... فاسحب ذيـول الـتِّـيْـه فيه وارْفـل
ولـئـن نشقت شـذى ثـراه ساعـة ... فلك البشارة بالْمَقـام الأطـول

والثانية بعنوان: السموط، يقول في مطلعها:

سُمُـوطُ ثـناء في سـموط فريد ... بكل لسـان قد بُثِـثْـنَ وجِـيْدِ
وحمـدٌ تـغص الكائنات بنشره ... إذا نشـرت منه أجـل بَـرُود
وذكـرٌ لـه تَـحـيـا الـنـفـوس ... ويُـبْعَثُ قبل البعث من هو مُودي
تـعطَّـرت الآفـاق مـن طيـب عرفه ... فما مسك دارين يُشـاب بعـود

ترك الشيخ عددا من المؤلفات في علوم الدين والعربية. كان في عصره وجهة المتعلمين والعلماء في الفتاوى وحل المسائل الفقهية والدينية والسياسية أمثال المشايخ خميس بن راشد العبري، وابنه ماجد بن خميس، ومحمد بن سليّم الغاربي والزعيم صالح بن علي الحارثي، وجمعة بن خصيف الهنائي، وعبد الله بن راشد الهاشمي، وعلي بن محمد المنذري (من علماء زنجبار)، وجميل بن خميس السعدي صاحب موسوعة قاموس الشريعة. أطلق عليه العلامة السالمي لقب (المحقق الخليلي). وبجانب ذلك فهو شاعر مفلق، اتسمت مادة ديوانه بالثراء الموضوعي، فهي بين قصائد سلوكية دينية وعلمية وتاريخية. وفي هذه الناحية توثق قصائده لحقبة من تاريخ عمان خلال فترة دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي، وما واجهته عمان خلال تلك الفترة من الأخطار السياسية الداخلية والخارجية. وكان الشيخ المحقق الداعي إلى إمامة الإمام عزَّان والعاقد له بيعة الإمامة يوم ٢٢ جمادى الآخر سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م. قال فيه الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي أحد رجال عصره:

سعيد بـن خلفان المجلّي إلـى العلى ... سـما كـرمـاً فخمـاً ومجـداً وسـؤددا
فَتِئْتَ فتى في النائبات مراغمـاً ... لكل صـريح مُـقْـتَـدَى بـك مُـهْـتَـدَى

ترك الشيخ سعيد بن خلفان ثلاثة أبناء هم عبد الله صاحب هذا الشعر، وأحمد الذي تقدم عرض ما بقي من شعره، ومحمد. ومن البنات ترك شمسة التي تزوجها الإمام عزَّان بن قيس. وفي شهر ذي القعدة من عام ١٢٨٧هـ استشهد الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله تعالى. توجد له سيرة مبثوثة في صفحات متفرقة من كتاب: تحفة الأعيان لنور الدين السالمي، ج٢، ص ٢٥٩-٢٩٧. نهضة الأعيان للشيبة السالمي ص ٨٢-٨٣. تاريخ عمان السياسي للطائي ص ١٦٥-١٦٩.

فَدَهَتْهُمَا من حيث لما يشعروا ... بِحبائلٍ نيطت بأنواع الحيل[1]
وَقَعَتْ على طود العلى فتهدمت ... أركانه يالي لِخطبٍ قد نزل[2]
من لي بجر العاديات إلى العدا ... من لي بنصب منار معروفٍ شمل
من لي برفع نقاب كل عجيبة ... من لي بِجزم فعال أصحاب الملل
مالي وللأيام تصرف كل ذي ... عدل ومعرفة وتُمْكِن ذا الهَمَل
تبا لَها ولِمن تَخيَّرها له ... ما عاش في غيطانِها إلاَّ جُعَل[3]
أدَرَى بِها من طلّقاها منهما ... وتزوجا الأخرى التي لَم تبتذل
جادوا ومن ذا قد يَجود بنفسه ... مهرا لِحوراء الجنان ولَم يُبَل[4]

* * * * *

(١) دَهَتْهُما: أصابتهما. حبائلُ: جمع أحبولة وهي المِصْيَدَة. نِيْطَتْ: عُلِّقَتْ.
(٢) يالي لِخَطْبٍ: تعجب لشدة ما وقع. والأصل في هذا الأسلوب أنه للاستغاثة واستعماله في التعجب مقصور على السماع.
(٣) الجُعَلُ: حشرة كالخنفساء تعيش على القذر.
(٤) لم يُبَلْ: لم يَكْتَرِث.

(١٣) الزمان

يـاصـاح هُـبّ فما الـزمـان زمـانُ ... الأمــرُ جـدٌّ والـنــفـوس رهـانُ
مالي أراك عـن الفـلاح مقصرا ... أأتــاك عـن ريــب المَـنـون أمـان
مـن كـان يـدري بالمعاد وهوله ... والـنــار لا تـرمـي لـه أجـفــان
غَـرَّ الزمانُ بنيه قبلك بالمُنى ... أَوَمَــا عَـلِـمْـتَ بـأنــه خَــوَّان
أيـن الذين هُـمُ هُـمُ إنْ تَدْعُهُم ... لكريهة وإذا استعنت أعـانوا[1]
طَحَنَتْهُمُ أيدي المَنونُ فأصبحوا ... لا يُـذْكَـرُونَ كأنهم ما كـانـوا[2]
أَنَسِيْتَهُم من بعدما صاحبتهم ... دهــرا فـما أنســاك يـا إنسـان
أَظَنَنْتَ بعدهمُ تعيش مُخلدا ... ولـربَّـما نُسِجَتْ لـك الأكـفـان
حَتَّامَ لَم تفعل وتـأمـر بالتقى ... وإذا خـلـوتَ خـلا بـك الشيطان
تعصي الإلـه وأنـت تأكلُ فضلَه ... ســبـحـانــه لـعـبــاده رحــمـان
صُنْ نفسك المَلاّء عن أهوائها ... إن النـفوس مع الكـرام تصان
أَحْسِنْ إليها ما استطعت بتوية ... مـا كـل وقــت يُــدْرَكُ الإحسان
واعـلـم بـأنـك ميـت ومُحـاسـب ... عـمَّـا مضى وكـمـا تُــديـن تُــدان

* * * * *

(١) الكريهة: النازلة، المصيبة، الحرب.

(٢) المنون: الموت.

المجال الرابع
شعر أمير البيان
الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

أورد الشيخ عبدالله من قصائده في هذا الديوان ما أورده أيضا في ديوان المجتليات ووحي العبقرية، وفارس الضاد وغيرها. وحيث إن القصائد المكررة هنا مندرجة تحت إطار موضوعي خاص بها في الدواوين الأخرى فقد حذفت المكرر هنا وأثبته هناك. ونفس الشيء فعلته مع قصائد نقلتها من تلك الدواوين إلى هذا الديوان وبَيَّنْتُ ذلك بحاشية وضعتها على كل قصيدة من القصائد المنقولة.

أولا: قصائد في الشدائد والنُّبْل

(١) طائر الوَنَى[١]

يفجؤنى تحت الظلام مهيبُ ... ويجمح بي في الجامحات مُرِيْبُ
وأبتلع الآناء وهي مناصلٌ ... وأرتشف الآمال وهي لغوب[٢]
وأشرب أيامي وهنَّ قواصلٌ ... فَتَفْلذُ مني ما تشا فتريب[٣]
وأزجر منها طائرا جدّه الونى ... وتزجر مني طائري فيجيب
وأجلو غبار الشك عني بلمعة ... من النور تجلو غايتي فتصيب
ليسهر جراها الزمان وأهله ... وما هي إلا لمحة فتغيب
وتَشْهَدُ آيُ الله في سبحاتها ... على صدق ما قد قلت وهو رقيب
أقول لمختال له الغش حرفة ... قصاراه منها ندبة وندوب
لك الويل لا تركن إلى الغش قاصرا ... عليه قصير العمر فهو كذوب
فلا تركب الدنيا ذلولا مطهماً ... إلى غير قصد الله فهو هروب
ونافس على تقوى من الله غاية ... يلوذ بها الإيمان وهو رهيب
إليك نظام العيش فالعيش بارد ... زلال وطوراً لفحة ولهيب
إليك فإن الحال لا شك حائل ... ومن خبر الأيام فهو أريب
فهبني جليت الدهر شطريه فانثنى ... إليَّ مكبا والطوية حوب
فلم يَبْدُ لي منه مُجِدٌّ مُشَمِّرٌ ... ولكن حسير لا يكاد يصيب
ولا علمتني منه ساعة وصله ... سوى كمدٍ يغشى الهوى فيذيب
إليك سويعات اللقا فيك أنةً ... ترددها الألحان وهي طروب
فلا الدهر بالثاني العنان[٤] هنيهة ... ولا هو بالباقي عليه حبيب
ففيم الترجي من خباءٍ مجوفٍ ... عليه الليالي عضة ونيوب

(١) الوَنَى: الفُتُور.

(٢) الآناء: مفردُها أنْيٌ وإنْيٌ، الساعة من الليل، وقيل النهار كله. المناصِلُ جمع مُنْصُل وهو السيف. اللُّغُوبُ: الإعْياءُ. المناصِلُ جمع مُنْصُل وهو السيف. اللُّغُوبُ: الإعْياءُ.

(٣) قواصِلٌ: قواطع. قَصَلَ الشيءَ: قطعه قَطعاً قوياً سريعاً. فَتَفْلَذُ: فتقطعُ. فَلَذَ الشيءَ : قطعه.

(٤) ثنى عِنَانه عني: أعْرَضَ. وثنى عِنانَ فرسه: لَوَى وجْهَهُ لَيًّا لِيُكَفْكِفَهُ عنْ سرعته.

تطول عليه الطائلات من الهوى ... ويسكبه عبر اللقاء سكوب
وتغشاه من آي السما آية الفضا[1] ... فتنفعل الآمال وهي ضُروب
دُعِيْتُ إلى إحضار ما عنَّ سانحاً ... لِعَيْنِيْ فلم يسنح لَدَيَّ عجيب
ففيم أروض السابحات معيرةً ... لي ندوة فيها اللقاء يطيب
واستحضر الدنيا أمامي مطيعةً ... عليها رداء الحسن وهو قشيب
ولكنني بادرت في الجد ساعداً ... بقلب يصدُّ الصلد منه صليب
يهيم عليه في المحبة والصفا ... صديق وأما المعتدي فيخيب
يردد سجع النائحات مُغيرة ... فيحدو به الأيام وهي تذوب
تحدر مني عن بيان مطاوع ... سماءً مُلتاّ[2] والفؤاد رحيب
وسار مسير الشمس في الأفق قاطعا ... جبال الونى والدهر ثم يُهيب
يُفَوِّقُ منه السهم كي يَرْمِيَ العدا ... ليذعن منهم مارق وحريب[3]
صحبت الليالي وهي سود عوابس ... وجانبت منها اللؤم وهي جَذوب
وجردت نفسي في هوى الله وحده ... فما حاد بي دون المرام سَلوب[4]
ولا زاغ بي عن حبه جل شأنه ... تجافٍ ولو أن المقام يُشيب
أنادي رسول الله في جلوة اللقا ... ليشهد منى ذائب ومذوب
وأستعذب الذكرى لذاتٍ تربعت ... جلال التجلي حيث ليس مريب
وأُشْفِعُ فيه بالصلاة سلامَها ... لأَخْتم قولي والختام يطيب
تلقاه رضوان الاله بطيبه ... وبوَّأه أرض الجنان مُثيب
وتشمل ذكراي الصحابة كلهم ... ويخفق مني القلب وهو طروب
ويسحر آي الوصل منها بيانها ... يهيم عليها سالب وسليب
وتخفق فيه بالسعادة آية ... من الوصل يدعوها الهوى فتجيب
وتنعم بالذكرى لحبٍّ أجابها ... لِرَغْبَائها[5] والدهر ثَمَّ عصيبُ

(١) الفضا: كذا وردت، ولعلها بالقاف: القضاء.
(٢) مُلِتاًّ: كذا وردت، ولعل صوابها بالثاء المثلثة: من لَثَّ المطر أي دامَ أياما.
(٣) يُفَوِّقُ: يَضَعُ فُوقَ السهم في الوَتَر لِيُرْمَى بِهِ. المارِقُ: المتمرد. الحريبُ: المُحَارِب.
(٤) فما حاد بي دون المرام سلوبُ: أي لم يصرفني صارف عن غايتي.
(٥) الرَّغْبَاءُ: الضَّرَاعَةُ والمسألة.

(٢) الصارم الأحنف

حـتَّـامَ دهـري جانـحاً لا يفي ... لكنـه يـهدر فـي الصَّـفْصَـفِ[١]
تـهـــزه مـــن طـبـعـــه عـــادةٌ ... لكنها تهوي إلى المِـجْـنَـفِ[٢]
وتصطبيه بـالصوى غايـةٌ ... أَمَضّ من وقع القنا المُوْجِفِ[٣]
حـيـــران فـي داويـــة يلـتوي ... فيها السَّبَنْتَى وهو خاوٍ حفي[٤]
لـكنـــه مـا طـاش منـــه بـه ... لـب ولا خـــان ضـمـيـــر وفـي
ما بَـــالُـــهُ عَـــبَّ دِمَـا خِـلِّـهِ ... لم يَـرْعَـهـا إلاًّ[٥] ولم ينصف
وخـاس بـالعهد ولـــم يـذّكـر ... تـبـــا لـــه مـن خـائـن لا يفي
كما استباح العرض في جهرة ... لكنـــه ســرعـان مـا يختفي
إنْ هَـوِي الشخص تفانى به ... وإنْ جفا كـاد فلـم يـــرأف[٦]
مـا بـــالـه حَـمَّـلَـنِـيْ طوقـه ... يامُـثْـقِـلَ الطوق احْـتَـمِلْ تَـعْـرِفِ
حَـمَّلْـتَـنِـيْ منك على مـأزق ... وشُـبْتَ ليَ الصاب على القرقف[٧]

---

(١) الصَّفْصَف: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفلاة.

(٢) المِجْنَفُ: من الْجَنَف وهو: الميل والجور، ومنه قوله تعالى: (فَمَنْ خافَ من مُوَصٍ جَنَفاً). وأجنف الرجل: أي أتى بما يلام.

(٣) تصطبيه: تغريه، تستميله. الصُّوَى: اللافتات الدالة على الطريق، وكانت عند الماضين من الحجارة تنصب على الدروب الطويلة إرشادا للمسافرين كي لا يضلوا المسار. القنا: جمع قناة وهو الرمح. المُوْجِفِ: إسم المفعول من أوْجَفَ، يُوجف، إيجافًا، فهو مُوجِف. والوَجْفُ: سُرْعة السير، وهي هنا وصفٌ لسرعة رميه أو إصابته مرميّه.

(٤) الدَّاوية: الفلاة. السَّبَنْتَى والسَّبَنْدَى: الجَرِيءُ المُقْدِمُ. والسَّبَنْتَى النَّمِرُ، وقيل: السَّبَنْتَى الأَسَدُ.

(٥) الإلُّ: العهد، الذمة.

(٦) هَوِيْ: أحَبَّ.

(٧) الصَّابُ: شجَرٌ مُرٌّ له عُصارَةٌ بيضاءُ كاللبن بالغة المرارة. القَرْقَفُ: الخمر.

كم بِتَّ تغري بِيَ أهل الهوى ... وتزدريني في أذىً مرجف[1]
يسدد الفُوقَ[2] على سهمه ... ليرمي المنصف بالمنصف
رمى بقلبي خلف آذِيِّهِ[3] ... وخلف القالب في المتحف
لكنني في عالم أعزب ... أرنو إلى الدنيا بطرف خفي
أخشى سطاها ثم أهفو لها ... وأحتفي فيها فلا تحتفي
في حين يحزؤني حازب[4] ... يفر خوفَ الآي في المصحف
يكر في العنف بلا رحمة ... وينكر العنف من المسرف
ويترامى في هوى خادع ... لكنه بدر على مُطرف
إذ أنه يأوي إلى حدسه ... كالطائر الحائر في الرفرف[5]
يفرق الجمع بملمومة ... من كيده والحب في الشرشف[6]
ويلمه من جاحد معتدٍ ... يقرع بالسوط فلا يأنف
ويجمع الشر بحيزومه[7] ... مَكْراً بمن بات به يحتفي
على يديه من تلابيبه ... أحمر قان ثُجَّ عن مُرْهَفِ[8]
يا خائناً في عهده خائبا ... وَيْكَ أما تخشى دها الموقف

---

(١) تزدريني في أذى مُرْجِف: تستخف بي (وهو الازدراء) بما تبثه من الأخبار الكاذبة المثيرة للفتنة والاضطراب (وهو الإرجاف).

(٢) الفُوقُ من السهم حيث يُثَبَّتُ الوَتَرُ منه.

(٣) الآذيّ: الموج الشديد.

(٤) يَحْزَؤني: يُخيفُني، يُقْلِقُني. حازب: أمرٌ مهم.

(٥) الرّفْرَفُ: ما يجعل في أطراف البيت من الخارج يُوَقَّى به من حَرّ الشمس. ورفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما وحركهما.

(٦) الكيدُ الملمومُ: المتين. في المعجم كتيبة مُلَمْلَمَمٌ ومَلْمُومَة أي مستديرة صلبة.

(٧) الحيزوم: الصدر.

(٨) التلابيبُ جمع تلبيب. موضع اللَّبَب من الثياب. يقال أخذ بتلابيبه: أمسكه من أعلى ثوبه. ثُجَّ: أُسِيْلَ. المُرْهَفُ: السيف.

تغدو على باب الهوى حائراً ... فيه وتسري منه في جَفْجَفِ[1]
أقبح بحاديك على عيسه ... يزحف كالرقطاء إن تزحف[2]
يا خافر الذمَّة[3] من لؤمه ... في الله والله به محتفي
هبك حفرت الحتف بالظلف يا ... مغرراً لما يكد يألف
فاختتم المسرى صلاة على ... خير الورى الهادي إلى الأشرف
والآل والصحب الأُلَى طوعوا ... في الله من لله لم يعرف

* * * * *

(١) الجَفْجَفُ: الريح الشديدة تجفف كل ما مرت عليه.
(٢) الرقطاء: الحيّة.
(٣) خافر الذمَّة: من لم يوفِ بالعهد.

(٣) الشِّعرَى[١]

أزرى به[٢] الوغد فاهتزت عوالمه ... ورامه الكيد فاشتدت عزائمه
وحاول الدهر يثني من عزيمته ... بغيا ولكن حوى منه مقاومه
وطاردته الليالي عن طريدته ... فما انثنى لا ولا كلَّت صوارمه
لكنه عاد للعادي لِيُنْكِئَهُ[٣] ... لو لم يكن ثَمَّ يخشى الجند عازمه
فراح للأمن يشكوه لينصره ... أو ينزع القيد عنه فهو خاطمه[٤]
فحاول الأمن يحني معصماً خشناً ... على العدو فلم تفلح معاصمه
فقال للمعتدي ظلماً عليه ألا ... أطلق رصاصك بالعادي تقاومه
لكن بأحرام بيت أنت ساكنه ... فالبيت ذو الحق إذ تهتك محارمه
وإن رميت فجانب عن مقاتله ... فيصبح الأمر مشدوداً غلاصمه[٥]
لكن صاحبهم يغشى الكريهة[٦] في ... إقدام من لم يَخَفْ ممن يصادمه

---

(١) الشِّعْرى كوكب متوهج من أسطع الكواكب في السماء ليلا. يتبع الجوزاء، يُرَى قبل شروق الشمس، وهو من أجمل وألمع النجوم وأقربها إلى الأرض. والشِّعْرَى شعْرَاوَان: الشِّعْرَى اليمانية والشعرى الشامية. وكان هذا الكوكب معروفا عند قدماء المصريين، ويسمونه في لغتهم "إمي خت سوبدت". وكان مقدسا لديهم لارتباط ظهوره بفيضان النيل. ومثلما قدّسَه الفراعنة فإن من العرب من اتخذه ربا، كقبيلتي خزاعة وحمير، لارتباطه عندهم بموسم هطول الأمطار. وكان من أسمائه عندهم: المِرْزَم، والمُزْن، والعبور، وكلب الجبار، ويد الجوزاء. ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة القمر، الآية: ٤٩، في قوله تعالى مخاطبا نبيه محمدا: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ أي أَنَّ رَبّك يَا مُحَمّد هُوَ رَبّ الشِّعْرَى، وذلك نفيا للألوهية التي أسبغها بعض الجاهليين على هذا النجم.

(٢) أزرى به: حطَّ من قدره.

(٣) لِيُنْكِئَهُ: نَكَأَ العدو أي جرحه وقتله.

(٤) الخَطْمُ: الأنفُ أو مُقَدّمُه. الخطام: حبل يوضع على أنف البعير ليقاد به.

(٥) المَقَاتِلُ: مواضع في جسم الإنسان إذا أصيب فيها مات على الفور. الغَلْصَمَةُ: رأسُ الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق.

(٦) الكريهة: الحرب.

أكرم به شاعراً في ثوبه أسدٌ ... يخوض بحر المنايا وهو عائمه
فبات يرتقب العادين في حنق ... حتى رأى شبحاً يخفيه قائمه
وقد تسلق سور البيت متخذاً ... طريقه نحو علو البيت رائمه[1]
فأطلق النار أو ألْقَاهُ مُطَّرَحاً ... يخور[2] في الدم لم يعصمه عاصمه
لكنه كان ظهر السور مرقده ... لـمَّا هوى بكيان غار عارمه
يصيح في ذلة أدْرِكْ أخاك فقد ... تحطمت ساقه وانهار قائمه
وليس من ملجأ إلاك يكنفه ... فكن حليماً وأنت الجود حاتمه
فقال أفْعَلُ فِعْلَ الأكرمين على ... شريطة الفصح عما أنت كاتمه
فلم يكاتمه شيئاً من سريرته ... حتى عن الحافز الممقوت آثمه
وقام يمليه تصريحاً وقائعه ... كثيرة وكبيرات جرائمة
والأمن يسمع ما يمليه من حُرَمٍ ... بالغافلين كما أملت مزاعمه
وباح عن سر ما دست جرائمه ... ومن لديه كما شاءت جرائمه
وقد جنوا في جماعات أولي حُرم ... والله يأخذ قهراً من يزاحمه
لكِنَّ للأمن رأياً لا يقاس به ... رأي ولا يتحداه مراغمه
أنحى عليه بأعباء الملامة عن ... سياسة أقبلت فيه تخاصمه
يا شاعراً جَمَحَتْ فيه سجية ... مجدّ في السير تحدوه غنائمه[3]
لخالد ابن الوليد أنت منتسب ... طوراً وطوراً لحسان تزاحمه
أكرم بها سمعة باتت تناقلها ... رواية الجيل والشادي حمائمه
تَنَفَّسَ الصعداءَ الدهرُ من عجب ... وأنت تشحذ فكراً فيه صارمه

(١) رائمه: أي محاولا الصعود إلى أعلى البيت.
(٢) يخور في الدم: يصيح مما يراه من دمه المسفوك.
(٣) هذا البيت مختل الوزن في شطريه.

تسري ولليل تحت المَانَوِيَّةِ[1] أوْ هام وإقدامك الجبار هازمه
فاجْنح بشعرك فالشِّعْرَى مواتية واجمع به في ميادين تلائمه
وافْتَضَّ مسك ختام لا يضارعه طِيْبٌ يَهيمُ به من ضاع خاتمه
تفوحُ منه صلاةُ الله عن نَفَسِ الرْ رَسولِ يَشْفَعُها التسليم دائمه
ما غنَّتِ الوُرْقُ في ألحانها هزج ورجّع الإلف سجعاً هام هائمه

* * * * *

(١) المانوية: استخدام أمير البيان للفظة (المانوية) في شعره ملمح لاحظته في أكثر من ديوان، فهنا يقول:

تسري ولليل تحت المَانَوِيَّة أوْ هامٌ وإقْدامُكَ الجبَّار هازمُهُ

وفي جوابه على سؤال لأبي سرور بديوان بين الفقه والادب، قال:

والليلُ (تَسْتَنْفِرُ) الأنَاتُ هَجْعَتُهُ والمَانَوِيَّة بين الصدق والكذب

وفي قصيدة: مضل البعير بديوان فارس الضاد، قال:

فمال إليه والدُّجى غير قابع بخيمته والمَانَوِيَّة غُول

وكذلك قوله في قصيدة: الشأو والشأن في ديوان فارس الضاد أيضا:

ويركب الليل نسرا لا يُرَوِّعُه لِلْمَانَوِيَّة زجر بين غيطان

ولا أدري إن كان للفظة في الشعر معنى غير معناها الدَّال على مذهب منسوب إلى ماني بن فانك الفارسي الذي ظهر سنة ٢١٦ ميلادية، مزج فيه تعاليم المسيحية واليهودية والبوذية والزرادشتية. وأهمّ أركانه القول بالثنائيّة، أي: إله للنور وإله للظلام. ويظهر من تلك الأبيات أنَّ أمير البيان يرمز بها للجهل، والشر، فقد استعملها في مواضع اقترنت بالدجى والليل، والغول، والرعب.

(٤) السعد والرشد

لئن خانني سعدي فما خاربي رشدي ... وإنْ هزَّني وَجْدي فما عزَّني جَدِّي[1]
وإن جنحت بي أم الدواهي بنحسها ... عليَّ قَرَعْتُ الحمد بابا إلى السعد
وإن غالطتني الحادثات حديثها ... لجأت إلى الرحمن فاعتادلي أيدي
وإن طاولتني الطائلات بطولها ... تطاولت بالقرآن أو طالها خدي
وإن كدرت حوضي الليالي بعيشها ... وردت الصفا منه على غارب الجد
وإن فاتني منها رجاء مهذب ... فما فاتني من سعدها طالع السعد

* * * * *

(١) الجَدُّ: الرَّزَانَةُ وعدم الهزل.

(٥) الحياة

ولقد ذكرتك والحياة تمر بي ... عجلى تخال سنينها الساعات
فذكرت أعمق من ذكرت محبة ... ورأيت أجمل من رأيت حياتي
فذكرت منك عليك بادرة الهوى ... نحوي سلام البرء في قنواتي
حتى رأيتك واللطائم تنبري ... شوقا إلى مغناك وهو مُوَاتي[١]
والبرق يختطف السماء بومضه ... والبدر في شغل الهمسات[٢]
والشوق يحتضن الوفاء بعزمة ... جبارة الحركات والسكنات
فَشَهِدْتُ فيك جلال ربي مشرقاً ... بالعزِّ تحت ركيزة الآيات
فَهَبِيْ ذَكَرْتُكِ والحياة تدور بي ... عَجَلاً على قاسٍ من العجلات
ونَدِيَّةُ الأعطاف قلت لها عِدِيْ ... وصِلِيْ حبيبك رغم أنف العاتي
واستمتعي بالوصل منك على الوفا ... إنَّ الوفاء لَحُلْم كل فتاة
ثم استعيذي بالإله من الجفا ... إنَّ الجفاء لأقبح الخلاّت
"يا شاة ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ" تاتِ[٣]
فَتَرَيَّثَتْ بالقرب منك شجية ... كيما تراك بأمتع اللذات
وغَدَوْتَ تلحظُها بطرفٍ حائرٍ ... وعلى الهوى ضرب من الغفوات
أجهدتُ نفسي في هواه فراعني ... منه مسير الروع في الظلمات
وطمعت منها بالحديث فقلت هل ... من زورة لك تستعيد حياتي
فتبسمت هزؤا وقالت يا ترى ... إن الوفاء لأسعد الخطوات

(١) اللطائم: مفردُها لطيمة وهي وعاء المسك. واللطائم نوق القافلة التجارية تحمل المسك والبز وغيره للتجارة. مُوَاتي: مُطاوع.

(٢) الشطر الثاني به خلل، ولكي يستقيم يحتاج إلى إضافة كلمة مثل: (عن)، بعد كلمة شغلٍ وقبل كلمة الهمسات.

(٣) ما بين علامتي التنصيص جزء من بيت لعنترة بن شداد العبسي في معلقته التي مطلعها: هل غادر الشعراء من متردم، ونص البيت كاملا هكذا:

يا شاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

ثانيا: قصائد الملاغز[1]

(١) جَارِيَهْ[2]

(الملغزة الإثنا عشرية)

ذهبتُ إلى الحي أشكو الظمأ ... فأبصرت عن كثب جاريه
وقلت غريب به غُلة[3] ... فقالت هناك ترى جاريه
فقلت لها ظمِئٌ مستها ... مُ فقالت هلم إلى جاريه
فقلت أرى البحر من بيننا ... فقالت بِدَارِ إلى جاريه
فعدت ورائيَ أشكو الورى ... لربي شفيعي له جاريه
وقلت له أنت حسبي إذا ... أساء على شِركتي جاريه
وأنت نصيريَ ربي إذا ... تثاقل عن نصرتي جاريه
وأنت حليفي على المعتدي ... إذا خان ميثاقه جاريه

(١) محتوى أبيات كل مُلغزة يدور حول التعريف بولاية من ولايات عمان. وكل مُلغزة وضع لها أمير البيان رقما خاصا بها وبين رقم الملغزة والأخرى فجوات كبيرة على النحو التالي: ٣٨، ٤٧، ٧٣، ١٠٢، ١٠٤، ١٣٢، ١٣٨، ١٥٦، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٦٥، ٢٨٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٤٤١، ٦٨٠، ٧٩٢. للوهلة الاولى حسبت أن أمير البيان وضع تلك الأرقام طبقا لحساب الجمل الذي كثيرا ما يستعمله عوضا عن التصريح باسم أو تاريخ. لكنني وجدت ثلاث ملاغز بأرقام أحادية هي: ١، و٢، و٥. وعند هذا شعرت أن هذه الأرقام لم يضعها الشيخ وفق ذلك الحساب الذي يبدأ من الرقم ١٠ فصاعدا. وبالإضافة إلى ذلك فإن تلك الملاغز تكرر إيرادها في أكثر من ديوان مثلها في ذلك مثل قصائد كثيرة تكرر ورودها. والمشكل في هذا أن أرقام بعضها اختلفت بين ديوان وآخر فتجد الملغزة هنا برقم وتجدها هي نفسها في الديوان الآخر برقم مختلف مما ضاعف الربكة في ذهني بصورة لم أستطع معها تعريف القارئ بمغزى تلك الأرقام. وتخلصا من كل ذلك جعلتُ للملاغز أرقاما تسلسلية على غرار عملي في كل القصائد.

(٢) هذه المُلْغِزَةُ أقامها الشيخ عبدالله على تكرار لفظة (جارية) في القافية اثنتي عشرة مرة، وفي كل مرة لها معنى مغاير. ولفظة الجارية ترد في اللغة بمعان هي: الأَمَةُ وإِنْ كانت عجوزاً. الفَتِيَّةُ من النساء. الشَّمْسُ. السَّفينةُ. الساقية. والمجاور في الدار. وكذلك المُسْتَجير والمُسْتَجَارُ به.

(٣) الغُلَّةُ: شدَّةُ العطش وحرارته.

بوجهك يا سيدي أستجير ... فقل لي على الرحب يا جاريه
واعتز لكن بعزة ربي ... ويعتز بين الورى جاريه
أدين لربي بحق الولا ... وحق الجوار إلى جاريه
فإنك يا سيدي عمدتي ... وإنك يا سيدي جاريه

(٢) مُلْغزَة

حَيَّتْهُ حسناؤه بالنور مبتسما ... لما أشارت إلى عينيه عيناها
وقَبَّلَتْهُ بثغر كاد يُفقده ... وعيَ الحليم وقد هزته رؤياها
بيضاءُ سمراءُ ورديٌّ مقبَّلُها ... كأنها البدر والأنوار تغشاها
سبحان خالِقها سبحان بارئها ... سبحان منشئها نورا محياها
كأنها الشمس إلا إنها بشر ... بل قرية فاض بالألطاف مغناها
سبحان من صور الحسنى وأبدعها ... وأوجد الحسن من نبع سقى فاها
هبني أتيت بها تحت الكنى أفلا ... صورتها في رقيق عاش يهواها

(٣) مُلْغزَة

جاذبتني والهوى يجذبها ... فَتَلَوَّى خصرها لياً عليْ
وغزاني لحظها عن صارم ... بات يهتز بزند العمري
سَلَّهُ شهمٌ كميٌّ لَبِقٌ ... حازم النجدة لا يعرف عَيْ
يا لأرضي دار عز وإبا ... عز فيها وتعالى أبَوَيْ[1]
راضها الجد فراضت ظهره ... وطواها الجد للغاية طيْ
مالها ثَمَّتَ لم يؤبه بها ... لا ولا أهلا بها في كل حيْ
حِين ألقت دلوها فارغة ... واكتوى بالجرح منها القلب كيْ
أم تراها تشرح الآي بها ... ينجلي برهانها عن كل شيْ
أم تراها ردت الصدر على ... عجزها نائية عن كل غيْ

(١) الكَمِيَ: المقاتل الآخذ كامل سلاحه. اللَّبِقُ: الفَطِنُ. العَي: العَجْز.

(٤) مُلْغِزَة

جنَّ الهوى بالهوى يوما فخالطها ... مدينة حولها الأنوار تزدحم[١]
والآي تشرق فيها أربعا لتقي ... من شر معجمها غفلا بها تجم
تُجْبَى الزكاة إليها وهي تقبلها ... لعلها تتزكى فالهوى يَصِم
يا ربة الحسن جلَّ الله منشؤها ... صبيةً وإلى أن شابت العُزُم
ينور في الله حرفاها وقد رسما ... في جبهة الدهر كيّاتٍ لها شمم
يئز مرجل حرفيها ليُكسِبها ... من التلاحم معنى فيه منسجم

(٥) مُلْغِزَة[٢]

مدينة عظمت قدرا فخرَّ لها ... رضوى سجوداً على الأذقان والركب
تربعت فوق هامي معجمين فمه ... ملين كالملك لما حلَّ بالقبب
لوا انتزعنا لثاني المعجمين بها ... جئنا بأفضل ما للمؤمن الذرِب[٣]
ولو برينا عليها هامها طُوِيَت ... طيَّ السجل لمنشور من الكتب
ولو ربطنا على الثالوث أولها ... فرابعا لقرعنا العجز بالذنب
ولو أخذنا يد الثاني بأولها ... فرابع فهو فعل شر مكتسب

* * * * *

(١) جَنَّ: اشْتَدَّ.
(٢) هذه الملغزة حول مدينة نزوى.
(٣) الذَّرِبُ: فصيحُ اللسان.

(٦) مُلْغِزَة[١]

جرَّحتـه لـحاظُها تجريحا ... فترامى عنها يفيض جروحا
وتـولـى عنـها لينـساب فيها ... بفؤاد يطوي الحياة جريحا
شـاقـه طـرفُـهـا الـشـجـيُّ وهـا ... جتـه رؤاها بـالورد تكسو السفوحا
قـريـة أصـبـحت مـدينـة ملك ... بسقت أربُعا وطالت صروحا
مـا سباها ملك ولا سبها فَـ ... ـدْم[٢] ولا كان أن حماها استبيحا
تَـزْجُرُ اليُمْنَ طائرا في رباها ... واقعا لا يـريـم عنها نزوحا[٣]
فـاسْـتَـبِـنْ سرها وأبـحـر إليها ... لـتـراها على الجبين طفوحا

(٧) مُلْغِزَة

مدينة طـرب السمار في فمها ... لـما أذاقـتـهـم من ريقها سكرا
فـرددوا إسمها شوقا إلى يدها ... لـما نسوا في هواها العرف والنكرا
فهل يسد مسد الثغر مرتشفاً ... طيف أطاف على أرواحهم سحرا
أو يسـم بالنفس قهار يدس لها ... في دسمها السم مَدَّ البحرُ أو جَزَرَا
هبني أشـرت إليها بالكنى فأنا ... أدري بأنَّ اسمها في قطرها اشتهرا
فالشأن شأني إذا غيرت راحلتي ... ورحلها والـبُـرَى أسميتها إبَرا

(٨) مُلْغِزَة

ثلاثة حملوا بعض القرى لترى ... عنوانها في سما الدنيا فتغتبط
حتى رأتـه فقرت فوق أضلعهم ... وما لهم منقذ من كيدها وسط
وكلهم غفل عما يحيط بهم ... وليس ثمة وشم قط أو نقط
فاثنان خيمٌ في أسماعهم صمم ... إذ مصَّهم ثَمَّ قاسٍ جاء يختبط
واثنان حُمَّ قضاء الله يأخذهم ... لكن إلى الصح بالأنَّات مرتبط

(١) هذه الملغزة حول مدينة السيب.
(٢) فَدْم: جبان، أحمق. (٣) لا يَرِيْمُ: لا يفارق، لا يَبْرَحُ.

(٩) مُلْغِزَة[١]

سَجَدَتْ سجدتين والليل داج ... واستهلت صباحها بالأحاجي[٢]
واستمرت نهارها في خشوع ... وخضوع كوقفة الحجاج
آلة الحرب عندها دعوات ... من لسان بذكره ثجَّاج[٣]
لم يلامس منها الصلا عبقري ... وهي تشكو من كثرة الإنتاج[٤]
أتراها مدينةً هي أم قُطْـ ... ـراً حصين القلاع والابراج
ظفرت بالهوى القديم وقد كا ... ن لصارم الحجاج
فاستراحت إليه تحت مسن ... خرِف العقل طائش عجّاج
لم يقل لا لطارق حرمته ... سَوْرة الجوع نوم أسود ساج

(١٠) مُلْغِزَة

شَفَّهُ الوجد مستهاما وأَلْوَى ... بجناحيه[٥] والغرام بلاء
وسقته ميلاؤه الخمر صرفا ... فتلاشى وارْفَضَّ[٦] وهو هباء
وبَرَتْهُ بالحب بَرْيَ يراع ... واستدارت عليه وهي براء
وَخَزَتْه شوك الهوى وأَرَتْهُ ... آية البر وهي ثَمَّ عفاء
ورآها مدينة تَرْأَبُ الصَّدْ ... عَ وتُبنىْ بعزمها العلياء
شقها الدهر في الخميلة نصفيـ ... ـن فَعَالٍ وسَافِلٍ بناء
وأَتَتْهُ تستدرك البيع منه ... أُبِّر النخلُ لن يُنالَ فداء
فسلام يغشى حماها حصانا ... من يدي لامس به أدواء
وسلام والروح تهوي إليها ... بجناح كأنه اللألاء

(١) هذه الملغزة حول مدينة جبرين.
(٢) الأحاجي: مفردُها أُحْجِيَة وهي الكلمةُ المُسْتَغْلِقَةُ لفظا ومعنى.
(٢) ثَجَّاجُ: صيغة مبالغة، أي شديد الذكر.
(٤) الصلا: وسط الظهر من الإنسان والدواب.
(٥) شَفَّهُ: أنْحَلَه. ألْوَى بجناحيه: أشار بهما. (٦) ارْفضَّ: تفرق.

(١١) مُلْغِزَة[١]

تجلى لعين المبصرين جماله ... فراضته للمستبصرين هدايته
وطاف به من نَيِّرِ العقل طائف ... تشع عليه منه بالنور آيته
ويحفظه من جانب الله حافظ ... إذا سقطت من جانبيه بنايته
ليلمس منها وصف أحلا مدينة ... يطير عليها لبه وهي غايته
إذا مسَّه منها أذى يستفزه ... وَقَطَّتْ[٢] يراع النصر منه عنايته
وعادت (لسقط الزند) تقر أسطره ... وفيه المعري[٣] لا تطاق نكايته
فهبْ إنني عبَّرْتُ عما أكنُّه ... وصرحتُ والايماء تبدو عمايته
فخض بحره حتى تفوز بدرِّه ... وجوهره أو تستبين كنايته

(١٢) مُلْغِزَة

بَرَكَتْ في سباقها وهي تعدو ... فنزاها الهوى وكان ضعيفا
ثم صدت عنه لتجبُر ما ها ... ضَ وتبني كيانها مألوفا
يا تراها مدينة أبحر الجد ... إليها يقتاد مجداً منيفا
أتراها برَّت متى هي كرَّت ... أم تراها أَرْبَتْ فكانت كشوفا
أم تراها في الله سَلَّتْ حساما ... أم عليه لم تَدَكّرْ معروفا
أم جفاها في النوم طيف كراها ... فأماطت لثامها مكشوفا
غير أن الذي لَوَى بهواها ... قد جَلَى الواوَ قبل ربٍّ حنيفا
فسلام على رقائق نبع ... رَقَّ لطفا دَقَّ قدًّا لطيفا

* * * * *

(١) هذه الملغزة حول مدينة مسقط.

(٢) قَطَّ الشيءَ: قَطَعَه.

(٣) سَقْطُ الزَّنْدِ: ديوان شعر لأبي العلاء المعري.

(١٣) مُلْغِزَة

يا قرية كُتبت بالنور أسطرها ... عن قلعة صانها الإجلال لا الحسك[١]
واسْتَتْلَعَتْ[٢] لترى معشوقها فبدا ... لكنه ريثما يُستنزل الشرك
ثم اسْبَكرَّت[٣] لكي تلقى البديل فقد ... أوفى عليها وخيل الله تعتلك
وراح يجبُر منهاضَ[٤] العظام بها ... حتى سقى البُرّ براً والدُّجى حلك
وجَبَّ منها سناما طالما لعبت ... به البُرى سدِكا يقتادُه سدِك[٥]
هبها تجلت عروسَ الدهرِ خاضعةً ... لها قواه كأن في وجهها الحُبُك[٦]
فهل أطاف عليها في تَبَتُّلِه ... يطوي حشاه على الانفاس تعترك
رعى المهيمن شطريها وقد برزا ... هذا سرير الهنا والثاني معترك

* * * * *

(١) الحَسَكُ: الشوكُ. والحَسَكُ من الحديد: ما يُعمَل على مثال الشوك ويُلقى حول العسكر لِيَنْشَبَ في أقدام الأعداء، وكذلك يُلقى في مذاهب الخيل فينشبُ في حوافرها.

(٢) اسْتَتْلَعَتْ: التَّلْعَةُ المُرْتَفِعُ من الأرض. فاسْتَتْلَعَتْ بمعنى رَقَت التَّلْعَةَ.

(٣) اسْبَكَرَّتْ: طالَتْ وامْتَدَّتْ.

(٤) مُنْهَاضُ: اسم مفعول من انْهَاضَ العظم مُطَاوِع هاضَ أي انْكَسَرَ بعد أن كاد يَنْجَبِر.

(٥) جَبَّ: قَطَع. السَّدِكُ: الخفيفُ اليدين في العمل، الرَّفيقُ في أدائه السريع.

(٦) الحُبُكُ جَمْعٌ ومفرَدُها حَبيكة، وتعني: مسير النَّجْم. ولها في المعجم معان أخرى قد لا تتفق مع مقصود البيت. واللفظة وردت في القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿والسماء ذات الحُبُك﴾، سورة الذَّاريات، الآية:٧. وقال المفسرون للآية الكريمة في معنى لفظة الحُبُك: "يُحْتَمَل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها، ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم، وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب".

(١٤) مُلْغِزَة[١]

تَبَرْقَعَتْ بالحَيَا والبدرُ يَرْقُبُها ... وللدجى أنَّةٌ عن كف مرعاشِ
مدينةٌ بَلْوَرَتْهَا الحادثاتُ وقد ... تَعَالَتِ الشُّهْبَ في عز وإنعاش[٢]
ولِلَّيَالي تلاقٍ في خمائلها ... يغشى الأسِرَّة من ظلمائها غاش
ليكتم السر مطويا بخاتمه ... عليه قهر معنًّى القلب طيَّاش[٣]
والسر مهما يجاوز قلب صاحبه ... إلى سواه فدعه إنه فاش
ما عَبَّر القلبُ عن شيء أحاطَ به ... كمثله لو وَشَى عنه به واش
فعبِّري عنه يا ذات الوشاح ولا ... تبقي عليه ليبقى بين أعشاش
هب أنني قد جلوتُ السر عن كَلِمي ... فقد أبحتُ حماها تحت إجهاشي[٤]

(١٥) مُلْغِزَة[٥]

دعها تحنُّ على المغنى وأسرته ... ولا تلمها ففي أثوابها الضاد
وراعِها وهي ترعى العهدَ صادقة ... في حبها وهو آكام وأطواد
واسْتَحْفِظِ السرمنها فهومضربها ... أَمَا تراه لها يومي ويرتاد
واسْتَسْقِ مزنك فيها للبريِّ بها ... فإن ثَمَّ له بالري ميعاد
إن كان يَمّكَ يَمّي فهي أرض أبي ... وقد يحق لها بالرفد إسعاد
هَبْنِيْ كَنَيْتُ وأعربت الكنى أفما ... يحق لي من لذيد الوصل أزواد
أَوْ لا فَدَعْنِيَ أَبْرِيْ القوس نافذة ... من ثغْرَةِ الحب حيث الوعد إرواد[٦]

---

(١) هذه الملغزة حول مدينة عبري.

(٢) بَلْوَرَتْهَا: أوْضَحَتْهَا.

(٣) طَيَّاش: مُتَسَرّع.

(٤) الإجهاش: صَوْتٌ قبل البكاء. وإجهاش النَّفْسِ: نُهُوضُهَا وَهَمُّهَا بِالبُكَاءِ.

(٥) هذه الملغزة حول مدينة البريمي.

(٦) إرْوَادُ: إمْهَالُ. من أرود إروادا ورويدا.

(١٦) مُلْغِزَة

مدينةٌ بَسَقَتْ[١] جناتها وسقت ... عذب النمير ثَراها فهو ريان
فأصبحت روضة غناء قد سكرت ... منها العوالم لا كأس ولا حان
كأنها فوق عرش الفخر قاعدة ... بأربع من سواريه لها شان
ما شانها وَخْزُ وَشْمٍ فوق بشرتها ... ولا شآها على الميدان فرسان[٢]
حتى استوت وحماها صار ملجأ مَنْ ... إليه جار إذا ما احتار ولهان
وراح ينسف ترب الأرض مِرْجَلُها ... تغلي ذكا منه أما صح غشيان
فإن أصر على ذنب أتاه ولم ... يرجِع فعاقبةُ الإصرار خسران
هاك اسْتَطِرْ فلقد أعربت عن غرضي ... وسقتها وهي في الإعراب تزدان

* * * * *

(١) بَسَقَتْ: ارْتَفَعَتْ.

(٢) ولا شآها: ولا سَبَقَهَا.

(١٧) مُلْغِزَة

مدينة طاردتها في تألبها ... سود الليالي وهاجتها لتختنقا
وجاذبتها بلا رفق مُلاءتها ... وكشرت نابها من غيظها حنقا
شنت على حصنها حربا مداولة ... ما شانها الحرب لما صانها حِدَقا
ولا شناها حديد المقلتين متى ... رنا إليها يثير الرعبَ والفرَقا
ولا ثناها وقد صاح الأجش بها ... تخالُ في الأفق منه الصوت صْهصلقا[١]
فأمعن الطرف فيها واستبق يدها ... تجد حقيقتها مكشوفة ألقا

(١٨) مُلْغِزَة

غَمَزَتْنِي وكنتُ أعدو سريعا ... فأجبتُ الندا سميعا مطيعا
قلتُ من أنت يحفظ الله إيّـ ... ـاكِ فقد كان للدعاء سميعا
أنا روض قد طاب في حضن رضوى ... وتعالى فكان حصنا منيعا
أنا من طال في الخميلة لو أني ... تطامنت في الفلاة خنوعا
يجرح البرد كبريائي فتنشق ... قُ بضاعي[٢] عن لؤلؤ ترصيعا
لا تقاس البحار قط بجودي ... إن جودي يغني الفتى والرضيعا
ويوقي الشيوخ من وطأه البـ ... ـردويسترجع القوي المضاع سريعا
أنا جمع لمفرد ضم جمعا ... من فحول تسنموا العز ريعا[٣]

(١) صَهْصَلقا: اللفظة بهذا الرسم لم أجد لها معنى. لكن في المعجم: صَهْصَهَ بالقوم زجرهم ليسكتوا. الصَّلَقُ: صوت الإنسان فيه ولولة وصياح؛ وكذلك صوت حك الناب بالناب. وصَلَقَ القومَ: أوْقَعَ بهم وَقْعَةً شديدة.

(٢) بِضَاعٌ: جمْعُ بِضْعَة وبَضْعَة، والبَضْعَةُ القطعة من الشيء.

(٣) الرّيْعُ: المرتفِعُ من الأرض. ورَيَّعَ الناسُ: اجتمعوا. فلعل المعنى أنهم حازو المجد الرفيع أجمعه.

(١٩) مُلْغِزَة

أطاف بها والليل يلبس ثوبه ... ليخفي الهوى كي لا يشك جليسه
وقبلها سبعاً وأرخى ستوره ... لها وأنو شروان تشجلى عروسه
لكيما يقيها فتنة الرس جهده ... ومن نزعات الطيش يزجيه بؤسه
مدينة نور العلم والله صانها ... بعزته والدهر سود طقوسه
لقد شاقه ما لاح تحت لثامها ... فتاق إلى حلو اللقاء دسيسه
فهب إنني أكنيت عنها معبراً ... باسرارها والليل رعب حسيسه
فهل أنا أعطيت اليراع مجاله ... فبرهن عما تحتويه طروسه
أما عاينت عيناك مهري بشوطه ... بحلبته والمرزمات أنيسه

(٢٠) مِشْكاةُ المَلاَغِز

هذي رموزيَ تأتي ... مفتاحها في يديها
فإنْ أرَدْتَ افتتاحا ... لعرشِها قف لديها
وقَبِّلِ الثغرَ منها ... واركع على وجنتيها
فإنْ تبسَّم فوها ... فاسجد على مرشفيها
أمَّا إذا ما اكْفَهَرَّتْ[1] ... وضَيَّقت حاجبيها
أو ضيعت في الخفاء الـ ... ـمفتاح من راحتيها
فقم وفتش عليه ... من (أبجد) وإليها
فسوف تلقاه مهما ... سبحت في سبحتيها
مُجْمِلاً جَمْلَيْها ... مُفَصِّلاً جملتيها
فان بلغت الأماني ... فارشف لمى شفتيها
وأن كبا بك شوط ... فلا عتاب عليها

(١) اكْفَهَرَّتْ: عَبَسَتْ.

ثالثا : قصائد باستخدام
لفظة واحدة في العروض و الضرب
(١) أبيات تقديمية لقصيدة العجوز

لغة الضاد لا تقاس بوسْعٍ ... عجز الوُسْعُ أن يحوطَ مداها
بادرتني منها العجوز[1] بزند ... تتحدى من القوى أقواها
وتراءت فهل تراءت يقينا ... نقطة الخال والسنا يغشاها
وأشارت إليه ساحرة العيـ ... ـن تقود العيون في مسراها

(١) اللغةُ العربيةُ من أوسع اللُّغات من ناحية المفردات ومن ناحية تعدد المعنى للمفردة الواحدة ومن الأمثلة على ذلك ما نراه هنا في هذه القصيدة التي استخدم فيها أمير البيان لفظة واحدة هي: (العجوز) في صدر كل بيت وعجزه من أبيات القصيدة البالغة ٣٧ بيتا بما يعني استعماله للفظة في ٧٤ معنى. ولا شك أن هذا النوع من الشعر يحكي تبحُّر المشتغل به بمفردات اللغة ومعانيها، ويدل أيضا على أن الشعراء ليسوا كلهم على قدم المساواة، فهناك الشاعر فقط، وهناك الشاعر العالم بمعاني اللغة، القدير على وضع المفردة للمعاني المتعددة، وهذه الفئة من الشعراء قلة في تاريخ الأدب العربي، وهم الشعراء الكبار، البررة بلغة الضاد، الخدم المخلصين للغة أمتهم، اللغة التي بنت للأمة مجدها، وأثَّلَتْ هُوِيَّةَ قوميتها.
وقد عقد الزبيدي مؤلف كتاب تاج العروس من جواهر القاموس فصلاً كاملاً للفظة (عجز) هو فصل: العين مع الزاي، أورد فيه ما زاد عن ثمانين معنى للفظة العجوز. وقال: "قد أكثَر الأُدباء في جَمع هذه المعاني في قصائدَ كثيرةٍ حسَنَةٍ لم يحضُرْني منها وقتَ تقييد هذه الكلمات إلاّ قصيدةٌ واحدةٌ للشيخ يوسف بن عِمْرانَ الحَلَبيّ يَمدَح قاضياً جمَع فيها فأَوعَى وإن كان في بعض تراكيبها تَكَلُّفُ وهي هذه:

لحاظٌ دونها غُولُ العَجُوز ... وشَكَّتْ ضِعْفَ أَضعافِ العَجُوز : الأُولى المنية والثانية الإبرة
لحاظُ رَشاً لها أَشْراكُ جَفْنٍ ... فكَم قَنَصَت مِثالي من عَجُوزٍ : (الأَسَد)
وكَم أَصْمَتْ ولم تعرف مُحِبّاً ... كما الكُسَعِيُّ في رَمْيِ العَجُوز : (حِمار الوَحْش)
وكَمْ فتَكَتْ بقلبي ناظِراه ... كما فتكَتْ بشاةٍ من عَجُوز : (الذئب)
وكم أَطفَى لَماهُ العَذْبُ قَلْباً ... أَضَرَّ به اللَّهيبُ من العَجُوز : (الخمر)
وكم خَبَلٍ شَفَاهُ اللهُ منه ... كذا جِلْدُ العَجُوزِ شِفَا العَجُوز : (الأَوَّل الضَّبُع والثاني الكَلَب)
إذا ما زارَ نَمَّ عليه عَرْفٌ ... وقد تَحْلُو الحَبائِبُ بالعَجُوز : (النَّميمة)
رَشَفْت من المَراشِف منه ظَلْماً ... أَلَذَّ جَنىً وأَحْلَى من عَجُوزٍ : (أراد به ضَرْباً من التَّمر جيّداً)

وبالنظر إلى هذا النموذج الذي اقتطفته من تاج العروس فإن أمير البيان يظهر غير مسبوق في هذا المضمار، فقد ختم عروض أبياته وضربها بلفظة العجوز، بما يشير إلى قدرته اللغوية الكبيرة رحمه الله تعالى.

(٢) العَجُوزُ[١]

أتكسرها فتخرقك العجوز ... وتحرثها فتدفنك العجوز[٢]
وتطردها فتنجحز العجوز ... كأنك في براثنه العجوز[٣]
وتحفرها فترويك العجوز ... وكم في حفرها نفد العجوز[٤]
وتركبه فيغنيك العجوز ... وأنت على منصته العجوز[٥]
وتمريها فتشبعك العجوز ... وكم في الحرب جنتك العجوز[٦]
وتصحبه فيأكلك العجوز ... فهل ترضيه منك له العجوز[٧]
وتعلفه فينطحك العجوز ... وتطعمه فيرعاك العجوز[٨]
وتنثرها فتنصرك العجوز ... وتملؤها فترفعك العجوز[٩]
وتنساه فيلهبك العجوز ... وتطعمه فيشكرك العجوز[١٠]
وتغشاها فتغشاك العجوز ... فتطلقها فتفرجها العجوز[١١]
وتخشاها فتدركك العجوز ... وتعلوها فتعليك العجوز[١٢]

(١) شرح كلمة العجوز من وضع أمير البيان. وقد أورد الناسخون جميع الشروح غير مربوطة بالمفردات وفق نظام الحواشي، وإنما جمعوها كنص واحد، ووضعوا لكل شرح رقم يماثل رقم البيت في سلسلة أبيات القصيدة. وبالتأمل فيها اكتشفت تقديما وتأخيرا لبعض الكلمات، لهذا جمعتها على صعيد واحد كما فعلوا مخافة التعارض بين المفردة وشرحها.

(٢) العجوز الأولى: الإبرة. الثانية: الأرض.

(٣) العجوز الأولى: الأرنب. وتنجحر: تدخل في حجرها. العجوز الثانية: الأسد.

(٤) العجوز الأولى: البئر. العجوز الثانية: عَدَدُ الأَلْفِ من نقد وغيره.

(٥) العجوز الأولى: البحر. العجوز الثانية: البطل.

(٦) العجوز الأولى: البقرة. العجوز الثانية: الترس.

(٧) العجوز الأولى: التاجر. العجوز الثانية: التوبة.

(٨) العجوز الألى: الثور. العجوز الثانية: الكلب.

(٩) العجوز الأولى: الجعبة. العجوز الثانية: الجفنة.

(١٠) العجوز الأولى: الجوع. العجوز الثانية: الجائع.

(١١) العجوز الأولى: الحرب. العجوز الثانية: الحرْبَةُ.

(١٢) العجوز الأولى: الحمَّى. العجوز الثانية: الخلافة.

وتشربها فتثملك العجوز ... وتأويها فتؤويك العجوز[١]
وتبصرها فتبهجك العجوز ... وتزهدها فتصرعك العجوز[٢]
وتنظرها فتسبيك العجوز ... وتلبسه فيكرمها العجوز[٣]
وتطلبها فتركلك العجوز ... وكم خفقت لها منك العجوز[٤]
وكم حامت على الجثث العجوز ... وما ألوت بعزمتك العجوز[٥]
ولا شمست بها منك العجوز ... وكم مَخَرَتْ بهمتك العجوز[٦]
وما برحت تظللك العجوز ... فهل لفحتك بالصيف العجوز[٧]
وتشربه فيخصبك العجوز ... وتقطعها فتقطعك العجوز[٨]
وترعاه فشيمتك العجوز ... وتنزلها فتبهجك العجوز[٩]
وتكرمه فينهشك العجوز ... وتقريها فتبقرك العجوز[١٠]
وتستهويك للنوم العجوز ... وقد غابت عن الأفق العجوز[١١]
فأبشر إن يصاحبك العجوز ... وحاذر إن تعاشرك العجوز[١٢]
ولو واري معاطِفَها العجوز ... فكم كشرت بعقوَتها العجوز[١٣]

(١) العجوز الأولى: الخمر. العجوز الثانية: الخيمة.
(٢) العجوز الأولى: دارة الشمس. العجوز الثانية: الداهية.
(٣) العجوز الأولى: المرأة شابة كانت أم شيخة. العجوز الثانية: درْعٌ للمرأة.
(٤) العجوز الأولى: الدنيا. العجوز الثانية: الراية.
(٥) العجوز الأولى: الرخم، جمع رخمة. العجوز الثانية: الرعشة.
(٦) العجوز الأولى: الرمكةُ أنثى الخيل. العجوز الثانية: السفينة.
(٧) العجوز الأولى: السماء. العجوز الثانية: ريح السموم.
(٨) العجوز الأولى: السمن. العجوز الثانية: السنة.
(٩) العجوز الأولى: نوع من الشجر، والمعنى أنك تدعى فيه سوالك فتجن (هكذا في نسخة المخطوطة). العجوز الثانية: القرية.
(١٠) العجوز الأولى: الذئب. العجوز الثانية: الذئبة.
(١١) العجوز الأولى: رملة معروفة. العجوز الثانية: الشمس.
(١٢) العجوز الأولى: الشيخ. العجوز الثانية: الشيخة.
(١٣) العجوز الأولى: مشرب من الطيب. العجوز الثانية: الضبع.

فجالد إن تجالدك العجوز ... ولا تحسر كما حسر العجوز[١]
فعقبى السقم في المثل العجوز ... وكم ذلت لذي الجلد العجوز[٣]
وكم ضحكت لقارئها العجوز ... كما افتخرت براهبها العجوز[٣]
وكم ذادت عن الحمة العجوز ... وندت خوف خاتلها العجوز[٤]
وأغرت عين رائيها العجوز ... وأعيت صاحب القصد العجوز[٥]
وكم للضيف قد غلت العجوز ... وصانت عرض صاحبها العجوز[٦]
وراضتها لغايتها العجوز ... وكم والت موليها العجوز[٧]
وواتته إذا دنت العجوز ... وإن زفرت من الغيظ العجوز[٨]
وكم عانى من التعب العجوز ... فكان السيف يحفظه العجوز[٩]
وإن أولاك بالثقة العجوز ... فكن شهما براحته العجوز[١٠]
وإن شبت بجانبك العجوز ... فشد الرحل تحملك العجوز[١١]
وإن بسقت بروضتك العجوز ... وجاءت في المواعيد العجوز[١٢]
فكن سيفا تطول به العجوز ... وفض الختم ينفحه العجوز[١٣]

(١) العجوز الأولى: الطريق. العجوز الثانية: العابر.
(٢) العجوز الأولى: العافية. العجوز الثانية: الفرس.
(٣) العجوز الأولى: الصحيفة. العجوز الثانية: الصومعة.
(٤) العجوز الأولى: العقرب. العجوز الثانية: القطيع من حمر الوحش.
(٥) العجوز الأولى: الفضة. العجوز الثانية: القِبْلَةُ.
(٦) العجوز الأولى: القِدْرُ. العجوزر الثانية: القوس.
(٧) العجوز الأولى: الكتيبة. العجوز الثانية: الكعبة.
(٨) العجوز الأولى: القيامة. العجوز الثانية: جهنم.
(٩) العجوز الأولى: المسافر. العجوز الثانية: مسمارٌ في قبضة السيف.
(١٠) العجوز الأولي: الملك. العجوز الثانية: نصل السيف.
(١١) العجوز الأولى: النار. العجوز الثانية: الناقة.
(١٢) العجوز الأولى: النخلة. العجوز الثانية: الولاية.
(١٣) العجوز الأولى: اليد اليمنى. العجوز الثانية: المسك.

(٣) الخالُ[١]

هو الحب لا يدري حقيقته الخالي ... ولا الغافل الغافي على مخدع الخال
هو الحب كم خاو لديه وكم خال ... وما هو الا المهْرِيَطغى على الخال
أتخلع منه عنك موشية الخال ... فيبدو على طيات قلبك كالخال
وتركب منه ظهر ذي المرَّة الخال ... وتلبس منه ساحر اللون كالخال
فليتك إذ لم تدره عدت كالخال ... وفارقته حتى ملامسة الخال

(١) شرح كلمة الخال من وضع أمير البيان، وحيث إن الناسخين لم يربطوا الشروح بالأبيات وفق نظام الحواشي السفلية فقد عسُرَ عليَّ وضع الشروح في مواضعها المناسبة عند كل كلمة. لأنها تضمنت بجانب ذلك شرح كلمات في حشو الأبيات فصار عدد الشروح (٤٤) شرحا. أي أكثر من عدد أشطر أبيات القصيدة البالغة (٣٨) شطرا. الأمر الذي جعلني أجمع الشروح كلها في حاشية واحدة محاذرة مني لئلا أضع شرحا في غير مكانه الصحيح سيَّمَا أنَّ الناسخين لم يوردوا الكلمة وشرحها بل اقتصروا على إيراد الشرح فقط: ١. الخالي ضد المليء. ٢. العرب من الرحالة. ٣. الملائم للشئ. ٤. صاحب الفرس. ٥. الثوب الناعم. ٦. الخال: الشامة. ٧. الفحل الأسود من الأبل. والمِرة بكسر الميم القوة. ٨. برد يمنى. ٩. البريء من التهمة. ١٠. ثوب يُسْتَرُ به الميت. ١١. أخو الأم. ١٢. اللواء. ١٣. الرجل السمح. ١٤. أهْشَلَهُ أعطاه. الهشيلة وهي التي تُرْكَبُ بدون أذن صاحبها. ١٥. السحاب. ١٦. البرق. ١٧. البعير الضخم الأكمة. ١٨. اللجام والطرد هنا كناية عن الفرس. ١٩. ما توسمت من خير. ٢٠. برد معروف. ٢١. مالَ إزاءَهُ أي قائم عليه. ٢٢. الشرف القدموس القديم. ٢٣. الكبير. ٢٤. لواء يعقد على الأمير. ٢٥. العفاة جمع عوف وهو طالب الفضل المحتاج. ٢٦. الأرامل جمع أرملة وهي المحتاجة والمسكينة. ٢٧. مصدر خال والمعنى كن لهم كما يخالون فيك من خير. ٢٨. طاطئ فعل أمر من طأطأ رأسه إذا حناه. ٢٩. المتكبر. ٣٠. الموضع الخالي. ٣١. الظن. ٣٢. التوهم. ٣٣. الخلافة. ٣٤. الحسن الخيلة بما يتخيل به. ٣٥. صاحب الشئ. ٣٦. كرس جهده ماخوذ من تكرس البناء أي تأسيسه أومن أكرست القلادة على المجهول وذلك أن ينظم اللؤلؤ والخرز في خيط يفصلا بخرز كبار وانكرس عليه. ٣٧. الفارغ من علاقة الحب أي لا يشغله عنها شئ والذي هو غالبا شغل الناس. ٣٨. الضلع في الدابة. ٣٩. الرجل الضعيف القلب والجسم. ٤٠. المروق الصافي. ٤١. المخيلة أي المطر. ٤٢. الحَسَنُ القيام على المال. ٤٣. القِنَّةُ بضم القاف وتشديد النون الجبل الصغير. ٤٤. الجبل الضخم.

وأبيض ذي عم كريم وذي خال ... عمامته بين المجامع كالخال
نزلتُ عليه نزلة المحسن الخال ... فاهشلني ما شئت والشهم كالخال
وبت وإياه كمرتقبِ الخال ... تروض مدى الغايات في الله كالخال
ونأوى إلى حصن من الحرم كالخال ... ونركب مثل الطود يسخر بالخال
إلى أن بلغنا ما أملناه من خال ... علينا من العلياء أبيض كالخال
أخا المال إن المال يهزأ بالخال ... وذو الشرف القدموس ينآى عن الخال
فكن فوق هاماتِ المكارم كالخال ... وكن للعفاة والأرامل كالخال
وطاطئ بهام السيف هام الفتى الخال ... وبالله فأنس في خلوك الخال
ولا تبن أمرا منك قط على الخال ... ولا تقف ما لا تعلم من على الخال
وإن جاءت العلياء تزحف كالخال ... فكن عند حسن الظن كالرجل الخال
تكن رغم أنف الدهر أقعد من خال ... وكرس لها جهد الفتى الحازم الخال
وذلل إلى غاياتها غير ذي خال ... ولا تك إن جد اللقا كالفتى الخال
وإن جاءك المال المروق كالخال ... فدبره بين الحلم والعلم كالخال
لترنو للأيام من قنة الخال ... وتفتض ختم المسك يزكو على الخال

* * * * *

(٤) الْعَينُ[1]

أيـــا ســـاحـــرة الـعَـيْـنِ ... لـــك الله مـــن الـعَـيْـنِ
ومـــن داهـــيـــة الـعـيـن ... فـأنـــت الـدهـر لـي عـيـنـي
فـــإن خـفـــت مـن الـعـيـن ... ومـــن ثـــرثـــرة الـعـيـن
وســـوء الـظـن لـلـعـيـن ... فـهـيـا بـــي إلـــى الـعـيـن
فـمـا إن ثـــم مـــن عـيـن ... ونـــأمـــنُ نـــزوة الـعـيـن
ونـــأخـــذُ بُـلْـغَـة الـعـيـن ... ونـــأخـــذ وجـهـة الـعـيـن
لـنـدرك أفـضـل الـعـيـن ... ونـبـذل أكـــرم الـعـيـن
ألـســت أســرة الـعـيـن ... ألـســنـا دارة الـعـيـن

(١) شرح مفردة العين للشيخ عبدالله. ١. العين معروفه. ٢. الإصابة بالعين. ٣. الإصابة في العين. ٤. الجلاء من الجاسوس. ٥. أهل الدار. ٦. أهل البلدة. ٧. بلد معروف بعمان، وقد تأتي على هذا الاسم عدة بلدان بعمان. ٨. الإنسان. ٩. وباء لهذيل. ١٠. جريان الماء. ١١. الجماعة من الناس. ١٢. الحاضر من كل شئ. ١٣. حقيقة القبلة. ١٤. خبار المشئ (نسخها الناسخ خطأ، وقد راجعتها في نسخة المخطوطة فعسُرَتْ قراءتها لدقة الكتابة وغياب ملامح بعض الحروف لكنها أقرب ما تكون بـ: مضار الشيء، أو إحضار الشيء). ١٥. العتيد من المال. ١٦. حرف هجاء مجهور وينبغي أن تنعم إبانته. ١٧. الشمس. ١٨. الدنيا. ١٩. الذهب. ٢٠. السحاب. ٢١. كبير القوم. ٢٢. الغيب. ٢٣. ذات الشخص. ٢٤. مطر أيام لا يقلع. ٢٥. مصب ماء القناة. ٢٦. ينبوع الماء. ٢٧. الميل في الميزان. ٢٨. الربا. ٢٩. الجماعة. ٣٠. الناحية. ٣١. الكبير أي نأخذ كبير القوم منهم بالكبير منا. ٣٢. نفس الشئ أي الجزاء من جنس العمل لا جور ولا ظلامة. ٣٣. الطليعة. ٣٤. حدة النظر. ٣٥. الرائد. ٣٦. طائر ويكني به عن ذوات المخالب المفترسة. ٣٧. لجلد (في نسخة المخطوطة كأنها الجلاّ) التي يقع فيها البندق من القوس وهي كناية عن الحرب لأنها من لوازمها. ٤٠. دوائر رقيقة على الجلد وفي ذلك دليل على دقة الاصابة. ٣٩. نقرة الركبة والمعنى ظاهر. ٤٠. مفجر الماء من الركبة. ٤١. بلد معروف. ٤٢. صفة للقافية وجاء بالصفة وحذف الموصوف. ٤٣. واحد الأخوة من أب وأم. ٤٤. العين الأولى النظر. ٤٥. العين أهل البلد. ٤٦. العين العيب. ٤٧. عبد عين مطيع. ٤٨. عمد عين عن تعمده. ٤٩. عرض عين: قرب. ٥٠. والعين واد بين نجران ونصيبين.

نجود الدهر بالعين ... على العافي وبالعين
نغيث الناس بالعين ... ونؤثر جانب العين
ولا نوصم بالعين ... وحين نجود بالعين
فنحن سحائب العين ... وكل الناس كالعين
ونحن كفائض العين ... فلا نحكم بالعين
ولا نبتاع بالعين ... ولا نغتر بالعين
وإن قمنا على عين ... أخذنا العين بالعين
ومازلنا على العين ... وإن خفنا من العين
فكم في حدة العين ... سبقنا غاية العين
وكم للوحش والعين ... قربنا يوم ذي عين
وكم قوس على العين ... أصابت وعلى العين
ففاض الدم كالعين ... وساح على ربا العين
فنحن بأول العين ... وآخرها بنو عين

(٥) الْعَين

وصاحب في العين شر العين ... لا يتحاشى عن خنا وعين
ما دمت ترعاه فعبد عين ... وسيءُ إن غبت عمد عين
فانظر له ما شئت عرض عين ... وانزل به حصباء رأس عين

* * * * *

(٦) الرُّباعِيَّهْ[١]

تـــاه لا يـــرقـــب إلا ... وهـــو لـلـعـشـاق عـيـن[٢]
أتـــرى كـــان إمـــامـــاً ... أم تـــراه كـــان إمَّـــه[٣]
هـــازل لـــم يـــرعَ إلا ... وهـــو لـلـعـاشـق عـيـن[٤]
كـلـمـا دانـــى إمـــامـــا ... لـلـتـلاقـي غـاب إمَّـــه[٥]
يـالـه هـل صـد إلا ... أم دلالاً وهـو عـيـن[٦]
حـيـنـمـا بـــات إمـــامـــا ... جـنـده لـلـحـتـف إمَّـــه[٧]
يـا غـــزالاً دمـــت إلا ... لـمـحـب وهـو عـيـن[٨]
قـام يـدعـوك إمـــامـــا ... ولـه عـنـدك إمَّـــه[٩]
أتـــرى أُورِثـــت إلا ... بـيـنـنـا والإل عـيـن[١٠]

(١) ككثير من القصائد غيرها وردت هذه القصيدة في أكثر من ديوان، فوردت هنا في الخيال الوافر، وفي ديوان المجتليات، وفي ديوان وحي العبقرية المطبوع. وجاء ورودها في وحي العبقرية بعنوان: (الترادف الممتع). وقد حذفتها من الدواوين الأخرى وأثبتها هنا لأنها على نمط قصائد هذا الباب. وطابقتها مع نسختيها في ديوان المجتليات ووحي العبقرية المطبوع. ومع ذلك قد يجد القارئ ألفاظا في الحاشية غير مؤدية للمعنى سواء في هذه القصيدة أو في ما يماثلها قبلها وبعدها مع ملاحظة أن جميع شروح المفردات ليست من وضع المحقق. وقد جهدت لأجل ضبطها طبقا لأوراق سلَّمَنيها الشيخ أحمد بن عبدالله الخليلي لكن الخط فيها غير مسعف، فهو دقيق تعسر قراءته وبعض الحروف ساقطة.

(٢) الإل بالكسر: العهد. والعين: القبلة.

(٣) الإمام: الرئيس. والإمة بالكسر: الشرعه.

(٤) الإل: الجار. والعين: الحافظ.

(٥) الإمام: الطريق. والإمة: السنة (من الزمان).

(٦) الإل: الحقد. والعين: الخيار من كل شئ.

(٧) الإمام: القائد. الإمَّة: الهنية (كذا هنا، وفي نسخة المجتليات: الهيئة) ولعلها: المنية بقرينة كلمة: الحتف في البيت.

(٨) الإل: الإمام. والعين منظر الناس.

(٩) الإمام: الزعيم. والإمة: الشأن.

(١٠) الإل: العداوة. والعين: العيب.

أم تحيرت إماما ... أم تركت الرشد إمَّه[1]
قف رعاك الله إل ... لحظة إنك عين[2]
واحكم الدهر إماما ... راضه الإيمان إمَّه[3]
أنا من يرعاك إلا ... وهو في رقك عين[4]
صحب الدنيا إماما ... عله يدرك إمَّه[5]
كم تلقَّى عنك إلا ... حيث ذابت منه عين[6]
وتلا فيك إماما ... في الهوى أولاه إمَّه[7]
أيها المقسم إلا ... لا تراني منه عين[8]
كنت لي أمس إماما ... فلماذا سؤت إمَّه[9]
حفظ الرحمن إلا ... أنت في علياه عين[10]
فانقر العيش إماما ... لحنه للدهر إمَّه[11]
وابغ للصفحة إلا ... ناصعا والحبر عين[12]
وارسم الخط إماما ... ختمه بالمسك إمَّه[13]

(١) الإمام: الدليل. والإمة: الدين.
(٢) الإل: الربوبية. العين: السيد. كلمة (رعاك الله) وردت في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية: (كلاك الله).
(٣) الإل: الخليفة. والإمة الطريقة.
(٤) الإل: القرابة. والعين: الملك.
(٥) الإل: الحادي. الإمة: غضارة العيش.
(٦) الإل: الوحي. والعين: ذات الشئ.
(٧) الإمام: القرآن. الإمة: الإمامة. (وتلافيك): هكذا مرسومة بعدم الفصل بين تلا وبين فيك، ولعل الصواب: وتلا فيك أي قرأ.
(٨) الإل: الحلف. والعين: حاسة البصر.
(٩) الإمام: القيّم بالأمر. والإمة: الحالة.
(١٠) الإل: الأصل الجيد. والعين: الجارحة المعروفة.
(١١) الإمام: الوتر. والإمة النعمة.
(١٢) الإل: المعدن. والعين: الذهب.
(١٣) الإمام: خيط يقام به البناء. والإمة: الائتمام بالإمام.

(٧) حُلْوُ الهنا[١]

أقـــول لـلـكـاســر فــي جَـــوِّهِ أنـزل على روضي فَهَنْتَ هَنَا[١]
وأن تــردهــا لـقـمـة حـلـوة فاخفض جناحك وصفق هُنا
ولا تـخف بطشي فـإنــي فتى ما نسبي بين الورى بالهَنا[٢]
فباسقاتي فرعها في السما فقع لكي تجني حلو الهِنا[٣]

* * * * *

(١) وردت هذه المقطعة أيضا في ديوان فارس الضاد حيث حذفتها منه وأثبتها هنا.
(٢) فَهَنْتَ هَنَا: كتبَ الشيخ عبدالله في حاشية المخطوطة: هَنْتَ، وهَنَا لغة في أنْتَ وأنَا.
(٣) الهَنا: الشيءُ يُستقبَحُ ذِكرُه.
(٤) الهِناءُ عِذْقُ النَّخلة.

رابعاً: قصائد بعناوين مشتقة من فعل القول[1]

(١) قُلْن

ساءها الدهر وحاد يثبُ ... وقضاء حولها مُرتقبُ
فترامت وجوار معها ... كالدُّمى لكن عليها الوصب
يتلمسن سبيلا واضحا ... للنجا يحلو به المنقلب

سرن والليل كفور وجهه ... مكفهر والأماني شهب
فإذا شخص حواليهن في الـ ... ـوجه منه قسمات عرب
صامت الخطو طهور ثوبه ... يصحب الأيام منه غلب
خفن منه قبل أن يعرفنه ... فَتَجَهَّمْنَ وجَدَّ الصخب

قلن ما بالك تمشي حولنا ... قال كم بزت فؤادي الحَبَبُ[2]
قلن جانب دربنا في دعة ... قال فيها منيتي والرغب
قلن هذا البحر فاركب متنه ... قال دون البحر جيش لجب
قلن ساوِرْه ففيه جوهر ... قال من جوهره المخشلب
قلن لو غامرته نلت الذي ... تتمنى قال مات السبب
قلن كم جالده الناس وكم ... ذللوه ؛ قال عاش الدأب

قلن ما هذا البناء عالياً ... قال بيتي ولديه العرب
قلن ما أحسن ما شيّدته ... قال للخائف إذ ينقلب
قلن والخيل صفوفاً كالأشا[3] ... قال لي أن طاردتني النُّوَب

---

(١) نقلت هذه القصائد إلى هذا الديوان من ديوان فارس الضاد.

(٢) الحَبَبُ: الندى يكون على أوراق الشجر في الصباح الباكر.

(٣) الأشا: صغار النخل انتظمت في صفوف.

قلن والأنعام والحرث الذي ... حولها : قال إلهي يهب
قلن إن كان الذي قلت لنا ... هو حقا : قال ماذا يجب
قلن وفقنا لما نقصده ... قال وفقتن حيث الأرب

قلن جئناك لأمر جلل ... قال فليفلح لكُنَّ الطلب
قلن جف الضرع والزرع ولم ... يبق شيء : قال جفّ النصب
قلن والمخرج والمنهج قد ... أغلقا قال لِيَنْأَ التعب
قلن والدهر عداء رابنا ... قال لا تحكم فينا الريب
قلن مال الركن وانهد بنا ... قال بل عنكن مال الكرب
قلن والطارف والتالد قد ... نضبا قال ليغن الرَّهَبُ[1]
قلن والليل فلا ليل لنا ... مصبحاً قال إليَّ انقلبوا

قلن صرّحنا فقال الله لي ... ولكن الدهر أنّى نثبُ
قلن ماذا قال رزقي قسمة ... بيننا التالد والمكتسبُ
قلن والعش الذي انهد بنا ... قال عرشي دونه والقببُ

قلن أحسنت فقال هذه ... ثروتي أنعامها والذهب
قلن شكراً قال لا شكر على ... واجب نصّت عليه الكتب
قلن من لم يشكر الناس فلم ... يشكر الله كذا كم ندبوا
فارض عنا أن شكرناك وقل ... لختام المسك هذا الرغب

(١) الرَّهَبُ: الجمل الضامر.

(٢) قالوا

كم هزها طموحه ... وبزّها جُموحه
فوقفت ترقبه ... لعلها تبوحه
لكنه عن مثلها ... يشغله جنوحه
فلقيتْ أترابه ... تعبق فيهم ريحه
فسألت عن حاله ... والِجد يستميحه

قالوا لها لم نره ... قالت فأين شِيحه
قالوا بذاك المنحنى ... قالت فأين سوحه
قالوا وراء المنحنى ... قالت فهل يبيحه
قالوا لمن يحبه ... قالت ومن يريحه
قالوا غزاك حبه ... قالت غزا قريحه
قالوا إلى مضربه ... قالت به طليحه[١]
قالوا إلى خيمته ... قالت بها جريحه
قالوا هلم نحوه ... قالت إلى جروحه
قالوا وقاك سيفه ... قالت لِتُوْقَ روحه
قالوا حماك عرشه ... قالت علت صروحه
قالوا : وطوده : فقا ... لت بهجةً سفوحه
قالوا إلى صرح الهنا ... قالت ولي صريحه
قالوا وصحة اللقا ... قالت ولي صحيحه
قالوا وما بال الهوى ... قالت تَوَى طريحه[٢]
قالوا أبيحيه الرضا ... قالت ولِمْ أُبيحه

(١) الطليحُ: الجوفُ الخالي من الطعام.
(٢) تَوَى: هَلَك.

قـالـوا مـخـافـة الـــردى ... قـالـت : أنـــا ضـريـحـه
قـالـــوا وكـيـــف سـره ... قـالـت غـــداً يـبـوحـه
قـالـــوا وكـيـــف دهـــره ... قـالـت غـفـا نـصـيـحـه
قـالـوا سـمـا بـك الـهـوى ... قـالـت سـمـا فـصـيـحـه
قـالـوا امـسـحـي دمـوعـه ... قـالـت : لـه مَـسـيـحـه[1]
قـالـوا أضـلـل عـقـلـه؟ ... قـالـت ولا مُـسـوحـه[2]
قـالـوا إذا مـا بـالـه؟ ... قـالـت جـفـا مـلـيـحـه
قـالـوا تـكـهـنـت : فـقـا ... لـت هـل أنـا سـطـيـحـه[3]

قـالـوا أريـنـا خـوطـه ... قـالـت لـكـم صَـدوحـه
قـالـوا أمـا يـطـربـه؟ ... قـالـت نـعـم صُـدوحـه
قـالـوا أريـنـا مـتـنـه ... قـالـت لـكـم شـروحـه
قـالـوا ومـن لـنـا بـهـا ... قـالـت لـكـم صَـبـيـحـه
قـالـوا لـهـا إن نَـرَهُ ... قـالـت إذاً صَـبـوحـه
قـالـوا ومـا لِـبَـدْرِهِ؛ فـقـا ... لـت قـد جـفـاه لُـوحـه
قـالـوا جـفـا (يـوسـفـه) ... قـالـت وعـام (نـوحـه)
قـالـوا خـتـام الـمـسـك؛ قـا ... لـت والـعـبـيـر ريـحـه

(١) مَسيحه: المسيح عليه السلام. شرح لفظة: مسيحه، ولفظة: مسوحه في البيت الذي يليه، ولفظة: سطيحه في البيت الرابع من وضع أمير البيان رحمه الله تعالى.

(٢) مُسوحه: جادة الطريق.

(٣) سطيحه: الكاهن الذي فسر رؤيا الملك نصر بن ربيعة اللخمي بغزو الحبشة لليمن حسب مصادر تاريخنا العربي.

(٣) قلت

عارضتني كأنها الخَطَّار[١] فتمنيت والتمني اغترار
وأشاحت بوجها عن مكاني وأنا ثم جامد محتار
وتوارت خلف الخمار لِتَوْقَى طفرة الطرف لو وقاها الخمار
ثم قالت إليك عني يا من فيه منه على القلوب أوار

قلت خلي طرفي يراك فواقا[٢] قالت إِيْئَسْ فمنك عنك ستار
قلت أشكوى للهوى وبنيه قالت اهدأ أما تراك تغار
قلت أشكوك للغرام بجنبيـ ـك فقالت وهل له معيار
قلت أشكوك للجمال الذي فيـ ـك فقالت أمنصف من يشار؟
قلت أشكوك للأنوثة قالت هبك أقلقتها فما الأعذار؟
قلت للنضج قالت النضج قاض مستبد في طبعه الإصرار
قلت أشكوك للشباب فقالت أين منه في طيشتيه الوقار
قلت أشكوك للصِّبا قالت الليـ ـن؟ اجْتَنِبْه، إن الغصون تغار
قلت أشكوك للكهولة قالت أتراها لها بذاك ادِّكار
قلت أشكوك للمشيب فقالت عمرك الله قد علاه انكسار

قلت أشكوك للصَّبا وهي تسري قالت اللطف للنسيم شعار
قلت أشكوك للظبا سانحات قالت الظَّبْيُ خفة ونفار
قلت أشكوك للطيور على الأيـ ـك فقالت صداحها تذكار
قلت للدمية اللطيفة قالت كم جمادٍ فيه العقول تحار

(١) الخَطَّارُ: الرمح، الأسد، العَطَّار.
(٢) الفُوَاقُ: مقدارٌ في الزمن.

قلت للفرع أشتكيك فقالت ... إنه الليل مظلم كفار
قلت أشكوك للجبين فقالت ... كم جبين يهيم فيه النهار
قلت أشكوك للملامح قالت ... إن تلمّحتها وأنت قرار
قلت للعين أشتكيك فقالت ... خذ بعيداً فلحظها بتّار
قلت: للأنْف قالت الأنف للشَّمْـ ... ـمِ وريح الشكوى بها استنكار
قلت أشكوك للشفاه فقالت: ... كم شفاهٍ منها تدار العُقار
قلت أشكوك للخدود فقالت: ... خُلِعَ العُذر واستبيح العذار
قلت للأذن قالت الأذن أشهى ... ما لديها في عيشها الأخبار
قلت للصدغ قالت الصدغ فاحذر ... عقرب لا يُطيقه الصبّار

قلت للكف والخضاب فقالت ... أخضاب تُراك أم جُلَّنار؟
قلت أشكوك للمعاصم قالت ... معصمي عاطل وأنت السِّوار
قلت للساق قالت الساق سُوق ... كم بها بيع السادة الأحرار
قلت أشكوك عند أقدامك الحمـ ... ـر فقالت وطْء وذل وعار
قلت للقامةِ الرشيقة قالت: ... إنها الرمح والهوى الجبّار

قلت للقلب أشتكيك فقالت ... إنه قُلَّبٌ وأنت حِوار
قلت للعقل قالت العقل عقَّا ... ل وعقل الحسان فيه ازْورار
قلت للنفس قالت النفس آي ... عجزت دون دركها الأبصار
قلت أشكوك للضمير فقالت ... كم تراه يغرّك الغرّار
قلت للطيف أشتكيك فقالت ... إن تنم والنمارق استقرار
قلت للوصل قالت الوصل أجْدَى ... إنْ تُحَقِّقْهُ الخلة المعطار
قلت أشكوك للصبابة والوجـ ... ـد فقالت كلاهما أوْعار

قلت للدهر قالت الدهر مغزى ذلك الحيف والأبُ الغدّار
قلت أشكوك للعروبة قالت كبرياء وعزة وانتحار
قلت أشكوك للأصالة قالت مورد دون عَذْبِهِ الأخطار
قلت للدين أشتكيك فقالت هو للخائفين نعم الجار
قلت للشرع أشتكيك فقالت أين منه الخفاء والأسرار؟
قلت لله قالت الله يدرى كل شيء لكنه غَفَّار
قلت أعييتني فقالت وكم عـ ـيَّ بمثلي جهابذُ شُطار

ثم قالت لكي تخفّف عني هاك نصحي فإنه الإيثار
قلت هاتي لا هدّك الشر قالت: يا ابن ودي ولا دهاك الشرار
سر بعيدا عن الهوى وتجنّبـ ـه ففيه هوانه والصَّغار
لا يغرنك بدؤه عنبرياً فلكم ثار في الختام الغبار

* * * * *

(٤) قالا

هل أيقظاه من سُبَاتٍ عميقٍ؟ فَهَبَّ يهوي كفراش الحريق
أم جاذباه الحبل لما غفا عن حُلُمٍ يأبى له أن يفيق؟
أم ساوراه حية تلتوي على حناياه لكي يستفيق؟
فلا تلمه إن يزغ قلبه طيشاً فقد حُمِّلَ مالا يُطيق
أيقظه الدهر لآلامه وراح عنه في سُبات عميق

هما أثاراه بلا رحمة تساؤلات في غشاء رقيق
قالا له أين طريق الهدى فقد ضَلَلْنا؟ قال خلف المضيق
قالا وأين المرشد عامت به أعوامنا قال بوادٍ سحيق
قالا فما للدهر يسطو بنا مُفَرِّقاً قال لأجل المُروق
قالا وما للخصم ينتاشنا من كل صوب قال سرّ العقوق

قالا نراك في الفضا سابحاً قال الفضا بيتي وفيه اللصوق
قالا وهل من عتبات له قال هي الأرجاء ذات البسوق
قالا وهل سقف له قال إي والله سقف ماله من شُقوق
قالا وهل فرش به قال ما أحسن تشكيلاته كم تشوق
قالا وهل شورِكَتْ في صحنه قال البرايا وبذاكم خليق
قالا أما يعروك ضيق به قال ولكن وُسْعُهُ لا يضيق
قالا فهل تنعم فيه به؟ قال ومن سُكرى به لا أفيق

قالا وهل أوصدته مرّةً قال وهل يوصد مسعى الطريق
قالا أزُهْداً ما نراهُ ومن يبلغ هذا الحَدّ؟ قال الصَّدوق
قالا وهل يوجد ذا قال ما دام غروب يجتليه شُروق
قالا وهل نعرفه قال قد يعرفه البعض بشكل دقيق

قـالا أأنـت هـو قـال لـن[1] يكونه غيرُ المعنَّى المشَوق
قـالا وهـل بين الهوى نسبة والصدق قال الحب رمز الصديق
قـالا لـه زدنـا وُضـوحا فقد كدنا نرى الحق فقال البَريق
قـالا إلـى التفسير قـال الذي تجذبه الحضرة فهو العشيق
قـالا فـهـل نحسبه واصـلاً قـال الوصول هل له من مطيق

قـالا نـقـول سَـالِكٌ قـال كم من سـالِكٍ عـزَّ عليه الرفيق
قـالا ومـا الـدهـر ومـا شأنه قـال هـو الناس وحـادٍ يسـوق
قـالا ومـا غـايـة مضمـارنـا قـال فنـاء فلظىً أو رحيق
قـالا ومـا هـذا الـورى قـال ها هنـا فـريـق وهنـاكم فريق
قـالا ومـا حـظـهـمُ بـعـد ذا قـال نـعيـم دائـم أو حـريـق
قـالا ومـا فـي دارِنـا هـذه قـال سُـرور وشُـرور وضيق

قـالا وهـل نـتـركـها جَـفـوةً قـال هي الجسر عليه الطُّروق
قـالا فـهـل منـها خـلاص لنا قـال بـتـقـوى اللّٰه فيما نطيق
قـالا إلـى خـاتـمـة قـال في خاتمها السعد ومسك فتيق

* * * * *

(١) هذا الشطر مختل.

(٥) قالت

قالت إليه والدموع تسيل ... في خده وفؤاده متبول
فَتَرَيَّثْ كيما تقول له اتئد ... واربأ بنفسك فالكريم حمول
وحنت إليه رأسها في رقة ... فصفا ورق لها وكاد يسيل

قالت أراك عجزت عن حفظ الهوى ... قال المتيم دائما مذهول
قالت رأيتَ الفرعَ يسبح في الضيا ... فَكَفَرْتَ: قال وفي يدى التنزيل
قالت رأيت من الجبين هلاله ... فعراك وجد قال بل وذهول
قالت وراعتك القِسِيّ حواجباً ... أتراك تَحْيَا قال لا تأميل
قالت رأيت الأنف يشمخ كبرة ... قال التكبر عنده معقول
قالت رأيت العين في نظراتها ... فخَشِيتَها قال العيون تُصول
قالت رأيت الثغر يبدو باسما ... فعشقته، قال الثغور شَمول

قالت أَذُقْتَ من الشفاه سُلافها؟ ... فسكرت قال وهل إليه سبيل
قالت رأيت على الخدود تورُّدا ... فَوَدَدْتَ حتفك قال ذاك السُّول
قالت رأيت الأذن في أقراطها ... فسللت قلبك قال وهو قتيل
قالت ولاح الجيد جدول فضة ... يزهو فقال وإنه مجدول
قالت رأيت النحر ينحر عقده ... فنحرت نفسك قال والإكليل
قالت رأيت الخصر يختصر الهوى ... فهويت قال وشامت وعذول
قالت رأيت القد عن عساله ... يرميك قال ورميه معسول

قالت رأيت من الملامح لمحة ... فجُننت قال من الجنون عقول
قالت رأيت من الأنوثة لمعةً ... فجهلت قال هناك عزّ جَهول
قالت رأيت الحسن في لفتاته ... فذهلت قال وكان عندي الجيل

قالت نظرت إلى الجمال بِلَوعةٍ فصَعِقت قال وهل سواك جميل
قالت رأيت يد الجمال شحيحةً فبخِلتَ قال بمن أحِبّ بخيل
قالت وراعتك الظباء نوافراً قال الظباء نفارهن أصيل
قالت رأيت الغانيات نواضراً بيضاً فقال وخدهن أسيل
قالت وراعتك الحسان عيونها سوداً فقال وطرفهن كحيل
قالت فكدت تذوب من حر الهوى والوجد قال وما فتئت أسيل
قالت رأيت طريقهن إلى الصفا فدهشت قال لدهشتي تأويل
قالت وما التأويل حدثني فقد أظْمَأْتَ قلبي قال هذا النيل
قالت رموز في رموز أغلقت أبوابها قال الرموز حلول
قالت وما هذي الحلول وهل ترى شيئاً فقال هو الفريق حلول
قالت وما تعني فقال وأنت مِن ذاك الفريق الواصل الموصول

قالت أراك محنكاً ذا حجة قال المفوّه قوله مقبول
قالت فهل لليل عندك من يد قال الجنان وصارم مصقول
قالت أتقدر أن تبارك غِرة نامت أساودها فقال قليل
قالت بِدَارِ إلى حياض ما صفت إلا لوردك قال عزَّ دليل

قالت كتاب الله خير ممهد لك ما تحب فقال وهو كفيل
قالت ومولى الحل والعقد الذي أنا منه قال فذلك المأمول
قالت هنالك طامعون أخاف أن يَشْأوْكَ قال وصارمي مسلول
قالت فهل فضل لديك تعده لبلوغ قصدك قال بل وفضول

قالت إلى يوم يلذ لقاؤنا فيه فقال وما يَهُبّ عليل
قالت على عش الصيانة والهدى والأنس قال وعيشنا تذليل
قالت بدأتك بالمحبة والرضا قال الختام لمسكنا تكميل

(٦) قال

حسر الدهر فواتاه الجمال ... فاستعاد الوصل بعد الإنفصال
فارتمى يهوي إلى غايته ... وهي كالتائه ما بين الرمال
يقصر الخطو ولكن في دها ... ويغض الطرف لكن في اختيال
يرتدي فروا من الكبرة لا ... يرحم العافي ولا أمّ العيال
خُلْقُهُ عُجْبٌ وكِبْرٌ وريا ... حاسد الطبع لئيم الأحتيال
أتراه الدهر أم أبناءه ... يا لرحماي على قيل وقال

وأخي عيساء[1] ألقى حبلها ... أي على غاربها بين الجِمال
فمضت تعدو كما شاء الهوى ... وهو لا يعرف عنها أي حال
كلما ساءَلَها قالت له ... دعك يا غافل من كثر السؤال
وإذا عاتبها قالت له ... قَدْكَ[2] يا مغرور من هذا الجدال
أنا بنت الحب والحسن أخي ... والصِّبا خِدني ومولاي الدلال

فاعترته حيرة تائهة ... دربها شوك ومرماها ضلال
فأتى مُسْتَرْئياً[3] في شأنه ... وهو كالمنبتِّ في وعر الجبال
قال ما رأيك في مركبتي ... قلت صنها بين ظل وزُلال

قال حُسْنٌ بارعٌ تَيَّمَني ... قلت كم غرَّ وكم أغرَى الجمال
قال عذب القول منها شاقني ... قلت كم شاق وكم أشقَى المقال

---

(١) العيساءُ: الناقة.

(٢) قَدْكَ: حسبُك.

(٣) مُسْتَرْئياً: طالبا النظر في قضيته، مستشيرا.

قـــال مـنـهـا نـــظـــرات حـلـوة ... قلت فلتصبر على رشق النبال
قـال كـم قـد داعـبـتـنـي يـدُهـا ... قلت بعض اللمس مسّ من خيال
قال كم قد لَطَفَتْ بي حالها ... قلت لطف الحسن بالشوق محال
قـال كـم باتت تغنيني الهوى ... قلت هاتيكم تعاويذ الخيال
قـال مـثـل الـنـبـع منـهـا قـامـة ... قلت ما أَفْتَكَ هاتيك النصال
قال كم قد طَبَعَتْ بي قبلاً ... قلت راقبها إذا ما الليل طال
قـال كـم قـد ضحكت لي وبكت ... قلت للعسال لين في النضال

قـــال عَـمـــري إنـــهـــا قـارئـة ... قلت كن من قاريء الحظ ببال
قـال تـروي الشعر بـل تـنقده ... قلت هاتيك هي السحر الحلال
قـال كـم مـــال أفـادتـــنـي به ... قلت نـاهيك فكم مـال أمـال

قـال عـقـلي لا يـريـنـي غيرها ... قلت بعض العقل للمرء عقال
قال هل في الطيش لي من عاذر ... قلت ليس الطيش من فعل الرجال
قـــال لا هـــذا ولا ذاك فـمـا ... قلت بين اللين والشدة حال

قـــال إنـــي أحـســـن الـظـن بها ... قلت حسن الظن بالناس اتِّكال
قـال من لي إنْ أُسِـئْ ظنا بها ... قلت سـوءُ الظن بالكل وبال
قـال كيف الأمـر مـا بينهما ... قلت حـزم وانـتـبـاه واعـتـدال

قـــال مـيـــراث لـهـا مـن شـرف ... قلت هـاتـيـك جـمـــال وجـلال
قـال كـم جـادت على ذي فاقة ... قلت تلكم خير أُمٍّ لِعِيَال
قـال كـم صَلَّتْ بآنـاء الدجى ... قلت تلك الكنز إن رمت الوصال
قـال كـم صامت وحجت ووفت ... بـنـذور؛ قلت هاتيك المثال
قـال كـم بـاتـت عـلـى مصحفها ... قلت: جل الله؛ هاتيك الكمال

(٧) قالتا

مـرّتـا والـلـيـل يـشـتـاك الـهـوى ... ونـجـوم الأفـق تستهوي الـهـوا
تـتـرامـى فـي الـفـضـا يدفعها ... قـائـد كـم قـاد أَنَّـاتِ الـنَّـوَى
يـحـسـب الـنـاظـر فـيـهـا أنـهـا ... غـاضـبـات وهـي للبشرى لِـوَا
مَـرّتـا تـخـفـيـن أقـدامـهـمـا ... مـرةً بـيـن تـعـاريـج الـلِّـوَا
فـإذا ذو مِـرَّةَ خـلـفـهـمـا ... مـاشـيـاً تحسبه نجـمـا هـوى

قـالـتـا مـن أنـت؟ قـال اتـئـدا ... أنـا صَـبٌّ شاكه نصل الهوى
قـالـتـا صَـبٌّ بـمـن؟ قـال بمن ... رمـتـاه فـهـوت مـنـه الـقـوى
قالتا عَلَّكَ تَعْنِيْنَا إذاً؟ ... قـال إن أعْـنـكـمـا أعْـنِ الـرِّوا
قـالـتـا صَـرِّحْ. فـقـال أنتمـا ... ومُثَنَّى الحبّ كم فَنّ حوى
قـالـتـا إن كـنـت صـبـاً صـادقـاً ... فاصْطَبِرْ. قال بي الصبر لَوَى

قـالـتـا مـن لـك إن نـام الضياَ ... قـال قلبي كلما خاض ارْتـوى
قالتا يهديك في جنح الدُّجى؟ ... قـال يهديني لو القصد انزوى
قـالـتـا هـل لـك هـادٍ غـيـره؟ ... قـال عقلي كلما الأمر الْتَوَى
قـالـتـا العقل عقيم. قـال بل ... يُلقِح العلم ويستجلي الصوُّى
قـالـتـا العلم جـمـاد. قـال ما ... أنجب العلم على العقل اسْتوى
قـالـتـا والـفـكـر مـا أطيشه ... قـال إن لـم يـتـرسَّـم السَّـوا

قـالـتـا مـالـك تـمشي خلفنا ... قـال كـي أقيكـمـا شـر الـعُـوا
قالتا هل من عواء يُـتَّقَى ثَـمَّ؟ ... قـال الـسِّـيـد[1] بـالـشـر عـوى
قـالـتـا كـم سَـبُـعٍ نـام على ... وعد أنثى؟ قال كم فَحْلٍ تَوَى
قـالـتـا نـحـن نـقـيـك شـر مـا ... في العواء : قال لو ذاك استوى

(١) السِّيْدُ: الذئب.

قالتا ارجع قبل أن يبصِرَنا كاشِحٌ. قال نصالي تُجْتَوَى
قالتا إنْ يَرَنا الناس فما ذا يقولون؟ فقال المحتوى
قالتا رُبَّتَمَا ظنوا بنا ألف سوءٍ. قال كم ظنٍّ خوى
قالتا الظن تأثيره قال إن ساعده سوء النَّوَى[1]

قالتا هل حاجة تطلبها قال روحي ولها الحب كَوى
قالتا روحك فَتِّشْ تَرَهَا بين جَنْبَيْكَ. فقال في السِّوا
قالتا الدهر بذياكم قضى قال ويحي كم به القلب اكتوى
قالتا ما الدهر إلا عاملٌ قال للحب وما ثَم دوَا
قالتا الحُرُّ صبورٌ دائما فَلْتَكُنْهُ. قال كم قلب غوى
قالتا افتض ختام المسك عن جَلَدٍ. قال على نفح الهوى

* * * * *

(١) سوءُ النَّوَى: النَّوَايا السيئة.

مصادر التحقيق

مصادر التحقيق

أولا: كتب التفسير والحديث والفقه

١. **كتاب تفسير مقاتل بن سليمان**، لمؤلفه أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، (ت١٥٠هـ)، تحقيق عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢. **كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، لأبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٦٩.

٣. **كتاب معارج الآمال على مدارج الكمال نظم مختصر الخصال** للإمام عبدالله بن حميد السالمي، الجزء الخامس عشر، طبع وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ثانيا: كتب العروض والدواوين الشعرية

١. **كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي**، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبَّاد القنائي المعروف بالخوّاص (توفي سنة ٨٥٨هـ)، تحقيق الدكتور عبدالمقصود محمد عبدالمقصود، مكتبة الثقافة الدينة، بورسعيد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢. **كتاب الكافي في العروض والقوافي** لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب الشيباني، المعروف بالتبريزي، (توفي سنة ٥٠٢هـ)، تحقيق: الحسَّاني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣. **ديوان ابن الفارض: عمر بن أبي الحسن** (٥٧٦ – ٦٣٢هـ/١١٨١-١٢٣٤م)، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ١٥١-١٥٥.

٤. **ديوان جار الله الزمخشري** (٤٦٧-٥٣٨هـ/١٠٧٤-١١٤٣م)، شرح فاطمة الخيمي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٥. **ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي**، جمع وتحقيق عادل بن راشد المطاعني، مؤسسة الورَّاق للنشر والتوزيع، عَمَّان الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦. **ديوان النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني**، للعلامة الشاعر ناصر بن سالم البهلاني الرواحي (١٢٧٨هـ-١٣٣٩هـ) مكتبة مسقط، الطبعة الألى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ثالثا: الكتب التاريخية

١. **كتاب البيئة الأدبية في الحيرة في ظلال دولة المناذرة**، تأليف الدكتور إبراهيم عبدالله الضحيان، بدون تاريخ ودار نشر.

٢. **كتاب التاريخ السياسي والعلمي للسويق والمصنعة**، تأليف فهد بن علي بن هاشل السعدي، الناشر: ذاكرة عمان، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٣. **كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ سالم بن حمود السيابي**، طبع على نفقة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني أمير دولة قطر السابق، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٤هـ.

٤. **كتاب بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار**، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري (ت٣٨٠هـ)، تحقيق محمد حسن محمد، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٠١.

٥. **كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦. **كتاب تاريخ عمان السياسي للأديب المؤرخ عبدالله بن محمد الطائي**، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمَّان الأردن ٢٠١٦م.

٧. **كتاب تاريخ القرآن الكريم**، تأليف الخطاط محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر مصطفى محمد يغمور، مطبعة الفتح بجدة، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

٨. **كتاب تحفة الأعيان** للشيخ الإمام عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (نور الدين)، مكتبة الاستقامة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٩. **كتاب حركة التجديد والإصلاح في نجد**، لمؤلفه عبدالله العجلان، الناشر نفسه، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

١٠. **كتاب داعية وليس نبيا**.. قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التكفير، تأليف حسن بن فرحان المالكي، دار الرازي، عَمَّان-الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١١. **كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية**، تأليف السيد أحمد زيني دحلان، اعتنى به د. جبريل حدَّاد، دار غار حراء ومكتبة الأحباب، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٢. **كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني**، تأليف محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الجزء الأول ص ١٦٢.

١٤. **كتاب السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، بيروت بدون تاريخ نشر.

١٣. **كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالوهاب، اعتنى بطبعه حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، تركيا، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٥. **كتاب العنوان للشيخ سالم بن حمود السيابي**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، السيب، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٦. **كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد**، تأليف عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٧. **كتاب كلمة، للشيخ سعود بن علي الخليلي**، دار أبعاد، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٥م.

١٨. **كتاب المختصر في أخبار البشر**، لأبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر.

١٩. **كتاب مذكرات أميرة عربية**، تأليف سالمة بنت سعيد، ترجمة د. سالمة صالح، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢٠. **كتاب المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، للدكتور جواد علي (ت١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢١. **كتاب نهضة الأعيان بحرية عمان للشيخ الشيبة** (محمد) بن عبدالله بن حميد السالمي، طبعة دار الكتاب العربي بمصر بدون تاريخ نشر.

٢٢. **كتاب الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا ما بين القرنين الأول والسابع الهجريين**، تأليف سعيد بن سالم النعماني، الناشر: النادي الثقافي بسلطنة عمان، طبع دار الفرقد دمشق، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

رابعا: المعاجم والموسوعات

١. **كتاب معجم شعراء الإباضية**، قسم المشرق، لفهد بن علي بن هاشل السعدي، مطبعة الجيل الواعد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢. **كتاب شرح الموسوعة الشعرية لأبي مسلم البهلاني**، تحقيق د. راشد بن علي الدغيشي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٣. **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، الجزء الأول.

خامسا: المواقع الإلكترونية

١. **الموقع الإلكتروني للموسوعة العالمية للشعر العربي**، ووصلته هي: *www.adab.com* تاريخ تصفح الموقع ٢٠١٥/٨/٣٠م.